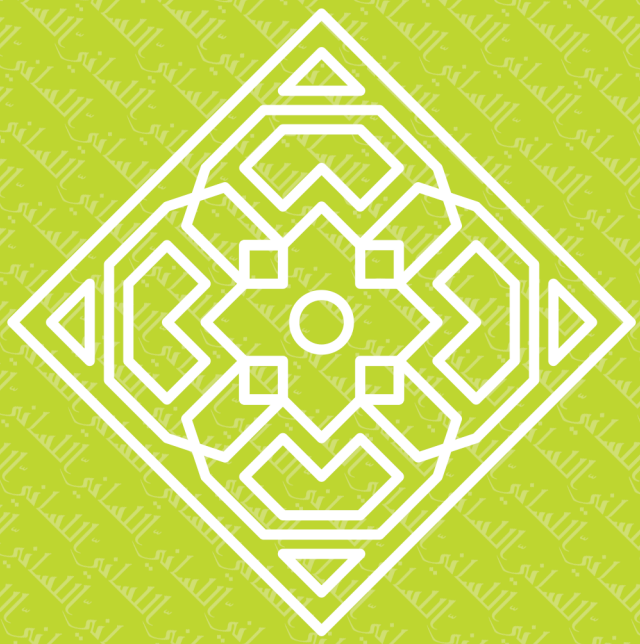
جامعة محمد الخامس بالرباط
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
Université Mohammed V de Rabat
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines
Mohammed V University in Rabat
Faculty of Letters & Human Sciences

اللسانيّ linguist

مجلّة فصليّة دوليّة محكّمة متخصّصة في اللسانيّات تصدر عن كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة

جامعة محمّد الخامس بالرباط



المجلد (2) - العدد (2)

ISSN: 2665-7406
E-ISSN: 2737-8586

www.the-linguist.com

اللساني linguist
مجلّة فصليّة دوليّة محكّمة متخصّصة في اللسانيّات تصدر عن كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة
جامعة محمّد الخامس بالرباط

مجلة اللساني – المجلد 2 – العدد 2

Dépôt Légal: 2019PE0001
ISSN: 2665-7406 (Online)
E-ISSN: 2737-8586 (Print)

البريد الإلكتروني للمجلة

linguist@linguist.ma
linguistflshr@gmail.com

الموقع الإلكتروني للمجلة

https://linguist.ma

linguist اللساني
مجلة فصلية دولية محكمة متخصصة في اللسانيات تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس بالرباط

مجلّة فصليّة دوليّة محكّمة متخصّصة في اللسانيّات
تصدر عن كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة
جامعة محمّد الخامس بالرباط

المدير الإداري للمجلة
أ.د. ليلى منير
عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط

المدير المسؤول ورئيس التحرير
أ.د. حافظ إسماعيلي علوي

الهيئة العلمية الاستشارية

أ. د. أحمد المتوكل (المغرب)
أ. د. حسن حمزة (لبنان/ قطر)
أ. د. حمزة بن قبلان المزيني (السعودية)
أ. د. سعد مصلوح (الكويت/ مصر)
أ. د. صالح بلعيد (الجزائر)
أ. د. عبد الرحمن بودرع (المغرب)
أ. د. عبد الرزاق بنور (تونس)
أ. د. عز الدين المجدوب (تونس)
أ. د. مبارك حنون (المغرب)
أ. د. محمد البكري (المغرب)
أ. د. محمد الرحالي (المغرب)
أ. د. محمد العبد (مصر)
أ. د. محمد غاليم (المغرب)
أ. د. مرتضى جواد باقر (العراق)
أ. د. مصطفى غلفان (المغرب)
أ. د. مولاي أحمد العلوي (المغرب)
أ. د. ميشال زكريا (لبنان)
أ. د. هشام عبد الله الخليفة (العراق)

هيئة التحرير

احمياني عثمان
أمروص نور الدين
بنسوكاس عبد الكريم
بودحيم زكريا
الدرويش محمد
العلمي عبد الكريم
قضيوي وفاء
منير ليلى
أزواغ سفيان
بندحان محمد
بنعياد نعمة
حسبان رضوان
الطاهري عز الدين
العلوي كمال رشيدة
المنديلي سمية
الناصيري حبيبة

البريد الإلكتروني للمجلة
linguist@linguist.ma
linguistflshr@gmail.com
للمزيد من التفاصيل يرجى زيارة الموقع الإلكتروني للمجلة
https://linguist.ma

Dépôt Légal: 2019PE0001
ISSN: 2665-7406 (Online)
E-ISSN: 2737-8586 (Print)

بروتوكول النشر في المجلة

اللساني:

- مجلة فصلية دوليّة علميّة محكّمة متخصّصة في اللّسانيات.
- لغات المجلة هي: العربية والإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية، والألمانية، والإسبانية، والبرتغالية.
- تقبل المجلة البحوث سواء أكانت تأليفا أم ترجمة، أو مراجعة، شريطة أن يكون البحث المترجم أو الكتاب على درجة كبيرة من الأهمية.

رسالة المجلة:

- الإسهام في نشر ثقافة لسانية عالِمة.
- تطوير البحث اللساني في الثقافة العربية.
- مواكبة مستجدات البحث اللساني وتحولاته المعرفية.
- إطلاع الباحثين والمهتمين على أهم ما يكتب وينشر في مجال اللسانيات.
- الاهتمام بانفتاح الحقل اللساني وحواره مع التخصصات الأخرى بالتركيز على الدراسات البينية.

خصوصية المجلة:

- تنشر المجلة البحوث والدراسات الجادة في مجال اللسانيات.
- تسعى المجلة إلى مواكبة مستجدات البحث اللساني من خلال ترجمة البحوث والدراسات التي تنشر في أهم المجلات اللسانية العالمية.
- إثارة نقاش حول أهم القضايا اللسانية المعاصرة.

شروط نشر البحوث والدراسات:

- تنشر المجلة البحوث الأصيلة التي لم يسبق نشرها أو إرسالها للنشر إلى أي جهة أخرى.
- تكون المواد المرسلة للنشر ذات علاقة باللسانيات، سواء أكانت دراسات وبحوثا نظرية وتطبيقية، أم بحوثا مترجمة.
- تلتزم البحوث بالأصول العلميّة المتعارف عليها.
- تقدَّم البحوث وفق شروط النّشر في المجلّة كما هو منصوص عليها على موقع المجلة.
- لا يقل عدد كلمات البحث عن 5000 كلمة ولا يزيد عن 9000 كلمة، بما في ذلك الملاحق.

شروط نشر مراجعة الكتب:

- تنشر المجلة مراجعات للإصدارات الحديثة، سواء أترجمت إلى اللغة العربية أم لم تترجم بعد.
- يجب أن يراعى في عرض الكتب الشروط الأساسيّة الآتية:

بروتوكول النشر في المجلة

- أن يكون الكتاب المراجع ضمن اهتمامات المجلة.
- أن يبنى اختيار الكتاب على أسس موضوعيّة: أهميّة الكتاب، قيمته العلميّة، إغناؤه لحقل المعرفة، والفائدة من عرضه ومراجعته.
- أن يكون الكتاب قد صدر خلال السنوات الخمس الأخيرة.
- كما يجب أن تراعي المراجعة الشروط الآتية:
- الإشارة إلى عنوان الكتاب، ومؤلفه، وفصوله، وعدد صفحاته، وجهة النشر، وتاريخ النشر.
- التّعريف بمؤلّف الكتاب بإيجاز، وبالمترجم (إن كان الكتاب قد ترجم إلى اللغة العربية).
- الوقوف على مقدّمات الكتاب الأساسية: الأهداف، المضامين العامة، المصادر والمراجع، المنهج، المحتويات...
- عرض مضامين الكتاب عرضا وافيا وتحليلها تحليلًا ضافيا، مع الوقوف على أهم الأفكار والمحاور الأساسيّة، واستخدام الأدوات النقديّة والمنهج المقارن بينه وبين المراجع المعروفة في الحقل المدروس.
- يتراوح عدد كلمات المراجعة بين 2000 و3000 كلمة، وتقبل المراجعات التي يصل عدد كلماتها 4000 كلمة، إذا ركزت على التّحليل والمقارنة.

التوثيق في المجلة:

تعتمد المجلة نظام التوثيق APA (جمعية علم النفس الأمريكية) الإصدار السابع (7)، ويمكن الاطلاع على تفاصيل التوثيق على موقع المجلة، أو موقع الجمعية.

مرفقات ضروريّة للنّشر:

- يُرفق بالبحوث المقدمة للنشر في المجلة:
- البحث الأصل إذا كان البحث مترجما، مع توثيق النص الأصل توثيقا كاملا.
- ملخص البحث باللغة العربية، وآخر باللغة الإنجليزية، لا يقل عن 250 كلمة ولا يزيد عن 300 كلمة.
- جرد للكلمات المفاتيح (لا يقل عن خمس كلمات ولا يزيد عن سبع كلمات)
- سيرة موجزة للباحث (لا تزيد عن 200 كلمة) باللغة العربية واللغة الإنجليزية.
- السيرة الذاتية المفصّلة للباحث.

للاطلاع على تفاصيل أخرى للنشر انظر موقع المجلة.

إجراءات النّشر:

- ترسل جميع المواد على موقع المجلة (**إنشاء طلب نشر**).
- سيتوصل الباحث بإشعار بإرسال بحثه حال استكمال شروط الإرسال.
- تلتزم المجلة بإخطار صاحب البحث في أجل أقصاه عشرة أيام بقبول البحث أو رفضه شكلا، وبعرضه على المحكمين في حالة استيفائه لشروط النّشر في المجلة ومعاييره.

بروتوكول النشر في المجلة

- تُرسل المواد التي تستجيب لمعايير النشر للتحكيم على نحو سري.
- يخبر الباحث بنتائج التحكيم (قبولا أو رفضا) في أجل أقصاه شهر ابتداء من تاريخ إشعاره باستيفاء المادة المرسلة للشروط الشكلية وعرضها على المحكمين.
- إذا رفض البحث فإن المجلة غير ملزمة بإبداء الأسباب.
- إذا طالب المحكمون بإجراء تعديلاتٍ على أيّ بحث؛ يخبر الباحث بذلك، ويتعين عليه الالتزام بالآجال المحددة لإجراء التعديلات المطلوبة.
- تفرض المجلة أن يلتزم الباحث بالتحرير والتدقيق اللّغوي، وفق الشروط المعمول بها في الدّوريّات العالميّة.
- تحتفظ المجلة بحق إعادة نشر البحث بأي صيغة تراها ذات فائدة، وإخطار الباحث بذلك.
- لا يحق نشر أي مادة بعد تحكيمها وقبولها للنشر قبولا نهائيا وإخطار صاحبها بذلك.
- يمكن للباحث إعادة نشر بحثه بعد مرور سنة من تاريخ نشره، شريطة إخبار المجلة بذلك.
- لا تدفع المجلة تعويضا ماديّا عن الموادّ التي تنشرها، ولا تتقاضى أيَّ مقابل مادّي عن النشر.

لا تعبر البحوث المنشورة عن رأي المجلة
ترتيب المواد يخضع لضرورات فنية
يتحمل الباحث وحده المسؤولية القانونية لبحثه

البريد الإلكتروني للمجلة

linguist@linguist.ma
linguistflshr@gmail.com

للمزيد من التفاصيل يرجى زيارة الموقع الإلكتروني للمجلة

https://linguist.ma

شارك في هذا العدد

أ. د. أحمد المتوكل: عمل أستاذاً بجامعة محمد الخامس بالرباط في قسمي اللغة الفرنسية واللغة العربية وكان له دور مهم في تكوين أجيال من الباحثين اللسانيين في المغرب والعالم العربي. وركز في تدريسه على التداوليات والنحو الوظيفي، خاصة مدرسة أمستردام التي أسسها سيمون ديك. ألّف المتوكل العديد من الكتب والمقالات باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية.

أ. د. حسن علي حمزة: أستاذ اللسانيّات والمعجميّة العربيّة بمعهد الدوحة للدراسات العليا في قطر، وأستاذ فخري بجامعة ليون 2 في فرنسا. حاصل على دكتوراه الحلقة الثالثة من قسم الدراسات الإسلاميّة بجامعة إكْس إنْ بْروفانْس، وعلى دكتوراه الدولة من قسم علوم اللسان بجامعة ليون 2 بفرنسا. تدور أبحاثه حول قضايا اللسانيّات والمعجم والمصطلح والترجمة.

أ. د. رشيدة العلوي كمال: أستاذة اللسانيات العربية المقارنة بشعبة اللغة العربية وآدابها، بجامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، المغرب. حاصلة على الدكتوراه من نفس الجامعة ونفس الكلية. تتمحور اهتماماتها البحثية حول موضوعات اللسانيات العربية المقارنة، واللسانيات الأحيائية: الأنظمة اللسانية ومستويات التحليل اللساني والمقولات اللسانية في الدماغ- علاقة اللغة بالدماغ.

أ. د. عبد الرحمن بودرع: أستاذ اللسانيات وعلوم العربية في قسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، في جامعة عبد المالك السعدي بالمغرب. حاصل على درجة دكتوراه الدولة في اللسانيات من جامعة محمد الخامس بالرباط، المغرب، عام 1999م، تدور اهتماماته البحثية حول اللسانيات، ولسانيات النص وتحليل الخطاب، وعلوم اللغة العربية، وصناعة المعجم.

أ. د. عبد الرحمن حسن البارقي: أستاذ اللسانيات في قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة الملك خالد بـالمملكة العربية السعودية. حاصل على درجة الدكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها من جامعة الملك سعود، بالرياض، المملكة العربية السعودية عام 2011. تدور اهتماماته البحثية حول اللسانيات، واللسانيات الإدراكية، والتداولية، والحجاج...

أ. د. مبارك حنون: باحث وأكاديمي مغربي، متخصص في اللسانيات والصوتيات والترجمة. شغل مناصب أكاديمية وإدارية، منها أستاذ باحث بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس (1982-1995)، وأستاذ بجامعة الأخوين بإفران (1995-2000)، ومدير المدرسة العليا للأساتذة بمكناس (2000-2003)، ومدير أكاديمية جهة سوس ماسة درعة (2003-2010)، وأستاذ التعليم العالي بجامعة محمد الخامس أكدال بالرباط (2010-2013)، وأستاذ بجامعة قطر (2013-2020).

شارك في هذا العدد

أ.د. هشام عبد الله الخليفة: باحث وأكاديمي عراقي، يُعتبر من الرواد في مجال التداولية واللسانيات في العالم العربي. وُلد في العراق وأكمل دراسته العليا في المملكة المتحدة. تتمحور إسهاماته العلمية حول النظريات اللسانية الحديثة والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي. أطلق على مشروعه العلمي «التجديد والتأصيل»، حيث سعى إلى ربط النظريات اللسانية الحديثة بجذورها في التراث العربي والإسلامي.

د. إيهاب محمود أحمد: يعمل مدرسا للسانيات وتحليل الخطاب في قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة عين شمس، بجمهورية مصر العربية (2007 - إلى الآن)، وعمل أستاذا مساعدا للغة العربية بجامعة أبو ظبي – البرامج العسكرية (2011-2015)، وأستاذا مساعدا للغة العربية بكلية التقنية العليا بالعين AAMC (2015-2019) بدولة الإمارات العربية المتحدة. حاصل على درجة الدكتوراه في اللسانيات من جامعة عين شمس، بالقاهرة، عام 2007. تدور اهتماماته البحثية حول اللسانيات العامة، واللسانيات النصية، والتحليل النقدي للخطاب.

د. حميد دغوج: أستاذ اللسانيات العربية المقارنة المشارك بمعهد الدراسات والأبحاث للتعريب، بجامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب. حاصل على الدكتوراه من نفس الجامعة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية. تتمحور اهتماماته البحثية حول موضوعات اللسانيات النظرية وبالضبط مستويي المعجم والدلالة، اللسانيات المعرفية، اللسانيات التطبيقية.

د. عبد الرحمن طعمة حسن: أستاذ اللسانيات المشارك بقسم اللغة العربية كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عُمان، وبقسم اللغة العربية، كلية الآداب جامعة القاهرة، مصر. اهتماماته البحثية متنوعة بالعلوم البينية، مركزها اللسانيات والثقافة والترجمة والدراسات القرآنية ونظرية المعرفة.

د. عثمان احمياني: أستاذ اللسانيات العربية المقارنة المشارك بشعبة اللغة العربية وآدابها، بجامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، المغرب. حاصل على الدكتوراه من نفس الجامعة ونفس الكلية. تتمحور اهتماماته البحثية حول موضوعات اللسانيات العربية المقارنة، واللسانيات التطبيقية: الأمراض اللغوية، علم لغة الإشارة الخاصة بالصم، تعليم اللغة للناطقين بغيرها.

اللسانيinguist
مجلة فصلية دولية محكمة متخصصة في اللسانيات تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس بالرباط

شارك في تحكيم مواد هذا العدد

- احمياني عثمان
- بولحوش فاطمة
- جبار كاظم مرتضى
- حنون مبارك
- الزبن عماد أحمد
- الطايفي البرنوصي حسيبة ذ
- طعمة حسن عبد الرحمن
- العلوي كمال رشيدة
- غلفان مصطفى
- فتح هشام
- الميساوي خليفة

فهرس المحتويات

افتتاحية العدد
أ.د. ليلى منير 10
المعجم والتداول
أ. د. أحمد المتوكل 11
سوسير ذو الوجه الواحد
أ. د. مبارك حنون 21
ترجمة المصطلح التداولي بين الشيوع والصواب
أ. د. هشام عبد الله خليفة 52
اللسانياتُ الحديثَة ومَنهج «التقابُل» في النظرِ إلى اللغة وتفسيرِها
أ. د. عبد الرحمن بودرع 82
النسق العرفانيّ بين علوم الطبيعة وعلوم الدماغ
د. عبد الرحمن طعمة حسن 105
الثنائية اللغوية في الدماغ
أ. د. رشيدة العلوي كمال 118
مسالك التركيب واندماج الأفضية
أ. د. عبد الرحمن حسن البارقي 140
المعرفة المعجمية وتحقيق الكفاية التواصلية
د. عثمان احمياني، د. حميد دغوج..... 176
الاستعارات المختلطة
د. إيهاب محمود 197
Les contraintes de la composition dans la nomenclature du dictionnaire
Prof. Hssan Ali Hamzé 211
Editorial of the Issue
Prof. Laila Mounir 236

افتتاحية العدد

أبانت مجلة اللساني منذ صدور أعدادها الأولى عن تميُّز واضح، وعن بصمة خاصَّة، جعلاها تحظى، في وقت وجيز، باهتمام القرَّاء وثقتهم، لسانيين وباحثين، وأن يكون لها موطئ قدم داخل مجال البحث اللساني داخل المغرب وخارجه، وذلك بالنظر إلى عمق البحوث المنشورة فيها وجدَّتها وجدّيتها، التي أسهم بها عدد من الباحثين المعروفين.

ومنذ أن توقفت المجلة، بعد نشر المجلد الأول بأعداده الأربعة، لم يتوقف سؤال الباحثين والمهتمين من داخل المغرب ومن خارجه، ورغبتهم النشر فيها، وهذا ما جعلنا نضع استئناف نشر هذا المنبر العلمي الرّصين ضمن أولوياتنا، في إطار استراتيجية عامة، تهدف إلى النهوض بالبحث العلمي في مؤسستنا، بتشجيع كل المبادرات الهادفة.

نسعد اليوم بتقديم هذا العدد الجديد من المجلة إلى القراء، ونرجو صادقين، أن تستمر المجلة بهذا التميز الذي يخدم البحث العلمي عموما، والبحث اللّساني خصوصا، ويقدم للباحثين الجديدَ المفيدَ في مجال اللسانيَّات، الذي كان لمؤسستنا الريادة فيه دائما على الصعيدين المحلي والعربي.

وأشكر للأستاذ حافظ إ. علوي، مدير المجلة، ورئيس تحريرها جهوده الطيّبة، وحرصه الكبير، على أن تبقى المجلة تحت مظلّة كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة محمد الخامس بالرباط، كما أشكر كل أعضاء هيئة التحرير على دعمهم لهذا المشروع العلمي المتميّز، ونرجو للمجلّة الاستمرارية والانتظام.

المدير الإداري
أ.د. ليلى منير
عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالنيابة

المعجم والتداول

اقتراحات من النحو الوظيفي

أ. د. أحمد المتوكل

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط

ahmed.moutaouakil@yahoo.com

الملخّص

نتناول في هذا العرض المقتضب علاقة المعجم بالدلالة من جهة وبالتداول من جهة ثانية مع عرض ومناقشة مجموعة من المقاربات التي تتيحها نظرية النحو الوظيفي لرصد هذه العلاقة توخيا لاستشراف أكبر قدر من الكفاية.

من الظواهر اللغوية التي سنعرض لها في هذا الباب الحمولة التداولية لأفعال الاتجاه وصيغ التصغير وما يدعى البناء للمجهول.

الكلمات المفاتيح: المعجم، الدلالة، التداولي، النحو الوظيفي.

LEXICON AND PRAGMATICS

Proposals from Functional Grammar

Prof. Ahmed Moutaouakil
Faculty of Arts and Humanities, Mohammed V University, Rabat
ahmed.moutaouakil@yahoo.com

ABSTRACT

The main aim of this study is to discuss the relationships that Lexicon could entertain with Semantics and Pragmatics and some of the approaches that could be proposed in this connection within the Functional Grammar framework. This discussion will focus on orientation verbs, diminutive forms and passive constructions.

Keywords: Lexicon, Semantics, Pragmatics, Functional Grammar.

مدخل

من الثابت أن ثمة ظواهر معجمية لا يمكن وصفها الوصفَ الملائم إلا إذا أخذت بعين الاعتبار جوانبُها التداولية. ونورد هنا على سبيل المثال لا الحصر بعضا من هذه الظواهر مع ما يمكن اقتراحه، في إطار النحو الوظيفي، لرصدها والتمثيل لها.

(1) بينا في مكان آخر (المتوكل 1971) أن الأفعال الدالة على التنقل المكاني يرتبط استعمالها بالموقع الذي يوجد فيه كل من المتكلم والمخاطب أثناء التخاطب. وتنقسم هذه الأفعال، من هذا المنطلق، إلى قسمين: أفعالا تستعمل حين يكون التوجه نحو موقع المتكلم أو موقع المخاطب (أو موقعهما معا)، وأفعالا تستعمل حين يكون التوجه نحو موقع آخر (غير موقعي المتكلم والمخاطب).

ففي اللغة العربية تُستعمَل الأفعال «**أتى**» و«**جاء**» و«**قدم**» و«**رجع**» و«**آب**» في الحالة الأولى بينما تستعمل الأفعال «**ذهب**» و«**عاد**» و«**رَحل**» و«**نَزَح**»... في الحالة الثانية. ولا يمكن أن يتعاقب في نفس السياق فعلان ينتميان إلى هاتين الزمرتين كما يتبين من المقارنة بين طرفي الزوجين التاليين:

(1) أ- سيأتي خالد هنا حالا

ب- * سيذهب خالد هنا حالا

(2) أ- سيذهب خالد إلى بلد بعيد

ب- * سيأتي خالد إلى بلد بعيد

(2) ومن المعلوم أن من المعاني الملازمة للتصغير معنيي «**التحقير**» و«**الاستلطاف**». وهذان المعنيان، كما هو واضح، لا ينتميان إلى ما يمكن تسميته «**الدلالة الموضوعية**» وإنما يتعلقان بالوجهة؛ أي: بموقف المتكلم إزاء ذات (شخص أو شيء) ما. فهذان المفهومان، إذن، مفهومان تداوليان أكثر منهما مفهومين دلاليين. وعلى هذا الأساس يمكن أن نقول إن لظاهرة التصغير جانبا تداوليا لا يقل أهمية عن الجوانب الأخرى.

(5) ويمكن أن نورد في نفس السياق ما ثبت في أدبيات كثيرة عن البعد التداولي لظاهرة البناء للمجهول. يُستخلص من هذه الأدبيات أن المقصود من اللجوء إلى بنية المجهول عوضا عن بنية المعلوم مقابلتها هو جعل غير الموضوع الأول محطا للحديث عوضا عن الموضوع الأول. فالفرق بين الجملة (3أ) ومقابلتها (3ب) هو أن محط الحديث في الحالة الأولى الموضوع الأول «**عمرو**» وفي الحالة الثانية

الموضوع الثاني «**هند**»:

(3) أ- قتل **عمرو** هندا

ب- قُتِلت **هند**

مفادُ هذا، في إطار النحو الوظيفي، هو أن من بين التغييرات التي تحدث حين الانتقال من بنية المعلوم إلى بنية المجهول نقل الوظيفة المحور من الموضوع الأول وإسنادها إلى غيره.

ليست الظواهر (أ) و(ب) و(ج) إلا أمثلة للظواهر المعجمية التي لها بعد تداولي واضح والتي يستلزم وصفُها الملائمُ إدراجَ خصائصها التداولية في التمثيل لها.

بقي الآن أن نتساءل عن الكيفية المثلى التي يمكن أن تُرصَد بها هذه الخصائص.

لا يمكن، في رأينا، أن نفكر إلا في الإمكانين التاليين:

(1) التأشير للخصائص التداولية في الإطار الحملي للمحمول المعني بالأمر. ويكون ذلك إما بواسطة قيود الانتقاء أو بواسطة الوظائف التداولية.

ولنمثل للطريقة الأولى بالإطار الحملي للمحمول «**أتى**» الذي يمكن أن يصاغ بالشكل التالي:

(4) أ ت ي {**فَعَل**} ف (س$_1$: >**حي**<) منف

(ص$_1$: >موقع التخاطب<) هدف

يُستغنَى في هذه الحالة عن التأشير للخاصية التداولية في تعريف المحمول الذي يمكن صَوغه بالنسبة إلى الفعل «**أتى**» على النحو التالي:

(5) ن ق ل {افتعل} ف (س$_1$) منف (ص$_1$) مصدر (ص$_2$) هدف

أما التأشير عن طريق الوظائف التداولية فيكون واردا بالنسبة إلى قاعدة تكوين كقاعدة البناء المجهول حيث يؤشر لعملية نقل المحور من بين التغييرات التي تطرأ على الإطار الحملي الدخل. على هذا الأساس يمكن صوغ قاعدة تكوين المحمولات المبنية للمجهول كالتالي:

(6) **قاعدة تكوين المبني للمجهول** (من الثلاثي):

دخل: س س س {فَعَل} ف (س$_1$) منف مح...

(س$_ن$) متق / مستق بؤ

خرج: س س س {فُعِل} ف (س$_{ن}$) متق / مستق مح
معنى: «يتحمل (س$_{ن}$) الواقعة الدال عليها الإطار الحملي الدخل»

مثال ذلك القاعدة المسؤولة عن اشتقاق الفعل «**قُتِلْ**» من الفعل «**قَتَلْ**»:
(7) **دخل**: ق ت ل {فَعَل} ف (س$_1$) منف مح...
(س$_2$: > حي < متق بؤ
خرج: ق ت ل {فُعِل} ف (س$_2$) متق مح
معنى: «يتحمل (س ن) الواقعة الدال عليها الإطار الحملي الدخل».

(2) الإمكان الثاني المتوافر في التصور الحالي لمخزن المفردات ووضعه داخل القالب النحوي هو أن يؤشّر للخصائص التداولية بواسطة التعريف الوارد إما في المدخل المعجمي (إذا كانت المفردة مفردة أصلا) أو في الشق الثالث من قاعدة التكوين (إذا كانت المفردة من المفردات الفروع). وهذا الإمكان نفسه إمكانان:
(1) قد يُفرَد للخصائص التداولية تعريف قائم الذات بالإضافة إلى التعريف الدلالي الذي سبق التفصيل فيه. على هذا الأساس، يرد تعريف المحمول «**أتى**»، مثلا، منقسما إلى شقين: تعريف دلالي صرف وتعريف تداولي يرصد الخاصية التداولية ويأتي مكمّلا للتعريف الدلالي.

(8) أ ت ي {فَعَل} ف (س$_1$: > حي < منف
= ت د =
«ن ق ل {افتَعل} ف (س$_1$) منف (ص$_1$) مصدر (ص$_2$) هدف»
= ت دا =»(س2) = موقع التخاطب»
حيث: ت د = تعريف دلالي؛ ت دا = تعريف تداولي.

(2) ويمكن، أيضا، أن يوسّع التعريف الدلالي توسيعا يُمكّنه من استيعاب الخصائص التداولية بالإضافة إلى الخصائص الدلالية الصّرف. في هذه الحالة، وبفضل عملية التوسيع هذه، لا نَحتاج إلا إلى تعريف واحد يشمل الخصائص الدلالية والتداولية كما يتبين من التعريف الموسّع للمحمول «**أتى**»:

(9) أ ت ي {فَعَل} ف (س1: > حي < منف
= ت =
ن ق ل {افتَعل} ف (س1) منف (ص1: > **غير موقع التخاطب**<) مصدر (ص2: > **موقع التخاطب** <) هدف

تتساوى هذه الإمكانات جميعها من حيث إنها كلّها تتلاءم والتصور الحالي للمكون المعجمي في نظرية النحو الوظيفي. إلا أنها تتفاوت من حيث معايير أخرى كالكلفة والطبيعية والقابلية للتعميم... فبالنظر إلى هذا المعيار الأخير، مثلا، يمكن القول إن إمكان إدراج الخصائص التداولية في التعريف الموسّع الموحّد هو أفضل المساطر التي اقترحناها للتأشير لهذا الضرب من الخصائص. فالتأشير بواسطة الوظائف التداولية لا يلائم إلا (بعض) القواعد الاشتقاقية كما أن التمثيل للخصائص التداولية بواسطة السمات الانتقالية لا يتأتى إلا حين يتعلق الأمر ببعض المحمولات. فليس من الممكن تعميم أحد هذين الإمكانين، في حين أن مسطرة التعريف الموسّع الموحّد قابلة لأن تفي بالمطلوب في جل الأحوال إن لم يكن في كلّها.

إذا اعتمدت هذه المسطرة أصبح إدماج المفردة المعنية بالأمر يتم على الشكل التالي:

أولا، يؤشر للخاصية التداولية في البنية التحتية للجملة (بواسطة مخصص، عامة)؛

ثانيا، على أساس التأشير لهذه الخاصية في البنية التحتية تُنتقَى المفردة المناسبة؛ أي: المفردة التي تطابق خاصيتها التداولية المرصودة في مدخلها المعجمي الخاصيةَ التداولية المؤشر لها في البنية التحتية.

لنأخذ مثالا لذلك (1) المكررة هنا اللتذكير:

(1) سيأتي خالد هنا حالا.

البنية التحتية (الجزئية) لهذه الجملة هي البنية (10):

(10) [خب وي: [سق وي: [غ تا [س س س {...} ف]
(ع1 ذ س1: خالد) منف فا مح
(ص1: م0) هدف (ص2: حال زم]]]]

يُلاحظ أن البنية (10) تشكل «**حملا مفتوحا**» في محلّين، محلّ المحمول ومحلّ

اللاحق الهدف. كما يلاحظ أن محل اللاحق الهدفَ مؤشّر فيه إلى موقع التخاطب م0. هذا المؤشّر هو الذي سيُنتقَى على أساسه محمول الجملة؛ أي: المحمول «**أتى**» الذي يتضمن تعريفُه الدلالي الموسع خاصية كون لاحقه الهدف موقعَ التخاطب كما يتبين من المدخل المعجمي (11). ولنلاحظ، بهذه المناسبة أنه من الممكن، توحيدا للتأشير، أن نصوغ التعريف الدلالي لهذا المحمول كالتالي:

(11) ن ق ل {افتَعل} ف (س$_1$) منف (ص$_1$: # م0) مصدر
(ص$_2$: م0) هدف

حيث م0= موقع التخاطب

ويُتّخذ نفس المؤشر م0 معلومةٌ أساسية لإدماج الحد اللاحق. «**هنا**». وبإدماج المحمول واللاحق الهدف نحصل على البنية التحتية التامة التحديد التالية:

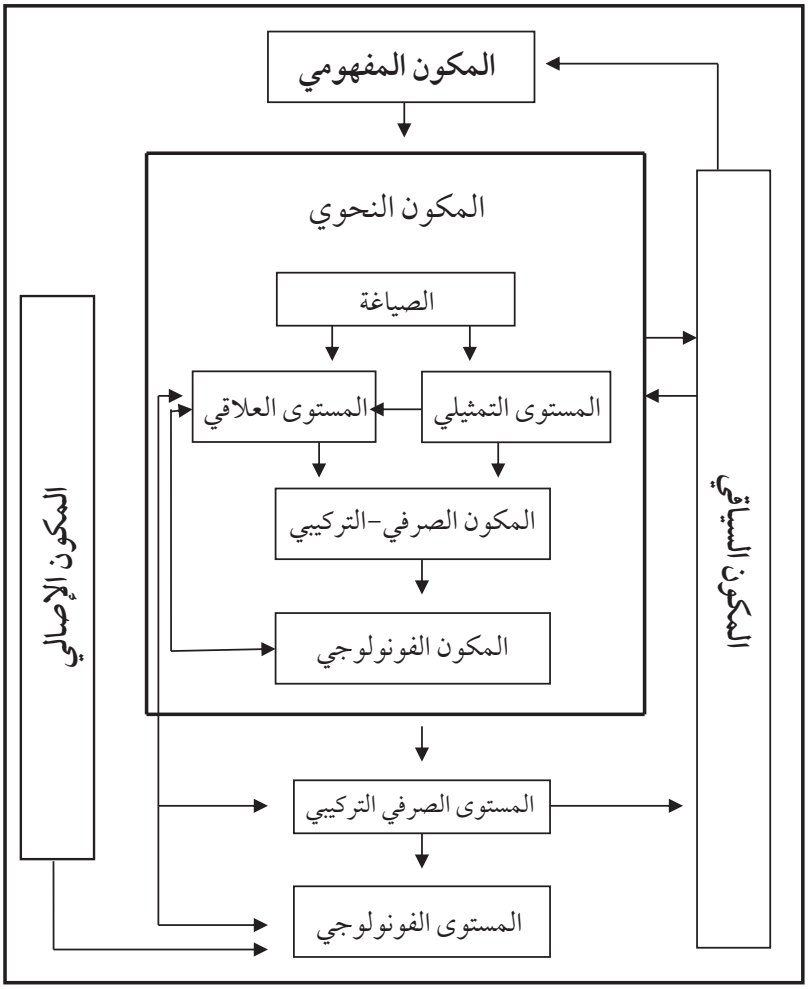
(12) [خب **وي**: [س ي: [سق وي: [غ تا أ ت ي {فَعَل} ف
(ع$_1$ ذ س$_1$: خالد) منف فا مح
(ص$_1$: هنا) هدف (ص$_2$: حال) زم]]]]

هذه الإمكانات جميعها (بما فيها إمكان توسيع مفهوم التعريف الدلالي ليستوعب الخصائص التداولية) مجرد اقتراحات تَظل رهينة بالتصور الحالي للمخزِّن المفرداتي، وضعِه ودورِه، في القالب النحوي. وقد يتم التفكير مستقبلا في إعادة النظر في هذا التصور فتقدم اقتراحات أخرى ملائمة للتصور الجديد.

وفي هذا الاتجاه يمكن أن يُفكّر في موضعة المخزن المفرداتي، باعتباره قُويلبا من قوَيلبات القالب النحوي، بحيث يصبح مفتوحا مباشرة على القويلب التداولي (القوة الإنجازية، الوظائف التداولية، الوجهة...) فيتيسر بذلك رصد التفاعل بين هذه المقولات التداولية والمفردات الموسومة تداوليا. وبما أن ما قلناه عن العلاقة بين المعجم والتداول يصدق كذلك على العلاقة بين المعجم والبعد الاجتماعي (انتماء المفردات إلى لُغَيّات طبقية أو إقليمية...) فيجدر كذلك التفكير في مدّ الجسور بين المعجم والقالب الاجتماعي فتكون بذلك مقاربتنا للوحدات المعجمية مقاربة قالبية تستخدم، داخل نموذج مستعمل اللغة الطبيعية، قوالب أخرى إضافة إلى القالب النحوي شأنها في ذلك شأن مقاربة العناصر اللغوية الأخرى (صرف، تركيب، وأصوات...).

مثل هذا التصور لهندسة النمذجة يتاح في إطار نموذج «نحو الخطاب الوظيفي» كما يقترحه هنخفلد وماكنزي (2008) حيث الربط قائم بين «المستوى التمثيلي» (المعجمي الدلالي) و«المستوى العلاقي» (التداولي) في «المكون النحوي» وبينهما وبين «المكون السياقي» (الاجتماعي):

(13) نحو الخطاب الوظيفي



المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

- إسماعيلي علوي، ح. (2004). قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية. *عالم الفكر*، 33(2).
- إسماعيلي علوي، ح. (2009). *اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته*. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- البوشيخي، ع. (1998). *قدرة المتكلم التواصلية وإشكال بناء الأنحاء* (أطروحة دكتوراه). كلية الآداب، مكناس.
- البوشيخي، ع. (2012). *التواصل اللغوي: مقاربة لسانية وظيفية*. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
- المتوكل، أ. (1988). *قضايا معجمية: المحمولات الفعلية المشتقة في اللغة العربية*. الرباط: اتحاد الناشرين المغاربة.
- المتوكل، أ. (1992). مبدأ الوظيفية وصياغة الأنحاء. *مجلة المناظرة*، 1.
- المتوكل، أ. (2012). *اللسانيات الوظيفية المقارنة: دراسة في التنميط والتطور*. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- المتوكل، أ. (2014). المكون السياقي في نحو الخطاب الوظيفي. *مجلة بيان*، 1.
- المتوكل، أ. (2016). *المنهج الوظيفي في البحث اللساني*. بيروت: منشورات ضفاف.
- المتوكل، أ. (2022). *في اللسانيات العربية الوظيفية*. الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

باللغة الأجنبية:

- Dik, S. C. (1997a). The theory of functional grammar. Part 1: The structure of the clause (2nd rev. ed., K. Hengeveld, Ed.). Berlin: Mouton de Gruyter.
- Dik, S. C. (1997b). The theory of functional grammar. Part 2: Complex and derived constructions (K. Hengeveld, Ed.). Berlin: Mouton de Gruyter.
- Hengeveld, K., & Mackenzie, J. L. (2008). Functional discourse

grammar: A typologically-based theory of language structure. Oxford: Oxford University Press.

- Moutaouakil, A. (1971). Les procès orientés en français (DES thesis). Faculté des Lettres, Rabat.
- Moutaouakil, A. (1989). Pragmatic functions in a functional grammar of Arabic. Dordrecht: Foris.
- Moutaouakil, A. (1997b). Discourse ambiguity: Idioms and de-idiomatized idioms. In C. Butler et al. (Eds.), A fund of ideas: Recent developments in Functional Grammar. Dordrecht: Foris.
- Moutaouakil, A. (1998). Benveniste's 'Récit' and 'Discours' as discourse operators in Functional Grammar. In M. Hannay & A. M. Bolkestein (Eds.), Functional grammar and verbal interaction (pp. xxx–xxx). Amsterdam: John Benjamins.
- Moutaouakil, A. (2004). Discourse structure, the generalized parallelism hypothesis and the architecture of Functional Grammar. In J. L. Mackenzie & M. Gómez-González (Eds.), A new architecture for Functional Grammar. Berlin: Mouton de Gruyter.
- Moutaouakil, A. (2005). Exclamation in Functional Grammar: Sentence type, illocution or modality? In C. de Groot & K. Hengeveld (Eds.), Morpho-syntactic expression in Functional Grammar. Berlin: Mouton de Gruyter.
- Moutaouakil, A. (2006). Functional grammar and Arabic. In Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics (Vol. II). Leiden: Brill.
- Moutaouakil, A. (2018). Issues in functional Arabic linguistics. In A. Benmamoun & R. Bassiouney (Eds.), The Routledge handbook of Arabic linguistics. New York: Routledge.
- Moutaouakil, A. (2022). Grammaire fonctionnelle et discours: De quelques problématiques et approches. Publications de la Faculté des Lettres, Rabat.

سوسير ذو الوجه الواحد

أ. د. مبارك حنون

معهد محمد السادس للقراءات والدراسات القرآنية

mbarek.hanoun@outlook.com

https://orcid.org/0009-0008-8098-1617

الملخّص

نحاول، في هذه الدراسة، تقديم البرنامج البحثي السوسيري في وجهه «الجديد» وذلك بعقد مقابلة بين «محاضرات» و«كتابات» لنقف على بنية فكرية وتصورية ومنهجية واحدة وبذلك تردم الهوة الفاصلة بين لسانيات اللسان ولسانيات الكلام لنبني وحدة اللسانيات. وهو ما سمح لنا بعرض مساهمة كبيرينا Guberina التي دمج بموجبها اللسان والكلام في بوتقة واحدة. وتلك شهادة أخرى على أن الثنائية لا تفضي إلى الطلاق؛ بل كانت وقت طرحها لا تعدو كونها إعطاء الأولوية للدراسة النسقية وبذلك لا يتنافى طرفا الثنائية. وفي هذا السياق، تأتي مساهمة كبيرينا واعتبارها التطوير المنطقي أو التطبيق المنطقي لما جاء في «كتابات».

الكلمات المفاتيح: الكلام، اللغة، المقام، السياق، الأسلوبية، التنغيم، الإيقاع، نحو الكلام، اللغة الشفوية، قيم اللغة المنطوقة.

THE ONE-DIMENSIONAL SAUSSURE

Prof. Mbarek Hanoun
Mohammed VI Institute for Quranic Readings and Studies
mbarek.hanoun@outlook.com
https://orcid.org/0009-0008-8098-1617

ABSTRACT

In this study, attempt is made to present de Saussure's research program in its "new" form, by comparing "lectures" and "writings" to obtain a single intellectual, conceptual, and methodological structure, thus bridging the gap between linguistics of langue and linguistics of parole to build the unity of linguistics. This allowed us to present the contribution of Guberina, in which langue and parole were combined in one entity. This is another testimony that dichotomy does not lead to exclusion. When it was introduced, it was only meant to grant priority to the systematic study, and thus the two elements of the dichotomy do not contradict one another. In this context comes Guberina›s contribution, which is considered as the logical development or logical application of what was stated in "writings".

Keywords: langue, parole, language, co-text, context, stylistics, intonation, rhythm, grammar of speech, oral language, spoken language values.

مقدمة

مع اكتشاف نص **في الماهية المزدوجة للغة**، يعرف المشروع العلمي لسوسير Saussure تغييرا حاسما وإعادة قراءة منتجه الكلي؛ لأن مشروعه في ثوبه «الجديد» يختلف، نسبيا وفي بعض المواطن الفكرية الحساسة، عن الكتابات السابقة وفي القلب منها **محاضرات في اللسانيات العامة**. نحتاج، إذن، إلى قراءة جديدة لمختلف نصوص سوسير، وإلى تأويلات غير مألوفة يتطلبها السياق والمقام والتدخل للتخفيف من حدة الأزمة التي تعرفها اللسانيات.

لقد سبق لنا (حنون، 2019) أن الأمور الاستراتيجية التي تستوقفنا تشمل التصور الأساسي والمركزي للغة التي لم تعد تقبل بانشطارها إلى قسيمين متنابذين: اللسان والكلام. والجميل الآن، هو أننا لم نعد نركن إلى التأويل، بل صرنا قادرين على الوقوف على ما يثبت ذلك من نصه الجديد أساسا **في الماهية المزدوجة للغة**. وقد يترتب على هذه المراجعة ما قد يجدد المشهد اللساني ويسهم في مراجعة القضايا العلمية. وقد جنح الكثير من الباحثين إلى القول بأن **كتابات في اللسانيات العامة** تسمح بأن نقرأ سوسيرا آخر مختلفا عن سوسير كل من بالي Bally وسيشهاي (Sechehaye، 1916) وسيرا آخر مختلفا عن كودل (Godel، 1957)، وعن سوسير الطبعة النقدية لأنجلر (Engler، 1967–1974). إنه، المفكر الذي أعطى الأولوية للخطاب قبل بونفونيست Benveniste وغيره (Meschonnic، 2005، ص. 10) وبينما عثر البعض على تناقضات بين ما جاء في **المحاضرات** وما جاء في **كتابات**، لم ير البعض في بالونة التناقض ما قد يزعزع البناء التصوري لسوسير. وقد أرجع هؤلاء هذا الأمر إلى القدرات التأويلية للقارئ. ونذكر على سبيل المثال أن ثنائية السانكرونية والدياكرونية كانت هي الثنائية الأكثر مثارا للجدل وذلك منذ 1916، فيما عارض باحثون آخرون، وهم قلة، ثنائية اللسان والكلام (Alpatov، 2018، ص. 369)، وإن كانت قد ألقت بظلالها على مصير اللسانيات.

سنعمل، أولا، على تقديم المشروع السوسيري في «وجهه» الجديد ومفاصله الجديدة، وكذا في «وجهه» القديم. غايتنا هي أن نقرب إلى القارئ خريطة التفكير اللساني السوسيري المؤتلفة في اختلافها والمختلفة في ائتلافها، وقياس المسافة الفكرية الفاصلة بين مضمون **المحاضرات** ومضمون **في الماهية**. ومن البدهي ألا نرمي، من هنا، إلى عرض تقديم مفصل لحركية التفكير عند سوسير، بل سنوجز ما أمكننا ذلك حريصين على ألا يتسرب أي خلل إلى ما سنعرضه.

لقد سبق لنا (حنون، 2019) أن حاولنا الدفاع عن سوسير واحد ومتعدد في الآن ذاته، سوسير جند كل كفاءاته ليؤسس الدرس اللساني العام وليفتح الباب أمام اتجاهات ومدارس مختلفة، مثلما حرصنا على أن نكشف عن خيط ناظم فكري وإبيستيمولوجي جامع لمختلف كتابات سوسير ومحاضراته. نريد اليوم أن نمضي قدما وفق نفس النهج الفكري لنقابل بين تصوره المعروض في **محاضرات**، والتصور المبسوط في **كتابات** في محاولة منا للوقوف على بنية فكرية وتصورية ومنهجية واحدة لا تناقض فيها. غير أن القول بذلك لا يمنعنا من تشريح لمفهومي اللسان والكلام وضرورة تطويرهما للخروج من النفق التجزيئي للسانيات وبناء وحدة اللسانيات الشاملة.

إننا نعتقد أن لسوسير «وجها» واحدا لا تخفي ملامحَه الأساسيةَ التلويناتُ الواردةُ في **محاضرات** كما في **كتابات**، مع أنه علينا أن نستحضر أن الفكر النظري الوارد في المعلمتين معا قد كان فكرا في طور التبلور، وأن **محاضراته** و**كتاباته** تشكل معلمة لا جوابا نهائيا (Pavelin، 2015، ص. 294). ونتدارك فنقول إن هذا الوجه الواحد وجه متعدد بالضرورة.

وفي كل الحالات، فإننا نذهب إلى أن كتابات قد استكملت، ضمنا أو صراحة، صورة اللسانيات ومفاهيمها، وسدت نواقص، ورفعت التباسات، وإن كنا نرى أن النصوص السابقة قد أبقت الباب مفتوحا أمام تأويل يقضي بأن الإعلاء من مكانة اللسان مرده إلى الحرص على تعزيز البعد الداخلي النسقي وتصليب عوده ففي تعزيز هذا البعد تعزيز للسانيات ككل وموطئ قدم صلب للاهتمام بالبعد الخارجي.

سوسير والسوسيرية والبنيوية

لقد شكلت **محاضرات في اللسانيات العامة** معالم توجه في اللسانيات يستهدف تنظيم شؤونها ويرفع من مقامها التصوري والمنهجي. غير أن الحاضنة اللسانية من باحثين وطلاب ومهتمين في فترة ظهور **الكتاب**، لم تكن مهيأة، آنذاك، لمثل هذا الصنيع المنهجي التأسيسي حتى إنها لم تستطع أن تستوعب ما برز في **المحاضرات** من «تناقضات» و«تقاطبات» أو لم تستطع أن تجد تفسيرا لما بدا أنه خروج عن الائتلاف الفكري.

غير أن المناخ العام الأوربي كان مهيأ لاستقبال منتج لساني يدشن مجموعة من

القطائع ويرسيها عبر عنه الفهم العام **للمحاضرات**. فلقد استقبل المناخ الفكري بالأحضان مجموعة منسجمة من طروحات سوسير التي شكلت رصيدا منسجما من الأفكار لما سمي بالسوسيرية والتي ستكون الأسس التصورية لما سيعرف بالبنيوية. وهذا معناه أن ما سمي بالسوسيرية يبقى مجرد تأويل لما جاءت به **محاضراته**، أو يبقى مجرد تغليب لوجهة نظر بدت غريبة وغير مألوفة في الكتابات اللسانية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

وبطبيعة الحال، فالسوسيرية تسمية ناقصة ومضللة؛ لأنها لم تشمل كل المنتج السوسيري المتنوع، بل اقتصرت على بعض ما جاء في **المحاضرات**. وهي بالصفة التي انتشرت بها من خلال المحاضرات، انتقاء فكري يؤسس لما صار يسمى بالبنيوية باشره عدد من اللسانيين والباحثين في حقول معرفية مختلفة. والحال أن **المحاضرات** لا تعكس سوى نشاط، ربما يكون نشاطا أوليا مدرسيا، مكوّن من ترسانة من الأنشطة التي قام بها سوسير؛ بحيث يمكننا الزعم بأن سوسير قد عاش مراحل فكرية بدأت باللسانيات المقارنة فاللسانيات الفيلولوجية لتتوج باللسانيات العامة ممثلة في **كتابات في اللسانيات العامة** دون أن يراد من هذا التحقيب تحقيب خطي. هكذا، يكون سوسير المتكامل هو سوسير المقارن وسوسير اللساني وسوسير الدارس للغة في باقي استعمالاتها (الشعر، الأسطورة، الخرافات...).

ومن جانب آخر، فقد لوحظ أن مقروئية سوسير تسير ببطء شديد. فقد مر نصف قرن لتصبح مقروئية محاضراته حاضرة وبادية للعيان، فيما كان على في الماهية المزدوجة للغة أن ينتظر ضعف ذلك، أي: مئة سنة، قبل أن يسائلنا أي كان (Bergounioux، 2011).

الأسس النظرية للمشروع البحثي عند سوسير

نبدأ بطرح سؤال عما إذا كانت هناك انشطارات تصورية ومنهجية لنجد أنفسنا أمام خيارين متناقضين خاصة وأن المتفحص في أعمال سوسير سيقف على أفكار متماثلة أو متقاربة، كما سيقف على أفكار مغايرة ومناقضة. ومع أن الاختلاف مهم وذو وقع كبير على المشروع البحثي لسوسير، إلا أن أهم الأسس الفكرية تبقى ناظمة لمختلف مكونات النسيج التصوري.

بوسعنا أن نعرض صورة موجزة ومكثفة عن أهم المرتكزات النظرية والمنهجية

في ضوء كل من «التصورين» الواردين في **محاضرات** وفي **الماهية** على التوالي. ونقصد بذلك تحديد مفهوم اللسانيات وموضوعها وصلاتها بالعلوم المتاخمة، ومفهوم اللغة وثنائية اللسان والكلام، والداخلي والخارجي، والسانكرونية والدياكرونية، والمركبية والترابطية، والعناصر اللسانية، والنسق، والقيمة. وربما يحق لنا أن نعتبر أن ما بين **الكتاب (كتابات في اللسانيات العامة)** و**اللاكتاب** (مما نُسب إليه) فيصلا زمنيا لا فيصلا مضمونيا.

ما قبل الكتاب[1]: في تعريف اللسانيات وموضوعها

يفتتح سوسير **محاضراته في اللسانيات العامة** بتأريخ اللسانيات (Saussure، 1984، ص ص. 14–19) وإن كانت هذه **العملية التأريخية** قد اكتست عنده طبيعة تقويمية لكل النظريات السالفة حتى أصبح التأريخ عنده عملية تبصر وإنضاج نظري: إنضاج النظريات المعاصرة له انطلاقا من إعادة بناء واضحة ومتماسكة للنظريات السالفة. وعليه، فقد كان تأريخه لهذا «العلم» إعادة كتابة له ومحاكمة استيعابية لتفاصيله، منه بدأ لينشق عنه. إن الأمر يتعلق، إذن، بإنتاج خطاب آخر، إنتاج منهجية وإنتاج مفاهيم. إلا أن هذه المهمة تفترض تحديدا لموضوع اللسانيات. لكن عملية الإنتاج المزدوجة هاته لا بد من أن تبدأ بالتشطيب على المشاكل المغلوط فيها وتفتيت الوقائع اللسانية حتى يتبين الموضوع العلمي.

وعلى هذا الأساس، يمكننا فهم تداخل **سيرورة بناء الموضوع العلمي بأولويات منهجية –مفهومية– فوجهة النظر هي التي تخلق الموضوع**؛ لأن الموضوع ليس معطى سلفا؛ فهو لا يتماهى والوقائع اللسانية المتراكمة، وليس تلك المادة الخام، لأنه ليس الموضوع الواقعي. بينما موضوعات العلوم معطاة بحيث يتيسر النظر إليها من جوانب مختلفة (Saussure، 1984، ص. 23). إن للسانيات خصوصية، **وخصوصية موضوعها تستدعي التحرر** من الوقائع وتشترط التجرد من القوة التضليلية والإيهامية لهذه الوقائع. أثناء تحديد سوسير لموضوع اللسانيات، انصرف اهتمامه المركز إلى **التصنيف المنطقي لوقائع اللغة وتصنيف زوايا النظر** التي ننظر من خلالها إلى هذه الوقائع. إلا أن كل علم لا يشترط فقط التفكيك، بل يتطلب،

(1) نقصد بالكتاب «كتابات في اللسانيات العامة» ونرمز له بـ«ELG» ونقصد بـ: اللاكتاب ما لم يكن من تأليف سوسير رسميا، ونرمز له بـ«CLG».

في مرحلة ثانية، إعادة البناء. وإعادة البناء شكل نظري تجريدي لا يوافق دوما شكل متطلبات الممارسة، خاصة وأن **اللغة متعددة الجوانب** ولا يحق تقديم جانب منها على آخر واتخاذه نقطة انطلاق كل دراسة. (Saussure، 1984، ص. 25)

إن اللسان عند سوسير ليس **فقط موضوع اللسانيات، بل هو أيضا رافعة البناء النظري السوسيري**. ليس موضوعا ملموسا (ضد الفعل التطوري الملموس، بل هو ذو طبيعة تجريدية (أي: الفعل السكوني التجريدي)، وحضور اللسان في اللسانيات ليس حضور «موضوع واقعي» متحقق، وإنما هو «**حضور معرفي**» سابق على التحقق ولاحق بالتحليل: أي معرفة شبكة العلاقات. فالمعطيات اللسانية لا وجود لها في ذاتها، ولا يمكن النظر إليها في انعزال عن بعضها البعض. إنها ذات طبيعة علاقية (استبدال المفهوم الوضعي «الفعل اللساني» بمفهوم «العلاقة»). وبالنتيجة، فنحن أمام «فعل» لساني جديد نخلقه انطلاقا من زاوية النظر الجديدة هذه. وهذا معناه أن اللسان موضوع مجرد مثالي يفرض كمسلمة نتائج مفهومية ومنهجية من قبيل الطبيعة التي حددت له.

لا غرو، إذن، في تدشين سوسير لعملية تنظيرية: مَفْهَمة للسان ولعناصره كي يبني الموضوع العلمي. وهذه الخطوة النظرية هي بالضرورة **طرح للتأمل في السلالات اللسانية وتخلص من نظرة تفتيتية** للكيان اللساني **وافتراق منهجي عن مجموعة من الاستعارات الكابحة للنظرية** أو على الأقل حصر لها. هكذا، يُبعد من ميدانه النظري استعارةَ «العضوية»: الجسم الحي، أو أنه يُبعد، على الأرجح، حمولتها لصالح مفهوم «**النسق**». ولعله من الملاحظ أن في استدعاء مفهوم «النسق» إشارةً إلى تقدم كبير في التجريد، ومدخلا مفهوميا للموضوع العلمي وعتبةً للمجموع المفهومي الذي سيبلوره سوسير. إن عملية نبذ كلمات (مفاهيم) خاصة بحقل معرفي آخر (تجريبي ومخبري) عملية نبذ للتوهمات وللتطابق المضلل ولضبابية الرؤية. لقد صار بإمكان مفهوم «النسق»، إذن، أن يجعل الكيانات اللسانية قابلة للتحديد المضبوط لأنه المفهوم المهيمن عليها والمنظم لها.

وكان من أهم الاستنتاجات التي استوقفت سوسير خلال هذه المرحلة الأولى أن هناك فرقا مميزا بين **المادة والموضوع**، وهو فرق يكتسي أهمية نظرية قصوى. فإذا كانت مادة اللسانيات تتشكل، بادئ ذي بدء، من مجموع تمظهرات اللغة البشرية على أن نأخذ بعين الاعتبار، في كل مرحلة، كل أشكال التعبير لا اللغة السليمة فقط

واللغة الرفيعة (Saussure، 1984، ص. 20)، فإن موضوعها يجب أن يكون أنيقا. ولهذا السبب بدا موضوع اللسانيات ركاما ملتبسا من الأشياء المتنافرة في غياب وجود رابط بينها (Saussure، 1984، ص. 24).

لقد أثبتت الكثير من المعارف أن أي علم ينشد ما هو عام، ولا ينشغل بما هو متفرد، لذا كان نحو بور رويال Port Royal هاديَه ومرشدَه **نحو الصبغة العامة للسانيات**. أما النحو التقليدي، فعلى الرغم من لاعلميته ونزوعه المعياري الذي يستهدف وضع قواعد لتمييز الأشكال الصحيحة من الأشكال الخاطئة، فهو ذو قاعدة تبقى أقل عرضة للانتقاد، فيما يبدو موضوعه وقد حُدد تحديدا جيدا (Saussure، 1984، ص. 13)، وذلك على خلاف لسانيات فرانتز بوب Frantz Bopp. إن سوسير يبني لسانيات عامة على غرار نحو بور رويال. وعليه، فلا مندوحة من العودة إلى **وجهة النظر السكونية** للنحو التقليدي، لكن بعقلية جديدة وبأدوات منهجية أخرى (Saussure، 1984، ص ص. 13–119). أما اللسانيات التاريخية والمقارنة فقد ساهمت في تشبيب اللسانيات وإن كانت قد ذررت اللسان واعتقدت أن الزمن عامل تطور بينما هو، في حقيقة أمره، لا يعدو أن يكون إطارا لهذا التطور لا غير. (Saussure، 1984، ص ص. 118–119) فيما انشغلت الفيلولوجيا باللسان وبغيره رامية إلى تثبيت النصوص وتأويلها والتعليق عليها. أما النحو المقارن فقد كان يعمل على تفسير أشكال لغة من خلال أشكال لغة أخرى (Saussure، 1984، ص. 13).

لكن اللسانيات، وككل علم، لا بد لها من أن تعتمد على الملاحظة. وبما أن موضوع اللسانيات خصوصي الطبيعة، فالملاحظة العلمية للفعل اللساني لا تتحقق إلا بإدماج العناصر اللسانية في نسق. فالكل هو المجهر الذي ننظر من خلاله إلى العناصر؛ أي أن **الموضوع ليس سابقا على التحليل** (فكلمة طالب يمكن النظر إليها باعتبارها متوالية من الأصوات، أو باعتبارها تعبيرا عن فكرة أو باعتبارها مقابلا لـ Etudiant). ولأن الحقل اللغوي حقل كثيف، فقد استوجبت المقاربة العلمية تبني وجهة نظر منظمة. إن كل فعل كلامي يفترض وجود نسق سابق، وتوظيف اللسان لا يتجلى للملاحظة ما دام هذا التوظيف يفترض تنظيما مجردا لا يعيه المتكلم. ومن البداهة العلمية القول إن الشكل النظري والمثالي لعلم معين ليس دائما الشكل الذي تفرضه متطلبات الممارسة لأنه يتعذر تصور اللسان مادة، **فهو شكل** أي: عبارة عن وحدات متعالقة أساس علاقاتها التعارضُ أو لعبةُ التماثل والتعارض(Saussure،

1984، ص ص. 157–169). وعلى هذا المستوى، تُعرَّف وحدات النسق بمجموع العلاقات والتعارضات، فكانت بذلك كيانات علاقية تعارضية. ويعني **مفهوم التعارض** أن هذه الوحدات مشدودة إلى بعضها البعض وتتطلب بالضرورة التلازم والتعاضد (Saussure، 1984، ص ص. 149–151–163–167). ويفضي الإقرار بذلك إلى أنه لا وجود لأية وحدة لسانية ما لم تنسج علاقة تعارضية مع وحدة لسانية أخرى. ويعود وصف هذه العلائق إلى النسق الشكلي للسان.

ويقتضي منا القول بذلك عد النسق مفهوما محوريا في المشروع النظري لسوسير، وهو، فضلا عن ذلك، **فاتحة أي عمل لساني علمي**. وتعد **الثنائيات اللسانية**، وإن كانت تكتنف كل نقاشات القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فتوضحها أو تلغيها، **عناصرَ في بلورة مفهوم النسق**، وإذن في تحديد الموضوع والمنهج معا. وكلما تحددت الثنائيات انجلى الموضوع وتألق المنهج.

وفي موضوع جدوى اللسانيات والفائدة منها، أشار سوسير إلى أنه من نافلة القول أن تشغل القضايا اللسانية الجميع من مؤرخين وفيلولوجيين الذين عليهم أن يتصفحوا النصوص ليؤكد، بعد ذلك، أهمية اللسانيات بالنسبة إلى الثقافة العامة في حياة الأفراد والمجتمعات (Saussure، 1984، ص ص. 21–22). ومن الواضح أن سوسير قد حدد موضوع اللسانيات في تعارض مع موضوعات العلوم بالنظر إلى أن موضوعها معطى سلفا وسابق على كل وجهة نظر (Saussure، 1984، ص. 23).

وإذا كان العلم نشاطا معقلنا وشكلا معرفيا ينطلق من الواقع ليبتعد عنه، فإنه، بالنتيجة، لا يعدد الوقائع وإنما ينظمها ويُشَكلنها ويجعلها موحدة بعدما كانت متنافرة. ومن ثمة، كان على الباحث أن يُؤَنْسق المادة اللغوية في موضوع معرف ومحدد.

كان ذلك تأطيرا نظريا لتصور العلم وتصور موضوعه وصلاته بتصور موضوعات العلوم الأخرى، وحصراً لمواصفات الموضوع. ومن المتوقع أن يستشهد سوسير بهذه الأسس في النظر في معالجته لموضوع اللغة وللعلم الذي سيتولى دراسته والإحاطة بتفاصيله.

في اللغة واللسان والكلام

لقد رسمت المواصفات أعلاه الملامح الأولى الأساسية لعلم اللسان وخصوصيته وتميزه عن العلوم الأخرى. وكانت تلك مفاتيح أريد لها أن تؤطر «الموضوع الحقيقي والشامل» للسانيات، فتَحُول بذلك دون احترام الحدود

المرسومة للعلم الجديد. من هذه الأرضية سينظر في الموضوع المرشح للسانيات: أهو اللغة أم اللسان أم هو الكلام؟

لقد أعاد سوسير الوقائع اللغوية المختلفة إلى قسيمين متلازمين: قسيم سماه باللسان وقسيم سماه بالكلام. أما اللغة عنده فهي ذات بعدين: اجتماعي وفردي. وهي، في ذات الوقت، نسق قائم وتطور، ومؤسسة اجتماعية ونتاج ماضوي. (Saussure، 1976، ص ص. 24-27-30-31) وهي ذات تمظهرات عديدة، أما اللسانيات فإنها تسعى نحو المعْيَرة والتقييس ونحو موضوع يعتمد على مثالية علمية. إن اللغة بمثابة ملكة تكوين لسان معين أو هي ملكتان: ملكة الترابط والتنسيق. وتلعب هاتان الملكتان دورا كبيرا في تنظيم اللسان بوصفه نسقا. وعن طريق ملكتي الالتقاط والتنسيق تتشكل عند المتكلمين البصمات المشتركة بينهم جميعا. (Saussure، 1984، ص ص. 29-30).

إن اللسان بعبارة تكاد تكون رياضية هو: اللغة – الكلام (اللغة ناقص الكلام). هذه الصياغة قننت العبارة وحسمت المشكل لغير صالح الكلام. وزيادة في توصيف الكلام، يرى سوسير أن الكلام متعدد الأشكال، وهو الأداء الذي يتحكم فيه دائما الفرد، فهو، إذن، ذو طبيعة فردية، بل إنه ليس فرديا فقط، وإنما هو تابع ولاحق وثانوي. إنه فعل إرادة وذكاء. أما اللسان فهو مؤسسة اجتماعية أو نتاج اجتماعي لملكة اللغة ومجموع التعاقدات الضرورية. إنه مؤسسة اجتماعية لكنه ليس مؤسسة تامة الشبه بالمؤسسات الاجتماعية الأخرى. لذلك اعتبره سوسير نسق دلائل(Saussure، 1984، ص ص. 24-25-30-33-37). ظاهر، إذن، أن وحدة اللغة تند عن الإدراك، ولذلك لا يمكن تصنيفها، فيصعب أن تكون مبدأ تصنيفيا. وأما الكلام، وللأسباب المذكورة أعلاه، فلا يمكن أن نتخذه موضوعا للسانيات. ربما يكون اعتبار موضوع اللسانيات موضوعا مزدوجا هو ما يقول به منطق الأشياء.

وبالاستناد إلى ما سبق، فإن موضوع اللسانيات هو مجموعة تمظهرات اللغة التي «يبنيها» اللساني وذلك من خلال تبنيه لوجهة النظر هذه أو تلك، وذلك باختيار ما يهمه من هذا المظهر المادي أو ذاك. (Saussure، 1984، ص ص. 24-25)ولأن اللسانيات نظرية عامة للغة، يكون عليها أن تلغي التفرد؛ ذلك لأن للسان وجودا متميزا وخاصا ومستقلا عن التكيفات النفسية للفرد المتكلم. إن اللسان يفرض نفسه على المتكلم كجسم حي جاهز، كأداة وضعناها بيده. أما دور اللساني فهو دراسة ما

تمتلكه هذه الأداة مما هو جوهري ودائم. لتلك الأسباب، ينبغي أن نتخذ موقعنا، أولا، في حقل اللسان.

ولأن اللسان لا يقبل هذا التباين وهذا التنافر، فهو مبدأ تصنيفي ومعيار لكل التجليات اللغوية الملموسة. (Saussure، 1984، ص. 25) وبذلك يكون اللسان صانعا لوحدة اللغة (Saussure، 1984، ص. 27)، بحيث إنه وحده الذي يوفر لنفسه تحديدا مستقلا (Saussure، 1984، ص. 27) بسبب انسجام مكوناته (Saussure، 1984، ص. 32) والدراسة اللسانية ليست مادية لأن ما هو لساني هو نفسي لا فيزيولوجي ولا بيولوجي، (Saussure، 1984، ص ص. 28–29) والنفسي هنا يعني غير المادي وغير الطبيعي. إن النفسي سابق على المظهر المادي، والمظهر المادي خاضع للسيرورة النفسية.

ومن زاوية أخرى، فإن اللسان فرع اجتماعي من اللغة، لكنه مستقل عن الفرد الذي لا يمكنه أن يبدعه ولا أن يعدله (Saussure، 1984، ص. 31). وعليه، فهو المبدأ التصنيفي الوحيد، ولذلك فهو موضوع اللسانيات الذي يمكن دراسته على نحو مستقل ومنفصل. (Saussure، 1984، ص. 31)

ويمكننا أن نعطي لهذه الوحدة الموقع البارز ضمن مجموع وقائع اللغة. وبفضل فهم الوقائع الأخرى بوصفها تابعة، سيكون اللسان هو المركز بينما يكون الكلام تابعا وخاضعا. وهكذا، نكون قد أدمجنا نظاما داخليا في الأشياء التي تهم اللغة. وباختيارنا اللسان مركزا ونقطة انطلاق نكون قد حصلنا على أرضية للانصراف نحو العناصر الأخرى للغة. وعلى الرغم من التباين بين اللسان والكلام، فإن ذلك لا ينفي التعالق والتساند والتكامل بينهما، (Saussure، 1984، ص. 37) وإن صعب قياس درجات التساند والتكامل. وكلما تحققت استقلالية اللسان تحققت استقلالية اللسانيات.

هذا التجريد ينقلنا من الكلمة إلى النسق، كما ينقلنا من حركية الكلام إلى بنية اللسان، إنه الانتقال من المتغير والمتفرد والعرضي إلى الثابت والساكن والجوهري والدائم (Saussure، 1984، ص. 30) ولأن هناك تفاضلا وتمييزا بين اللسان والكلام، فإن أحدهما مركزي وأساسي بينما الثاني هامشي وثانوي (Saussure، 1984، ص. 37). ومن جهة أخرى، ميز سوسير بين داخل اللغة وخارجها. وهكذا، فرَّق بين ظواهر خارجية والجسم اللغوي الداخلي وكل ما هو غريب عن جسم اللسان.

وقد مثَّل لهذا الوضع بلعبة الشطرنج؛ فكون الشطرنج قد انتقل من فارس إلى أوربا يعد من قبيل ما هو خارجي، أما ما هو داخلي فهو كل ما يتعلق بالنسق والقواعد (لسانيات خارجية في مقابل لسانيات داخلية). إن ما هو داخلي هو كل ما يغير النسق إلى درجة ما. (Saussure، 1984، ص. 43) وبهذا المنطق، فاللسان نسق لا يعرف سوى نظامه الخاص (Saussure، 1984، ص. 43). وبالنظر إلى تدخلات الكثير من الحقول المعرفية في الفعل اللساني، وإلى الانشغال بما هو حول الوقائع اللسانية، فقد أصر سوسير على استقلالية اللسانيات حينما عرفها بكونها تدرس اللسان في ذاته ولذاته (Saussure، 1984، ص. 317) فانكشفت بذلك طبيعة اللسان. وضمن هذا المنظور يمثل اللسان وحدة كافية للذهن. لقد صارت اللسانيات علما دقيقا، وعلما موضوعه الواقعة الذهنية (Bouquet، 2007، ص. 55، 2018، ص. 1)

يؤطر كل هذه التعريفات الإصرار على الانتقال من الموضوع الواقعي إلى الموضوع المعرفي، ومن الشيء الواقعي إلى الشيء المفكر فيه دون إغفال العلاقة المنسوجة بين الطرفين. وتلك هي الطريقة المثلى؛ أي طريق الإدراك المعرفي للأشياء، فالملموس لا يُتملّك إلا كملموس مفكّر فيه لأن الملموس ليس كذلك إلا لأنه تركيب لمحددات متعددة أي: أنه وحدة التعدد. وعليه، فالملموس يبدو في الفكر بمثابة عملية تركيبية ونتيجة لا نقطة انطلاق.

إن التعريفات المقدمة أعلاه نسيج في شبكة المفاهيم التجريدية التي بلورها سوسير. ولا نجازف إذا قلنا بأن استحضار الطابع السيميائي للسان وطابعيه الاجتماعي والنفسي ليس إلا من أجل تبيان خاصية التجريد والتعميم التي تطبعه. أي: أن اللسان ليس مدركا على نحو مباشر لأنه لا يستسلم للملاحظة، خاصة ونحن نعلم أن ما هو جوهري في اللسان هو أن تشغيله لا يظهر للعيان.

تدفع بنا هذه النظرة الجديدة للسان إلى القول بأننا أمام منظورين اثنين؛ منظور اجتماعي ومنظور سيميولوجي. بل إن السيميولوجيا لا يؤتى بها إلا من أجل هدفين اثنين: تأسيس استقلالية اللسان ومن ثمة استقلالية اللسانيات، ووقوف ضد النزعة الاجتماعية المغالية كما بلورها وايتناي Whitney.

وفي حديث سوسير عن دورة الكلام يُربَط العنصرُ النفسي بما هو لساني. والعنصر النفسي ذو بعدين فاعل وموجب وسالب. البعد الفاعل والموجب يتصل بتأدية الكلام، والبعد السالب مرتبط بتسجيل اللسان في الدماغ عن طريق الكلام. إن

اللسان يوجد في الجماعة متخذا شكل مجموع البصمات المختزنة في كل دماغ. إنه ثروة موضوعة في أدمغة المتكلمين المنتمين إلى نفس الجماعة بفعل ممارسة الكلام. إنه نسق نحوي ونظام من الأشكال موجود افتراضا في كل دماغ. ولذلك فهو ليس كاملا في أي دماغ، ولا يوجد على نحو أمثل إلا في الجماعة. إنه النموذج الجماعي والمثال الشبيه بالسانفونية ذات الواقع المستقل عن طريقة إنجازها. اللسان، إذن، هو العام والكلي أي: مجموعة الأشكال والتجريدات المنظمة. إلا أنه، بهذه الروح التجريدية، ملموس بحكم أن موضعه هو الدماغ. إنه نمط متميز من الواقع الملموس، وهو نسق يتعذر علينا رؤيته على نحو مباشر، لذا لا مفر من افتراض وجوده، وهو موضوع لا يُتناول إلا عبر مفهومي النسق والنحو أي: عبر العلاقات والقيم والتعارضات. إنه موضوع يخلقه ويبتدعه اللسانيون.

وبناء على ما تقدم، فإن ما لا علاقة له بالنسق لا يعتبر من قبيل ما هو لساني. إذن، فاللسان ذو طبيعة متفردة. وبالنتيجة فهو «مؤسسة سيميولوجية» بالضرورة. إنه نسق شكلي (اللسان شكل لا مادة) والثابت، والساكن والجوهري والدائم.

وبطبيعة الحال، فإن اللسان يتكون من عناصر أو وحدات لا تمتلك تلك الصفة إلا بكونها تنسج فيما بينها نظامين مختلفين من العلاقات. يرتبط أولهما بالإنجاز والتحقيق فيما يرتبط الثاني بالنسق والثروة المختزنة.

المحوران المركبي والترابطي

وبارتباط مع ثنائية اللسان/ الكلام، ينبغي النظر إلى ثنائية المركبي/ الترابطي، ذلك أن السلسلة الكلامية تتحقق بحضور المركب، بينما يتسم الترابط بالغياب. إن الكلمة لا تتحدد إلا بما يجاورها. والتجاور يتخذ شكلين: الشكل الأول يرتبط بالخاصية الخطية للدليل؛ ذلك أن الفعل اللساني خطي؛ إذ هناك الماقبل والمابعد. والعناصر تتحقق في الخطاب الواحد تلو الآخر لتتكون من ذلك سلسلة فتتأسس بفعله هذا علاقات تقوم على الخاصية الخطية التي تستبعد إمكانية النطق بعنصرين في نفس الآن. وعليه، فالمركبات وحدات حاضرة وسلسلة فعلية (Saussure، 1984، ص. 71). وهي ناتجة عن اختيار وتأليف إرادي. لكن المركب في نفس الآن نموذج يُحتذى، وهو نموذج يرتبط باللسان. وبخصوص موطن الأنماط المركبية، فهي موجودة في أذهاننا أولا وقبل أي استعمال. أما الشكل الثاني من

التجاور، فيتعلق بالترابط (Saussure، 1984، ص. 73). إن جعل اللسان موضوعا للسانيات يستلزم، إذن، منع الانطلاق من الظواهر المحققة؛ إذ الأسبقية تعطى للبعد الترابطي، أما المركبات فتستخدم لوضع أصناف المحور الترابطي. ومن الطبيعي ألا يحكم المترابطات المنطق المركبي لأن الكلمات تترابط في الأذهان بطرق غير خطية، فضلا عن أنها وحدات غائبة. ويتميز الترابط بكون كل كلمة توحي بالضرورة بكل الكلمات التي تتشابه معها أو تتقاسم معها عددا من العناصر، وهي الكلمات التي تشكل في الذاكرة مجموعات تقام فيما بينها علاقات مختلفة. ذلك أن كل كلمة تستدعي كلمات أخرى بفضل الترابط وتداعي الأفكار والمعاني والأصوات (Saussure، 1984، ص. 171). وهو ما يسمح لنا بالقول بأن العلاقات الترابطية هي مجموع العلاقات التي يربطها الذهن بالكلمات الحاضرة المحققة. إن العلاقات الترابطية هي السلسلة المحتملة التحقق. يتصف الترابط بكونه افتراضيا لكنه جوهري، وهو الأمر الذي جعل سوسير يحتسبه جزءا من الثروة المستبطنة. ومن ثمة، فالعلاقات عبارة عن نوعين مركبية وترابطية.

السانكرونية والدياكرونية

وإذا كان لا بد من دراسة التطور، فإنه ينبغي، أولا، دراسة الذي يتطور، وفي ذلك اعتبار للزمن لا كعامل تطور، بل كإطار للتطور. هكذا أصبحنا أمام نوعين من اللسانيات: لسانيات سانكرونية (سكونية) ولسانيات دياكرونية.

وإذا كان التعارض بين السانكرونية والدياكرونية يشكل، بالنسبة إلى العلوم التي تتخذ من القيم أداة، ضرورة عملية، فهو يشكل بالنسبة إلى اللسانيات ضرورة مطلقة (Saussure، 1984، ص ص. 15–18). ويهدف سوسير من ذلك إلى إنشاء علم عام وصفي، لذا يتطلب الأمر عزل حالة اللسان عن نشأته وتطوره. وإذا كانت الدياكرونية تأخذ بعين الاعتبار العناصر في تسلسلها التاريخي وتفسر التغيرات اللاحقة باللسان، فالسانكرونية هي وصف العلاقات القائمة بين العناصر المتزامنة (لعبة الشطرنج) (Saussure، 1984، ص. 125).

تفترض دراسة اللسان، كنسق قيم خالصة، شرطا منهجيا خالصا، وهنا تكمن أهمية طرح سوسير لثنائية السانكرونية والدياكرونية بوصفهما حقيقتين لا تلغي إحداهما الأخرى. إلا أنهما نظامان للأشياء وطريقان لا تلتقيان. إنهما عبارة عن محورين: 1.

محور المتزامنات، أي: العلاقة بين الأشياء المتزامنة التي تلغي تدخل عامل الزمن لأن كل ما هو متزامن يتعلق بالنسق في فترة تاريخية محددة أي: النظر إلى العناصر في تشغيلها واشتغالها، والنظر إلى العلاقات التي تربط بينها. وإذا كان اللسان نسقا، فيمكن وينبغي اعتبار كل أجزائه في تلازم سانكروني لأن الأفعال السانكرونية هي التي تخلق النسق (Saussure، 1984، ص. 124).. محور المتعاقبات أي: تتبع تطور اللسان والتغيرات الطارئة عليه. وهذا الأفق الدياكروني لا يرى اللسان، بل يرى سلسلة من الأحداث التي تغيره. هكذا تنشطر اللسانيات إلى شطرين متقابلين هما اللسانيات السانكرونية واللسانيات الدياكرونية.

إن الفعل السانكروني دال، بينما الفعل الدياكروني حدث. وإذن، فللسانكرونية علاقة بالنسق؛ لأن النسق عبارة عن تلازم سانكروني. والنسق لا يتحدد ولا يتكون إلا بالأفعال السانكرونية، بينما تغير الأفعالُ الدياكرونية النسقَ في كل لحظة (Saussure، 1984، ص. 142). ومن الواضح أن اقتطاعا من الزمن يعني مثالية علمية: إن السانكرونية تجريد وبناء، وليست معطى، أما الدياكرونية فهي واقع وملموس (Saussure، 1984، ص. 143). وتعني كلمة السانكرونية «حالة اللسان» في فترة زمنية محددة، بينما تعني الدياكرونية، مرحلة تطور اللسان. وهكذا، يكون تاريخُ لسان معين تاريخَ نسق لساني أي: أن الدياكرونية هي تعاقب سانكرونيات (Saussure، 1984، ص. 143). وبطبيعة الحال، فالسانكرونية تحظى بالاستقلالية. أما الدياكرونية فتفتح المجال في وجه عدد من المتغيرات.

العناصر اللسانية والنسق

كل التعارضات المبسوطة أعلاه ذات طابع إبيستيمولوجي؛ إذ بها تحدد الموضوع والمنهج، وبها تم بناء النسق أو النظام. ومن خلال هذه الأدوات المفهومية وغيرها يجب النظر إلى النظام المفترض للسان. هذا النظام هو نظام عناصر لسانية، ونظام العناصر اللسانية هذا هو النسق. فالبحث عن النسق وعن العناصر اللسانية شيء واحد ومهمة واحدة. وتماشيا مع النهج التفكيري والتصوري، فإن العناصر اللسانية ليست معطاة، لذا ينبغي اكتشافها. وعملية اكتشاف العناصر هي، في الآن ذاته، اكتشاف لعلاقاتها المتبادلة، لأن العنصر اللساني يفترض وجود النسق اللساني. أي: أن العنصر لا يحدد خارج موقعه في النسق وخارج مفهوم القيمة (Saussure، 1984،

ص. 126). إننا نعجز عن تحديد الكلمات إذا لم ننطلق من فرضية ما حول تنظيمها. فالقيمة، إذن، مفهوم محدّد للعنصر اللساني؛ لأن هويته علاقية وسالبة. والعنصر اللساني هو أن يكون ما لا تكونه بقية العناصر الأخرى. إنه متفرد، لذلك، فاللسان لا يعرف إلا نظامه الخاص (Saussure، 1984، ص. 143) فلا تنْفُذ إليه أنظمة أخرى.

وتجدر الإشارة إلى أن العناصر اللسانية لا توجد في ذاتها؛ لأن كل عنصر يبدو كمركز مجرة تلتقي به كلمات أخرى متناسقة مرتبة؛ لأن اللسان كل منظم ودراسته تستلزم الانطلاق من هذا المجموع. فإما الانطلاق من هذا الكل (النسق) وإلا فإن اكتشاف العناصر متعذر، وفي ذلك دعوة إلى ضرورة الانطلاق من هذا الكل المتلازم للحصول على العناصر التي يتضمنها. واللسان كنسق لا يمكننا رؤيته مباشرة، بل لا بد من افتراض وجوده. إن اللسان موضوع مجرد لا يُتناول إلا عبر المصطلحين نسق ونحو أي عبر العلاقات والقيم والتعارضات (Saussure، 1984، ص ص. 145-167-170).

لكن، كيف يمكن التعرف على العناصر؟ إن أداة التعرف على العناصر هي التقطيع: تقطيع الخطاب إلى مكونات متتابعة ومتزامنة، أي: تحديد عدد الوحدات وتمييزها حسب زاوية النظر التي نتبناها سواء كانت صوتية أو دلالية. غير أن التقطيع ليس دائما أداة للتعرف. لذا لا بد من امتلاك القدرة على إيجاد نفس المكون في سياقات مختلفة حيث بالإمكان اتخاذه تجليات مختلفة (اللانهائي، اللاإنساني، اللازم، اللائق، سبر، صبر). ومعنى ذلك، أن هذا النوع من التقطيع لا مردودية له؛ إذ سيكون من باب الاعتباط النظر إلى المادة الصوتية بمعزل عن الدلالة أو العكس. فكلاهما سديم وكلاهما كتلة لا شكل لها (Saussure، 1984، ص ص. 172-175)

يقول سوسير: «فلنتمثل الهواء في اتصاله بمنسوب المياه: فإذا ما تغير الضغط الهوائي يتفكك سطح الماء إلى مجموعة من التقسيمات، أي: إلى موجات: فإن هذه التموجات هي التي تمنحنا فكرة الاتحاد... هكذا الشأن بالنسبة إلى تراوح الفكرة والمادة الصوتية. وعلى هذا الأساس، فأي تقطيع يستوجب أن يأخذ بعين الاعتبار العلاقة الوطيدة بين الوحدات الصوتية والمضمون الذي تحمله. فجملة جاء الولد لا يمكن أن تقطع على النحو التالي: جا+ءلو+لد. (Saussure، 1984، ص. 156).

وخلاصة القول، فالتقطيع لا يوجد خارج النسق اللساني؛ لأنه ليس معطى سلفا. والنسق اللساني هو الذي يضبط العنصر اللساني ويحده (Saussure، 1984، ص.

157). لكن، هل يمكن اعتبار المركبات مجرد تراكب أفكار؟ فكلمة «بستاني» لا تثير في الذهن تجميعا لفكرة البستان ولفكرة الرجل المشتغل فيه ولا تجعلنا نفكر في «إنسان» ثم في الفكرة المعبر عنها بـ «يّ». هذه المسألة تطرح إشكالية تحديد المركب. إن المركب، في نظر سوسير، لا يتحدد إلا بعلاقته بالترابط. فكلمة لاإنساني مثلا غير قابلة للتحليل إذا كانت الصيغ الأخرى المشتملة على «لا» وعلى «إنساني» منعدمة في اللسان المدروس. وهذا يعني أن التقطيع لا يجد مبرره إلا إذا صُنّف التعبير داخل مجموعات مختلفة، ولا تحقق كل وحدة تعبيرية فردانيتها إلا بكونها ممثلة لإحدى هذه المجموعات. ومؤدى هذا الكلام أن ما ينبغي معرفته هو على أي أساس يقوم النظام اللساني قبل إيجاد الوحدات الأصيلة. أي: أن الأمر يتعلق بالعلاقات، بتعارض هذه الوحدات، باختلافاتها التمييزية. إن الحيز الصوتي والدلالي المخصص لدليل معين لا ينتهي إلا حيث يبدأ مجال دليل آخر. هنا نلجأ إلى مفهوم «التقييد السلبي» الذي تمارسه الدلائل على بعضها البعض.

إن النسق هو مجموع عناصر ترتبط ببعضها البعض لتشكل كلّا منظما يمكنه أن يختل كلما حذفنا أو غيرنا عنصرا من عناصره. فاللسان، كنسق، شبيه في ذلك بلعبة الشطرنج؛ إذ هي كلٌّ كاملٌ في تأليف القطع المختلفة، وإذا ما استبدلنا قطع الخشب بقطع عاجية فلا قيمة للتغيير بالنسبة إلى النسق. لكن إذا ما انتقصنا أو زدنا في عدد القطع ومنها، فإن هذا التغيير يمس في العمق نحو اللعبة. ويمكننا أن نقول، إجمالا، إن النسق هو الوسيلة التي تُنظَّم وفقها عناصرُ اللسان. وهو مكون من شبكة من العلاقات بين الوحدات اللسانية. ويتيح ذلك أن نعرّف اللسان بوصفه نسقا من الدلائل، وكل وحدة لسانية تأخذ هويتها من الموقع الذي تشغله داخل النسق.

هذه صورة عن أهم المعالم النظرية للشأن اللساني توخينا فيها إعطاء صورة عن مكونات التفكير اللساني عند سوسير. موضوع اللسانيات، أساسا، هو اللسان منظورا إليه في ذاته ولذاته، أي: دراسة نظام تشغيله في حقبة زمنية محددة علما بأن القوانين الداخلية لكل لسان هي المطلوب اعتمادها في أي وصف لغوي. وعلى الرغم مما لماَ «حول الوقائع» من أهمية، فإن سوسير، بعدما اختار اللسان موضوعا، عاد ليبحث للكلام عن موقع لا يبدو أنه يوازي من حيث حيثياته الموقع الذي للسان. ربما كان الشرط العلمي صماما لم يسمح بمرور الوقائع المتنافرة.

إننا نسجل تقدما هائلا في التفكير اللساني الذي أصبح يهتم بالأدوات اللغوية

وتنظيمها واشتغالها. غير أن هذا التقدم لم يواكبه اجتراح الكلام وتشريحه لاستكمال العملية اللسانية بوجهيها اللساني والكلامي. فهل تحمل **كتابات** في طيها بشائر التطوير والتوضيح؟

مرحلة «كتابات»

أثار ظهور كتاب **كتابات في اللسانيات العامة** زوبعة علمية ومنهجية في صفوف اللسانيين، فتأتى بذلك نهوض قوي لما يسمى بالسوسيرية في حلة جديدة. وقد تمخضت مجمل الدراسات عن مواقف تراوحت بين من يتحدث عن **سوسير آخر مغاير**، ومن ينظر إلى **محاضرات في اللسانيات العامة** من بوتقة **كتابات**، ومن يرى في **كتابات** استمرارية متجددة لسوسير **المحاضرات**. سنحاول، فيما سيأتي تقريب الماهية المزدوجة إلى الأذهان، وفي ضوئها ننظر في طبيعة اللغة وطبيعة اللسانيات وإلقاء الأضواء على لسانيات الكلام في التصور السوسيري الجديد، ثم نطرح بعض تداعيات «الكلام» ولسانياته.

في الماهية المزدوجة للغة

لقد أثبتت مختلف الدراسات اللسانية مدى تعقيد اللغة وتركيبها واحتوائها حقائق متنوعة؛ فصح القول بأن التعقيد ملازم لها، بل إنه مكون من مكوناتها. هذه الفكرة تقودنا إلى القول بأن اللغة كائن مركب ينبغي تحديده في صميميته وذلك بتحديد مجموع الخاصيات التي بدونها لا يمكن أن يكون أو يوجد، أي: أن الأمر يخص ما يكوّن الشيء أي: ما يكوّن اللغة. غير أن هذا الشيء ليس معزولا، بل إنه يقيم علاقات ضدية مع الأشياء الأخرى شريطة عدم التنافي. وبذلك باتت اللغة تتألف من عدد من الثنائيات (أو الأزواج) المتعايشة والمتساكنة أطرافها والمتكاملة والمتعاضدة وغير المتنافية. ومن مزايا مثل هذا التصور القطع مع فكرة تقسيمية تفيد بأن اللغة هي مجموع اللسان والكلام وأن موضوعيهما متباينان. بينما هما معا يعينان موضوعا واحدا. وهذا هو ما يفسر مسألة فهم اللسان، أو اللغة بفضل أربعة، أو خمسة مبادئ، أو حقائق فيما رأى سوسير. وتأسيسا على ذلك، فإن كل وحدة مزدوجة في ذاتها في سبيل أن تكون اللغة مكونة من ماهيات مزدوجة، ومنها: اللسان والكلام. إن اللسان لا يساوي شيئا بدون كلام والكلام لا يساوي شيئا بدون لسان. فلا وجود لأحدهما

بدون الآخر. واللغة، كما أشار إلى ذلك بونفونيست Benveniste، موضوع مزدوج دائما (Benveniste، 1966، ص. 40). فالشيئان لا وجود لهما إلا بالربط بينهما، وهو بذلك ربط ضروري، وإن كان كل منهما ينتمي إلى نظام. وعليه، فالوحدة اللسانية التي تنهض على التميز ذات بُعدين ليشكلا الماهية المزدوجة[1]. هذا التصور يقوم، إذن، على الثنائية المؤسسة للغة وعلى تلازم المكونين. إن سوسير يطرح بذلك النظر إلى ماهية اللغة باعتبارها ماهية مزدوجة. ومن ثمة، يتجلى أن مفهوم الماهية مفهوم مؤسس للغة ومؤسس للسانيات معا (Bouquet، 2017b)، وبان للانسجام والتلاؤم بين طرفي كل مزدوج. ويكون سوسير باعترافه بالماهية المزدوجة للغة قد طرح إشكالية الكلام ليفتح الطريق واسعا نحو لسانيات الكلام ونسقيتها.

ومن بين المفاهيم والثنائيات التي تصدعت بموجبها اللسانيات مفهوما اللسان والكلام. وقد ظهر سوسير في تحليله للغة إلى مكوناتها الداخلية والخارجية مفكرا من مفكري الوقائع المركبة والمعقدة، كما خلص إلى ذلك Bouquet (ينظر2017b).

لا جدال في أن اللغة ظاهرة معقدة وموضوع معقد ومركب (Saussure، 2002، ص. 22)؛ فهي توحي بفكرة التعددية. ومن الطبيعي أن تفتح هذه التعددية الباب نحو وجهات نظر متعددة وعلوم مختلفة صارت روافد لما أصبح يسمى **بعلوم اللغة**. واللغة، بهذه الصفة، موضوع كثيف ومركب ومعقد بحيث يمكن النظر إليها بوصفها موضوعا واقعيا وبوصفها موضوعا علميا لهذا العلم أو ذاك. وتبدو مكوناتها، في نفس الآن، مؤتلفة ومختلفة تشترك فيها الكائنات البشرية وتختلف إلى درجة تجعلنا نقول بأن هناك لغات متعددة بقدر ما هناك من الأفراد. لذا يستدعي أمر بناء موضوع العلم ائتلاف الموضوعات اللسانية، وهو لعمري ضرب من ضروب الاختزال، وهو اختزال سيعالج بالضرورة هذا الموضوع من هذه الزاوية أو تلك والذي لن يكون اللغة في تمامها وشموليتها أبدا.

وعلى الرغم من الازدواجية التي تتصف بها اللغة، فإن ازدواجيةَ اللغة في وحدتها ووحدتَها في ازدواجيتها. إنها مكونة من وقائع متنافرة (Saussure، 2002، ص. 298) وإن كانت قد تقلصت في كتابات ليصبح عددها محصورا. ويستمر تنظيم المشهد؛ إذ تضاف إلى ذلك أنسَقةُ الموضوعات اللسانية. وإلى جانب ذلك، فإن الثنائيات

(1) انظر: (Bouquet، 2017a) للمزيد من التوضيح واستيعاب نسيج الماهية المزدوجة والنسق الفكري المترتب عليها.

ترتبط فيما بينها ارتباطا متينا ولا تعرف تنافيا وتفارقا يحكم على كل طرف بالعزلة. وبمجرد ما اختُزلت اللغة إلى عدد محصور من هذه الثنائيات، فإنها تكون قد توقفت عن أن تكون تعددية مكونة من الوقائع المتنافرة (Saussure، 2002، ص. 298).

يبدو تصور الثنائية، هنا، تصورا جديدا. فطرفاها غير متنافيين مع أننا رأينا أن كل شيء ثنائي في اللغة. والوحدة المنشودة يجب أن تكون ذات وجهين. ولا يفوتنا أن نثبت هنا أن هذه المكونات من طبائع مختلفة؛ إذ تعرف اللغة ظواهر داخلية (أو ظواهر الوعي) وظواهر خارجية، وهي ظواهر ندركها على نحو مباشر(Saussure، 2002، ص. 172)، بل إن اللغة توجد خارجنا وخارج الذهن. وقد يتعقد الأمر كلما تأكد لنا أن الموضوع اللساني ليس مستقلا عن وجهة النظر. وكان من نتائج ذلك أن انشغل سوسير بالحدود الفاصلة بين اللسانيات والعلوم الأخرى، الشيء الذي حتم تبني وجهة نظر منظمة علما بأن وجهة النظر هي التي تخلق الموضوع. إن الموضوع بالنسبة إلى اللسانيات لا يوجد لنبدأ، وليس محددا فيها. ومن ثمة، فإن الحديث عن موضوع وتسمية موضوع ليس غير استحضار وجهة نظر معينة محددة. وربما تبين لسوسير أن اللسانيات ليست علما طيعا ورخوا، وإنما هي علم دقيق، موضوعها الذهن، وهي علم عليه أن يصف التعقيد الأصلي للغة كما هو.

لقد تأكد، إذن، أن اللغة مزدوجة لكونها، في نفس الآن، لسان وكلام. وإذا صحت الماهية المزدوجة للغة، صح معها وجود علم أفسح من علم اللغة (Saussure، 2002، ص. 9). ومن ثمة لا يحتكر جانبٌ من جوانب اللغة الدراسةَ، وهو ما دفع إلى الجزم بالاقتناع بأطروحة نسبية جهات النظر الواصفة. كما أتيحت الفرصة لسوسير ليراجع الفكرة القائلة بالانطلاق من نقطة أصلية ومركزية. ذلك أن كل واقعة لغوية يمكن تناولها من جهات للنظر مختلفة. هكذا، تعتبر اللسانياتُ مفهومَ الاختلاف مفهوما مركزيا في النهوض بالعلم، ومن ثمة، يقر سوسير بوجود وجهات للنظر.

وإذا كانت اللغة مزدوجة أو موضوعا مزدوجا بما يعنيه ذلك من تلازم الوجهين وعدم انفكاكهما عن بعضهما البعض، فقد يتيسر الانطلاق من الماهية المزدوجة للغة إلى الماهية المزدوجة (ينظر Bouquet، 2010، 2013، 2016) أي: جعل لسانيات اللسان ولسانيات الكلام نمطين متكاملين مع إدارة الظهر لمقوم الصفاء والنقاء. يقول سوسير عن هذا العلم الموحّد والموحَّد بين اللسان والكلام (Saussure، 2002، ص. 273): «تشمل اللسانيات قسمين، الأول أقرب كثيرا إلى اللسان،

وهو خزان سالب، والآخر، وهو أقرب ما يكون إلى الكلام، أي: القوة النشيطة والمصدر الحقيقي لظواهر تُدرَك بعد ذلك بالتدريج في النصف الآخر من اللغة». وقد سمى العلم الأكثر فساحة بالسيميولوجيا التي تتركب، في نظره، من الصرافة، والنحو، والتركيب، والترادف، والبلاغة، والأسلوبية، والمعجمية،... والكل جزء لا يتجزأ (Saussure، 2002، ص. 45) وتشمل لسانيات اللسان عنده الصرافة والنحو، والتركيب، والترادف، والمعجمية. أما لسانيات الكلام فتضم البلاغة، والأسلوبية.. وللتنبيه فاللسانيتان لا يجب أن تُفصلا عن بعضهما البعض. أي: أن اللسانيات المزدوجة ستدمج هذين النظامين معا. هذا مبدأ سماه (2008) بمبدأ عدم الفصل، أما المبدأ الثاني فهو مبدأ السَّمْيأة (ينظر ص. 4). وتجدر الإشارة إلى أن هذا الازدواج الداخلي يتحكم في طبيعة اللسانيات التي يجب عليها أن تكون «على نحو أعمق وغير قابل للإصلاح علما مزدوجا» مطلوبا دوما في الازدواجية (Saussure، ص. 210).

وإذا كان بوكي قد أشار إلى أن إبيستيمولوجيا اللسانيات المزدوجة يمكنها أن تربط بين تحليل اللسان وتحليل الكلام (ينظر 2008، 2013)، فإن تهميش الكلام، من زاوية أخرى، هو بمثابة محو للمظهر الثقافي للألسنة وتكريس للمظهر الصوري. وتتميز اللسانيات المزدوجة بتجاوزها لنظام اللسان وتوسيعها إلى نظام الكلام (Saussure، 2002، ص. 91). وفي هذا السياق، يجمل بنا، طلبا للدقة، أن نذكر بأن الكلام يرادف «اللسان الخطابي» (Saussure، 2002، ص. 117). بل إنه يرادف «الخطاب». يقول سوسير: «لم يُبكتر اللسان إلا لأجل الخطاب، لكن ما الذي يميز الخطاب عن اللسان أو ما الذي يسمح، في وقت من الأوقات، بالقول بأن اللسان قد انخرط في الفعل مثلُه في ذلك مثل الخطاب» (Saussure، 2002، ص. 277). إن كل لسان يلج، أولا وقبل كل شيء، ذهننا من خلال الخطابي (Saussure، 2002، ص ص. 117–118). بل إن الخطاب صار يعوض الكلام (Bouquet، 1999، ص. 23). والقول بذلك يفسر لماذا دافع سوسير وكيف دافع بوضوح عن أولوية بُعد النشاط الخطابي واعتباره بُعدا أصليا بالنظر إلى اللسان (Bronckart et al، 2010، ص. 12). وإذا كان مفهوم اللسان قد استوعبه واستدعاه أكثر من لساني، فإن مفهوم الكلام لم ينل مثل هذه الحظوة. لذا، يؤكد راستيي أن المقصود هو لسانيات النص لا لسانيات الدليل (Bronckart، 2010، ص ص. 321–328) علما بأن لسانيات سوسير لا يمكن اختزالها إلى لسانيات

الدليل، لأنها لسانيات النص ذلك أن تحديد الوحدات النحوية قد أُعيد إلى بُعد النص حيث تأخذ هذه الوحدات قيمتها. (Rastier، 2015، ص. 177)

اللسان والكلام نموذجا

أول الاستنتاجات التي يتعين الوقوف عندها هي أن العلاقة بين اللسان والكلام أمتن، وأن عملهما عمل تكاملي وتعاضدي. وبذلك حق لنا أن نزعم أن اللغة نسق ثنائي لكل «نصف» من نصفيها أهميته التي لا تنكر: يعكس أحدهما اختلاف الظواهر اللسانية منذ أصلها، ويتحكم الثاني في الطبائع المتميزة للنسق، إلا أن وجود أحدهما متعلق بوجود الآخر. ونذهب، في هذا المضمار، إلى أن هناك تبادلية دائمة بين اللسان والكلام وأن اللغة تطبيق وتوليد للسان (Saussure، 2002، ص. 129) وأن كل واحد منهما يتوقف على الآخر وتتشكل هوية كل طرف منهما من الآخر. وعلاوة على ذلك، فهما متلازمان ولا يمكن تصور أحدهما دون استحضار الآخر.

ومع أن سوسير قد أحاط بكل جوانب اللسان تحليلا وتفسيرا، فإن لسانيات الكلام قد بقيت، في تصوره، معلقة إن لم نقل مهمشة حتى إن المرء يكاد يقول بأنها قد بقيت فكرة وعناصر وظفها سوسير أساسا لتوضيح صورة لسانيات اللسان وتحديد مفهومه ومواصفاته، بينما ظلت مواصفات الكلام ومفهومه الوظيفي متفاوتي الانحسار في **المحاضرات** و**في الماهية المزدوجة للغة**. بل نكاد نقول بأنها قد كانت عنده مجرد مشروع مفتوح. لقد كان المفهوم يحيل في **محاضرات** على التنفيذ والتحقيق فظل، بذلك، ضامرا، في حين كان يحال عليه في الثاني باعتباره خطابا، علما بأن الكلام قد يعني التأويل.

وفي سياق مراجعة سوسير وتقويم أعماله، انكب ثلة من الباحثين على تشريح مفهوم الكلام (واللغة بطبيعة الحال) لتستوقفهم مواقف وأفكار وملاحظات لا تقل رجاحة وعمقا عما طرحه سوسير. وهي ملاحظات جوهرية نسقية، منها ما ذهب إليه طودوروف Todorov حين تبين له أن مصطلح لسانيات الكلام لم يُمنح مضمونا محددا قط (1967، ص. 500) بمثل هذه المؤاخذات بدأ محو المسافة الفاصلة بين لسانيات اللسان ولسانيات الكلام. ومع أن اللسان هو الأساس، فإنه لا شيء يلج اللسانَ دون أن يكون قد جُرب في الكلام.(Saussure، 1984، ص. 231)

والمتفحص في أعمال سوسير يقر بأنه من المؤكد أن مؤسس اللسانيات الحديثة

لم يف الكلام حقه، تاركا به فجوات خطيرة وغموضا مقلقا. فلنتذكر أنه القائل بانعدام وجود أي مقوم جماعي في الكلام (Saussure، 1984، ص. 38). هذا الحس النقدي هو الذي جعل ميشال أريفي Michel Arrivé ينتبه، مبكرا، إلى أن لسانيات الكلام تشغل، على المستوى الكمي، حيزا متواضعا جدا، إلى درجة اعتبار ذلك «إشارات هاربة» إن لم يكن «صمتا». وقد استخرج أريفي ثلاث مفارقات منها كيف تأتى لسوسير الحديث عن لسانيات الكلام بينما موضوع اللسانيات هو اللسان وأن الجمع بين اللسان والكلام في عبارة واحدة مثير للاستغراب. (1998، ص ص. 3–15) وفي الوقت الذي لاحظت فيه بافلان Pavelin أن لمفهومي لسانيات اللسان ولسانيات الكلام نفسَ الترتيب والوزن، فإن لسانيات الكلام لم تمْثُل أمامنا، في رأيها، إلا من خلال بعض «الإشارات الهاربة» (كيبيرينا، نقلا عن Pavelin، 2015، ص. 293). ومن جهته، لاحظ بالي وسيشهاي أن غياب لسانيات الكلام مسألة في غاية الحساسية. (ينظر كيبيرينا نقلا عن بوكدانكا، ص. 293). فيما لاحظ راستيي أن لسانيات اللسان ولسانيات الكلام قد بقيتا منفصلتين وذلك بسبب عدم تأسيس لسانيات المعايير (Rastier، 2004، 2008، ص.4). إن اللسانيتين، لسانيات اللسان ولسانيات الكلام يوحد بينهما فضاء المعايير. وقد دعا إلى الحاجة إلى بناء تصور غير قائم على التضاد لثنائية اللسان/ الكلام، وباختصار، فلقد كانت الصورة التي قُدم بها الكلام أن اختُزل إلى حدث فردي ولم ينظر إليه على أنه ظاهرة فردية وحوارية واجتماعية (كيبيرينا، نقلا عن Pavelin، 2015، ص. 293).

كان الكلام في **المحاضرات مجرد تحقيق فردي وعملا آليا**، أما صورته في **في الماهية المزدوجة للغة**، فقد انتقل الكلام ليعني القول أو الخطاب. وفي ذلك تعبيد لطريق يعيد الاعتبار إلى الكلام ويحدد مواصفاته ويشرّح خباياه. وقد عمل Guberina مستوحيا من نظرية **محاضرات** عند سوسير والأسلوبية عند بالي Bally، على توظيف شامل لمختلف العوامل المتدخلة في عملية الكلام. وقد مكنه ذلك من اعتبار الكلام مبدأ تصنيفيا مؤكدا أن النقطة المركزية للسانيات الكلام هي الذات المتواصلة. ووفق هذا التصور الجديد، لا تقصي لسانياتُ الكلام لسانيات اللسان، بل إنها تنتهي إلى جمع العديد من مجالات اللسانيات المعاصرة والإشراف عليها (Pavelin، 2015، ص ص. 298–302).

تشكل هذه الانتقادات مرحلة بداية حضور لسانيات الكلام بأكثر من وجه وبأكثر

من تسمية. وكان كيبيرينا Guberina، من بين آخرين، قد انتهى بدوره إلى نفس الحكم ملاحظا أن لسانيات اللسان لسانيات حصرية؛ لأنها لا تعالج تركيب وقائع اللغة ولا تناسبها؛ إذ هي لا تبقي من التواصل التذاوتي إلا على مظهرها الخطي واللفظي علما بأن هذا التواصل يتضمن عناصر كثيرة أخرى يتوجب أخذها بعين الاعتبار في أي وصف شامل للتواصل (نقلا عن Pavelin، 2015، ص ص. 296–297).

تتأسس لسانيات الكلام عند كيبيرينا على دراسة اللغة المتكلم بها التي تأخذ بعين الاعتبار كل وسائل التواصل اللغوي من خلال الكلام، مثلما تأخذ بعين الاعتبار كل مصادر تغيرات التعبير البشري وتنويعاته، والمستويات المختلفة للمشاعر والعواطف (Guberina) (نقلا عن Pavelin، 2015، ص ص. 296–297). وقد وضع كيبيرينا الكائنَ المتواصل ومشاعره في مركز اهتمام لسانيات الكلام في حرص منه على أن تدرس كل استعمالات اللغة في لسانيات للكلام تقترح على نفسها الإحاطة بالأدوات اللغوية في المجالات المختلفة لاستعمالها (Guberina، 1984، ص ص. 85–98، نقلا عن Pavelin، 2015). ويشتمل الكلام الذي تؤطره نظريا لسانيات الكلام على مجموع الوسائل التي تتدخل في استعمال اللغة: ويعني ذلك الوسائل المعجمية والوسائل غير المعجمية أي ما يطلق عليه كيبيرينا قيم اللغة المتكلم بها. (Frankol and Pavelin، 2015، ص. 3)

وعليه، فلسانيات الكلام هي دراسة اللغة المتكلم بها التي تأخذ بعين الاعتبار كل وسائل تواصلنا اللغوي علما بأن اللغة هي مجموعة مكوّنة لنسق وسائل تواصلنا. (Frankol and Pavelin، 2015، ص. 3)، ومجموعة موقفية يعبّر عنها نسق شكلي مناسب لبنية الكلام (نقلا عن Pavelin، 2020، ص ص. 106–107).

وقد كان من متطلبات هذا الاختيار إضفاء بعض الظلال الدلالية المخالفة على عدد من المفاهيم السوسيرية. فكلمة «اللغة» ستكون مطابقة أكثر من «اللغة المتكلم بها» (المنطوقة)، إلا أنها توحي ببُعد أكثر ضيقا من الكلام. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك برامترات عدة من قبيل المقام والوسط الاجتماعي والإدراك لا تندرج منطقيا في لفظة «لغة»، ومن الملاحظ أن الباحث قد استبدل كلمة «الكلام» في لسانيات الكلام بلفظة «اللغة المتكلم بها» (المنطوقة) وحجته في ذلك أن اللغة المكتوبة تغطي بالفعل جزءا هاما جدا مما نسميه بالكلام (Pavelin، 2013، ص. 10). فدرءا لأي التباس وجب أن ننبه على أن اللغة عنده تحققها كل من اللغة المكتوبة واللغة

المتكلم بها (المنطوقة)، وكل لغة هي لغة «متكلم بها» أولا حتى وإن كنا نكتب (نقلا عن Pavelin، 2015، ص. 297). ذلك أن كل لغة هي أولا وقبل كل شيء لغة منطوقة فحينما نكتب يكون علينا أولا أن نحس بكل التنغيمات وكل الإيقاعات من أجل بنينة تعبيرنا الشامل (Pavelin، 2015، ص. 297). وباختصار، فلسانيات الكلام هي لسانيات اللغة المكتوبة أو أنها العلم الذي يدرس اللغة في صيغتها الشفوية أو المكتوبة.

وفي الحقيقة، لا توجد لغة مكتوبة، وإنما هناك فقط اللغة التي يمكنها أن تكون منطوقة أو مكتوبة. فالأدب، مثلا، شكل فني لإمكانات اللغة المتكلم بها (المنطوقة). ومن ثمة، فاللغة المكتوبة مجموعة خطية وقطعية وتطريزية. أما الكلام فهو، في نظريته، ظاهرة اجتماعية، نستعمله باعتباره مجموعة مكوّنة لنسق وسائلنا التواصلية. فأما الفعل الكلامي فهو يضم النحو والكلمات والصرف. إلا أنه يضم، على وجه الخصوص، التنغيمات والإيقاعات والشدة والمواقف والإشارات والميم والإسراع في الكلام والوقوفات (Rivenk، 2012، ص. 149).

وإذا نحن تأملنا هذ العبارات اهتدينا إلى أن لسانيات الكلام، عند كيبيرينا، تخصص إنساني حقا ومقاربة متعددة التخصصات للتواصل والتعبير وفلسفة اللغة (Pavelin، 2015، ص ص. 299–302).

ضمن هذا المنظور، يعالج كيبيرينا Guberina اللغة المتكلم بها باعتبارها جزءا حيويا للكائن المتواصل الذي يستخدم جسده ودماغه وعواطفه بطريقة إبداعية. مستحضرا السياق والمظهر المتعدد الأبعاد ومظهر جهات القول في تنوعها (Pavelin، 2013، ص. 107)

وتقوم هذه المقاربة، كما هو ملحوظ، على إعادة النظر في عدد من المفاهيم السوسيرية، ومنها اللغة واللسان والكلام، من بينها اقتراح استبدال كلمة الكلام من عبارة لسانيات الكلام باللغة المتكلم بها (المنطوقة)، وهي عبارة تغطي بالفعل جزءا كبيرا مما نسميه بالكلام، أي: تغطي المجال الأوسع للغة الشفوية. وإذا كانت كلمة اللغة مطابقة أكثر من اللغة المتكلم بها (المنطوقة) فإنها توحي ببُعد أضيق من الكلام. إن اللسان المتكلم به (المنطوق) هو الكلام ذاته، أما اللغة المكتوبة فلا وجود لها، إنها تحيل فقط على لغة يمكن أن تكون شفوية أو مكتوبة. وتمثل اللغة المتكلم بها (المنطوقة) الماهية المزدوجة للغة البشري (Pavelin، 2020، ص. 106).

وقد بدا لكيبيربنا أنه قد بات من الواجب على الباحثين إحداث نحو للكلام، إحداث نحو أسلوبي يسمى باللسانيات، وبتعبير أفضل: إدخال الشكل الأسلوبي في نحو الكلام (Pavelin، 2013، ص. 106) لكي يكون الكلام ضمن هذا المنظور، بحق، ظاهرة اجتماعية، ويكون، بالفعل، مجموعة موقفية يُعبَّر بها عن نسق شكلي مناسب لبنيته (Pavelin، 2013، ص. 106) هكذا، أُدمجت الأسلوبية في لسانيات الكلام أو بالأحرى في لسانيات اللغة المتكلم بها (المنطوقة) (Pavelin، 2013، ص. 106).

في ضوء ما سبق، صار بإمكاننا أن نسم اللغة بكونها مجموعة دالة مكونة من سلوكات سيميائية مختلفة، تُستخدم بوصفها وسيلة تواصل وتعبير داخل الجماعة اللسانية. وتشمل الماهية المزدوجة للغة اللغة المتكلم بها والكلام المتضمنين في عبارة اللغة المتكلم بها. وبالنتيجة، فإنه يجب أن تُدرس بالنظر إلى بنينة الأدوات المتعددة التي تتوفر عليها الكائنات البشرية في التواصل. غير أن التجليات المتنافرة للغة تبقى مستعصية وغامضة في غياب مبدإ للتصنيف ضامن لانسجام اللغة بوصفها نسقا لسانيا اعتباطيا مستقلا ومحايثا (Pavelin، 2020، ص. 106)

لقد صارت لسانيات الكلام تجمع مختلف الدراسات الموزعة على تنوع اللسانيات المعاصرة لأنها تأخذ بعين الاعتبار النسق اللساني داخل المجموعة اللغوية: الناس والخطاب والسياق والمقام واللغة وتحقيقاتها في الاستعمالات اليومية. وهو ما يفيد وجوب معالجة استعمالات اللغة في إطار لسانيات الكلام. ويتضح، من جهة أخرى، أن بنية لسانيات الكلام، في تصور كيبيرينا، عبارة عن ظاهرة متعددة الأبعاد ودينامية، وأفقية وعمودية في الآن ذاته، فالكلمات تحضر في ذات الوقت الذي يحدث فيه التنغيم وباقي قيم اللغة المتكلم بها. وبالنظر إلى أهمية المقام والسياق المقامي والعلاقات التذاوتية والجسدية، فإن هذه البنية تعد فضائية ذلك أن التواصل فضائي. وتعتبر هذه الفضائية الموطن الدائم للتواصل، أما العلاقات بين المتخاطبين فهي عرضة لتغير مستمر. وتجدر الإشارة إلى أن هذه البنية تسمح بالتغيير المستمر (Pavelin، 2020). ويقول كيبيرينا في مكان آخر: «إن بنية الكلام تصنع في الاشتغال، في فعل الكلام ذاته، بحيث يتعلق الأمر بنوع من البنينة المستمرة والدينامية» (Pavelin، 2015، ص. 301). إن الكلام بوصفه تحقيقا للسان في شكله الشفوي أو المكتوب لا يمكن اختزاله إلى ظاهرة فردية خالصة. فكل

استعمال فردي للسان يفترض الحوار بوصفه فعلا اجتماعيا. وطبيعته الحوارية هي التي تجعل منه فرديا واجتماعيا في الآن ذاته. واللسان والكلام ظاهرتان لا تنفكان. واللسان باعتباره فعلا اجتماعيا يُؤمّن بنية المتطلبات الاجتماعية للكلام. وتنشأ هذه البنية من الاشتغال في خدمة الكائنات المتواصلة. وبهذا المعنى يمكننا وصف بنية الكلام في الخطاب الكتابي كما في الخطاب الشفوي. إن اللغة المكتوبة هي نقل اللغة المنطوقة إلى صيغة مكتوبة، ويساعد فهم تشغيل اللغة الشفوية على حسن فهم نقلها إلى صيغة مكتوبة. إن البنية في لسانيات الكلام ظاهرة متعددة الأبعاد وديناميةعلى مستوى كل من التعبير والمحتوى. إنها بنية كبرى- مجموعة في طور البنينة مكونة من بنيات صغرى بعضها لفظي والآخر غير لفظي أو مقامي. ومن المرجح أن تساهم مكونات البنيات المختلفة المتفاعلة (الصواتية، واللحنية، والإيقاعية والميمية والإشارية والمعجمية والصرف تركيبية والدلالية والتداولية إلخ) في بناء المعنى من خلال القدرة على بنينة المجموع الزائد عن الحاجة الناتج عن االسلوكات العملية في الحدث اللغوي الخاص. إن بنية اللغة ليست هرمية وإنما هي كيفية جديدة تكتسي مكوناتها داخلها قيما انطلاقا من تمام البنية (Pavelin، 2015، ص. 4)

إن بنية الكلام القائمة على اشتغالها تنظم مكوناتها البنيوية في مجموعة غير خطية. فحال تواصلنا، فإننا نستعمل في ذات الوقت الكلمات وقيم اللغة المنطوقة: وهو الأمر الذي يجعل من تعبيرنا تعبيرا غير خطي وغير أفقي وإنما هو عمودي. وفي نفس الآن وعلى صعيد نفس المحور نستعمل الأدوات المعجمية وغير المعجمية (نقلا عن Pavelin، 2015، ص. 301).

وفي سياق هذا الكلام، يلاحظ كيبيرينا أن قيم اللغة المتكلم بها تشكل هي بذاتها وسيلة التعبير المنطقي والأسلوبي؛ إذ تتحقق بوساطتها اللغة، ويغتني التعبير بها من خلال التنوعات الأسلوبية (1938). هذه المقاربة تسمى بالمقاربة اللفظية النغمية وهي جزء لا يتجزأ من لسانيات الكلام. ومن نافلة وجوب دراسة كل استعمالات اللغة في إطار لسانيات الكلام التي تقترح على نفسها أن تحيط بمجموع اللغة. وهكذا، ولمعالجة اللغة يجب أن نلاحظ بنية الكلام في مضمونها المتعدد الأبعاد وتجليات جهات القول المتنوعة.

وتدقيقا لذلك، فإن وقائع اللغة تتحقق كلاما بطريقين: أحدهما يرتبط بالأذن والثاني بالعين. لهذا نعرف لماذا نقسم قيم اللغة المتكلم بها إلى مجموعتين: 1.

القيم الإصغائية، 2. القيم البصرية... وتنتسب إلى القيم الإصغائية الظواهر التالية: أ. التنغيم (اللحن) ب. التوتر ج. زمن الجملة د. الوقوف (الصمت)، في حين تنتسب إلى القيم البصرية الظواهر التالية: الميم، والحركات، والمقام (نقلا عن Pavelin، 2013، ص. 297، 2020، ص. 107) أما تمظهرات جهات القول المتعددة غير الخطية فتتوزع إلى تجليات أكوستيكية (تنغيم (لحن)، ووقف، وسرعة الكلام والشدة والإيقاع وزمن الجملة،) وإلى تجليات بصرية (الميم، ملامح الوجه، الإشارة والسياق الواقعي (Pavelin، 2015، ص. 298).

يصبح اللسانُ اللغةَ المتكلم بها، أي: بإتاحة الفرصة لتدخل عوامل متعددة كان سوسير، قد نبه عليها. فقد قال ذات يوم بأن الكلام هو جماع ما يقوله الناس، وهو يشتمل على تأليفات فردية تابعة لإرادة الذين يتكلمون، وهو أيضا عبارة عن أفعال التصويت الإرادية كذلك والضرورية لتنفيذ هذه التأليفات (Saussure، 1984، ص. 37). لكن الكلام يبقى، مع ذلك، كما رأى سوسير، بمثابة تحقيق للسان وقد اتخذ شكل خطاب. وباختصار، فإن مقاربة سوسير في حالتي **محاضرات** و**كتابات** تقضي بمقاربة الكلام في إطار لسانيات الكلام باعتباره تخصصا علميا مستقلا عن لسانيات اللسان.

ونخلص من ذلك إلى أن لسانيات الكلام هي دراسة اللغة المتكلم بها التي تأخذ بعين الاعتبار كل وسائل تواصلنا اللغوي. هكذا عشنا ونعيش ما يضمن انتقال الدراسة اللسانية من تذرير البنية وأتمتها إلى أنسنة البنية، ومن بنية اللغة إلى بنينة اللغة المتكلم بها (Pavelin، 2013، ص. 103). وفق هذا المبتغى، تعني معالجة اللغة ملاحظة بنية الكلام في مضمونه المتعدد الأبعاد وتجلياته ذات جهات القول المتعددة.

بعد عملية المسح التي قمنا بها في موضوع لسانيات الكلام، يكون المرء قد كون فكرة واضحة عن مسار هذه اللسانيات ويكون الكلام قد استوفى مقوماته. فقد كانت صورته وظلت إلى أمد بعيد ضامرة المضمون. غير أن هذا الوضع لم يمنع من ظهور مقاربات مغايرة للسانيات الكلام أو للسانيات عموما. لم يعد الكلام عملا فرديا طائشا وفوضويا، فقد تجاوز التحقيق وتجاوز الظواهر المصاحبة للغة. لقد صار الكلام ذا مضمون وبعدا اجتماعيا وازنا ونظاما شموليا للغة يستحضر مختلف الأنساق العامة المبرمجة لعملية التواصل. هكذا يكون الكلام قد صار بنية وتكون نسقيته قد اكتملت بتنوع مصادرها ومختلف العناصر المتدخلة. وربما اتضح أن لسانيات الكلام لم تعد شقا غير مجانس للسانيات اللسان. فالتداخل والعلاقات

الحميمية من جنس الاهتمام الواحد والأهداف والغايات الواحدة. وربما بدا أن فصل الكلام عن اللسان كان فصلا إجرائيا لا غير أو كان نتيجة تصور قاصر للغة وتعقيدها ولمقاربتها أو أن الأولوية قد أعطيت للسانيات اللسان في انتظار استواء العلم الجديد وضبط مفاهيمه وآلياته.

خاتمة

لقد حرصنا في نقاشنا للمسافة الفاصلة بين سوسير **محاضرات** وسوسير **كتابات** الاقتصار على ثنائية واحدة والأهمية التي اكتستها في موضوع تطور الفكر اللساني وإفراز مدارس واتجاهات. وقد حاولنا مناقشة وضع الكلام لنقف على قصور في تحديد المفهوم وكذا في الأجرأة، وقد أصر سوسير على العمل ببرنامج بلسانياتين مراهنا على توسيع مبادئ لسانيات اللسان لتطال الكلام، وكذا الحرص على تقاسم إبيستيمولوجي بين لسانيات اللسان ولسانيات الكلام. ومن جهة أخرى، وأمام الهشاشة التصورية والتنظيرية والمفهومية للكلام بالمقارنة مع ما للسان، خرجت من جبة اللسانيات وجبة لسانيات اللسان التباسات مفهومية من أهمها الالتباس الذي حصل بين الكلام والخطاب والقول. وقد كان من نتائج ذلك أن طمحت علوم في الاستحواذ على علم الكلام، أو لنقل إن علوما أخرى وحقولا معرفية جديدة قد بدأت تعرف انتشارا قويا من بينها اللسانيات الاجتماعية واللسانيات النفسية ولسانيات الخطاب ولسانيات النص...

ربما بدا لنا أن بعض المفاهيم السوسيرية بحاجة إلى مراجعة وتدقيق ليتأتى لنا تجسير العلاقة بين **محاضرات** و**كتابات**، وكذا بين لسانيات الكلام والحقول اللسانية الجديدة. وفي ظل تطور الأفكار هذا، بات من الضروري أن نتساءل عما إذا كنا ما نزال بحاجة إلى لسانيات اللسان ولسانيات الكلام، أم أن الماهية المزدوجة للغة تحوي اللسان والكلام مجموعين في مركَّب واحد هو اللغة المتكلم بها (المنطوقة). إن الوجه الواحد هو الوجه المتعدد بالضرورة. وهذا درس يستفاد أيضا من الماهية المزدوجة للغة.

المصادر والمراجع

- حنون، م. (2021)، زعموا أن سوسير بنيوي! مجلة اللساني، المجلد 1، العدد 1.
- Alpatov, V. (2018). De Saussure à Sapir: la linguistique russe récente. Cahiers du Centre de Linguistique et des Sciences du Langage, (57), 179–196.
- Arrivé, M. (1998). Trois paradoxes relatifs à la linguistique de la parole. Gunter Narr Verlag.
- Bergounioux, H. (2011). Introduction à la lecture de «De l'essence double du langage». EPHEP. https://ephep.com
- Bouquet, S. (1990). L'écriture et la langue dans le Cours de linguistique générale de Ferdinand de Saussure. In History and Historiography of Linguistics.
- Bouquet, S. (2007). Contribution à une linguistique néo-saussurienne des genres de la parole (1): une grammaire du morphème on. Linx. Revue des linguistes de l'université Paris X Nanterre, (56), 143–156.
- Bouquet, S. (2008, July). Ontologie et épistémologie de la linguistique dans les textes originaux de Ferdinand de Saussure. Texto!, XVIII (3).
- Bouquet, S. (2010). Du Pseudo-Saussure aux textes saussuriens originaux. In J.-P. Bronckart, E. Bulea & C. Bota (Eds), Le projet de Ferdinand de Saussure (p p. 31-48). Droz.
- Bouquet, S. (2013). Triple articulation de la langue et articulation herméneutique du langage. Arena Romanistica, 12, 86-102.
- Bouquet, S. (2018). Saussure penseur de la complexité: doubles essences et quaternions. Texto!, XXIII (1). http://www.revue-texto.net/index.php?id=3998
- Bronckart, J. P., Bulea, E., & Bota, C. (2010). Le projet de Ferdinand de Saussure. Droz.
- De Saussure, F., Bally, C., Sechehaye, A., & Riedlinger, A. (1984).

Cours de linguistique générale. Paris: Payot. (Original work published 1972).

- Frankol, D., & Pavelin Lešić, B. (2015). Mouvement, geste, parole: les valeurs de la langue parlée dans la correction phonétique. In D. Morris (Ed.), La technologie aux limites de l'humain en didactique des langues. CIPA.
- Gödel, R. (2019). La linguistique de la parole. In De Gruyter (pp. 45-58).
- Pavelin, L. B. (2013). L'affectivité au cœur même de la cognition et du langage: Charles Bally et Petar Guberina. Synergies Espagne, 6, 93-104.
- Pavelin, L. B. (2015). Pour une grammaire de la parole. In Les études françaises aujourd'hui (pp. 121-133).
- Pavelin, L. B. (2020). La linguistique de la parole: de Saussure à Guberina et au-delà. Studia Romanica et Anglica Zagrabiensia, 65, 105–110.
- Rivenk, P. (2013). Charles Bally et Petar Guberina, inspirateurs audacieux de la didactique moderne des langues. Synergies Espagne, 6, 145-159.
- Saussure, F. de, Bouquet, S., Engler, R., & Weil, A. (2002). Écrits de linguistique générale.
- Todorov, T. (1967). Connaissance de la parole. Word, 23 (1-3), 500-517.
- Vilkou-Pustovaïa, I. (2002). De quoi la linguistique de la parole traite-elle chez Saussure? Éléments pour une relecture du CLG à partir des phonologies. Cahiers Ferdinand de Saussure, (55), 115-136.

ترجمة المصطلح التداولي بين الشيوع والصواب

أ. د. هشام إبراهيم عبد الله الخليفة
كلية الآداب الجامعة العراقية
hisham649ibrahim@gmail.com

الملخّص

نعرض في هذا البحث لوسائل توليد المصطلح في اللغة العربية ومنهجية بعض اللسانيين العرب في ترجمة المصطلح اللساني، ولا سيما موضوع الموقف من المصطلح التراثي العربي الموازي للأجنبي الحديث، والموقف من شيوع المصطلح المترجم إذا كان مجانبا للصواب، ومسألة التركيز على المعنى المفهومي أو المعنى الماصدقي في الترجمة. كما قدمنا عرضا موجزا لمنهجيتنا في ترجمة المصطلح مع نماذج من المصطلحات التي ابتكرناها في الترجمة، ونماذج من الأخطاء الشائعة في الموضوع.

الكلمات المفاتيح: المصطلح التداولي، وسائل توليد المصطلح، الشيوع، منهجية ترجمة المصطلح.

TRANSLATING PRAGMATIC TECHNICAL TERMS BETWEEN WIDE USE AND ACCURACY

Prof. Hisham Ibrahim Abdullah Al-Khalifa
College of Arts, Al-Iraqia University
hisham649ibrahim@gmail.com

ABSTRACT

In this paper, we explore the methods of translating linguistic technical terms into Arabic and examine the approaches adopted by some Arab linguists in translating Pragmatic terminology _ particularly regarding their stance on using equivalent terms from the Arabic linguistic tradition versus newly coined terms, as well as the debate between focusing on intentional versus extensional meaning in translation. Additionally, we present a brief overview of our own methodology in translating technical terms, including examples of terms we have coined and common translation errors in the field.

Keywords: Pragmatic Term, Term Coinage Strategies, Wide Use, Terminology Translation Methodology.

مقدمة:

قبل أن أدخل في تفاصيل مشكلة المصطلح اللساني أود أن أذكر الحل لهذه المشكلة، وهو برأيي أن يحصل تنسيق بين الدول العربية ومجامع اللغة العربية فيها... وبالتنسيق مع مكتب تنسيق التعريب في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لإصدار معجم موحد لمصطلحات اللسانيات تضطلع به لجنة من اللسانيين العرب الذين يجيدون اللغات الأجنبية وعلى غرار المعجم الموحد (ج1) الذي أصدرته المنظمة في تونس عام 1989. ولكن يجب العمل بعقلية منفتحة ومن دون تعصب من أي نوع ومن دون شعارات مثل (الخطأ الشائع خير من الصواب غير الشائع). ثم هناك درجات من الشيوع؛ فالمصطلح الشائع في كتب التراث قبل قرون عديدة هو ليس كالمصطلح الذي ابتدعه أحدهم قبل 30 أو 40 عاما. كما أن هناك درجات من عدم الدقة تتراوح في منحنى يبدأ بـ (غير مناسب) ثم (أقل دقة) ثم (غير دقيق) وصولا إلى (الخطأ الواضح)، وتقييم حالة المصطلح يكون بالموازنة بين درجة الشيوع وقِدَمِه ودرجة عدم الدقة. نحن ما زلنا في مرحلة تأسيس المصطلح اللساني والبحث عن الترجمة الصحيحة. فإذا استعمل أحدهم مصطلح (الاستلزام) لترجمة مصطلح (غرايس) implicature ومصطلح (اللاكلامي) لترجمة مصطلح (أوستن) illocutionary، ومصطلح (التلفظ) أو (الملفوظ) لترجمة مصطلح utterance، ومصطلح (عرفني) أو (عرفاني) -وهو مصطلح صوفي- لترجمة Cognitive قبل ثلاثة أو أربعة عقود، فإن ذلك لا يعني أن هذه الأخطاء الواضحة صارت مقدَّسة ولا يمكن إصلاحها لأنها شائعة على الألسن. ثلاثة عقود في عمر الزمن ليست مدة طويلة ونحن ما زلنا في مرحلة البحث والتأسيس. والأمثلة كثيرة من خارج اللسانيات. فقد تم إحلال (متلازمة داونز) محل (المغلية أو المنغولية)، وإحلال (الدرجة السليوسية) محل (الدرجة المئوية) وإحلال (زيمبابوي) محل (روديسيا) وذلك لأسباب مختلفة لا علاقة لها بالخطأ والصواب، فما بالك بالمصطلحات المجانبة للصواب؟

لقد وجدت الكثير من الأخطاء في بعض الترجمات العربية للمصطلح الإنغليزي وبعضها مما لا يمكن السكوت عنه وهو آخذ بالثبات بسبب آفة الشيوع بالتداول مما يتطلب الدخول على الخط وتنبيه المشتغلين بهذا الحقل على هذه الأخطاء التي نبهتُ على بعضها في مقدمات كتبي المنشورة سابقا. فمن ذلك ترجمتهم مصطلح illocutionary إلى الفعل (اللاكلامي) و(اللاعباري)! ظنا منهم أن السابقة (in) التي أُدغمت بكلمة locutionary هي للنفي كما في illegal وincorrect لكن الفيلسوف

(أوستن) أوضح في كتابه (Austin، 1962، ص. 99) بصراحة بأن هذا المصطلح يستعمل للدلالة على الفعل الذي يُنجزه المتكلم بـ قوله أو **في** قوله للكلام؛ أي إنَّ السابقة في المصطلح هي حرف الجر **(in)** أي: **(في)** أو **(الباء)**. فهو مصطلح مركب من حرف الجر وكلمة (كلامي). فالترجمة الدقيقة والمطابقة لمصطلح (أوستن) هي الفعل **البِكلامي** أو **الفيكلامي** وذلك بالاستفادة من وسيلة التركيب في اللغة العربية. ويبدو أن اعتراضي قد وصل إلى بعض الكتاب والباحثين فأخذوا يترجمون المصطلح شرحًا إلى (الفعل المتضمن في الكلام) وهو شرح يسلب الطابع الاختزالي للمصطلح، فضلا عن كونه غير دقيق. فالفعل ليس متضمنا في الكلام وإنما هو حاصل بالكلام وعند النطق به. لكن هذا المصطلح بالطبع أهون من الأول؛ وبعض الشر أهون، كما يقال.

وهكذا وجدتني أركب هذا المركب يحدوني الأمل بإيقاف هذا النزيف من الأخطاء الشائعة قبل أن ينتشر انتشار الوباء بوساطة آفة الشيوع ولإنقاذ ما يمكن إنقاذه وقبل أن يأتينا الجواب المعهود: «إنَّ هذا هو المصطلح الشائع والمستقر، وبديلك المقترح غير معروف». ويُفاقم هذا الوضع ما أطلق عليه مصطفى غلفان «حِدَّة جُنون السبق الاصطلاحي على حساب المضامين المعرفية، الذي يلازم عددًا من الأقلام العربية التي لم تستوعب بعد خطورة ما تقوم به، وما يترتب على (مصطلحاتها من آثار سلبية على الثقافة اللسانية العربية»[1]. (غلفان، 2013، ص. 10)

لا شك إن أغلب الترجمات الشائعة للمصطلح اللساني هي صائبة، لكن هناك عدد ليس بالقليل مجانب للصواب، وهذا هو موضوع البحث. ومما يعقد المشكلة دخول عوامل غير علمية في الموضوع كالتعصب الشخصي أو القطري... وغيرها من المرجعيات غير العلمية. وكذلك مما عقَّد المشكلة احتجاج بعض المدافعين عن تلك الأخطاء الواضحة بتبني مذهب نسبية الحقيقة وأن التصحيحات هي مجرد وجهات نظر تعبر عن رؤية أصحابها ولكلِّ وجهة نظره الخاصة به وأنه لا يحق لأحد أن «يحتكر الحقيقة» أو «يفرض» رأيه على الآخرين.

(1) يقول غلفان إنه لتعذر وجود حل قريب اضطر إلى جرد شامل بالمصطلحات اللسانية الأكثر تداولا بعيدا عن أي قطرية أو محلية متزمتة. وهو محق في هذا وكان حذرا في انتقائه للمصطلحات، وهذا يبين جزءا من معاناة الباحث العربي في مجال اللسانيات، لاسيما الفعليات.

القواعد وحدها لا تكفي:

لقد كتب المعجميون العرب المعاصرون في ترجمة المصطلح ونظروا له وفصلوا في المعايير والمنهجية التي يجب أن تنتهج في ذلك. لكن ما أود قوله إنَّ الترجمة أحيانًا تكاد توازي العمل الإبداعي، فهي، وإن احتاجت إلى القواعد، تتطلب الذوق أيضًا. وأرجو أن لا تكون أصول وقواعد ترجمة المصطلح مثل سرير (بروكرستيز) (Procrustian bed) بحيث تُطبق بتعسف وبصورة آلية. ومن الطريف أن أذكر أن قرارات مجمع اللغة العربية في القاهرة لم تَخْلُ مِنْ تَرْكِ مساحة للذوق؛ إذ أشار القرار (35) إلى السماح باستعمال النسبة مع الألف والنون ما لم يتناف ذلك مع الذوق العربي، وفي القرار (28) يقول: «شرط أن يوافق هذا الاستعمال الذوق ولا ينفر منه السمع»، وتَرِدُ في بعض القرارات أيضًا، عبارات مثل «يُفَضَّل»، و«إذا أمْكَنَ ذلك» و«عِنْدَ الحاجة»، وما إلى ذلك من العبارات المتسامحة. وخلاصة القول: إننا نتبنى الالتزام بالمنهجيات والمبادئ والقواعد، لكن ليس على نحو صارم وعلى حساب الذوق والحس. وهذا ما حاولت عمله عند ترجمة المصطلح الأجنبي، كما سنوضح فيما بعد.

وسائل توليد المصطلح:

يكثر الحديث، في الأدبيات، عن وسائل توليد المصطلح مثل (1) الاشتقاق بموجب أبنية الميزان الصرفي العربي، وأهمها، في رأيي المصدر الصناعي (2) النحت وهو من مصادر التوليد المهمة التي قلل بعض المعجميين من أهميتها، على الرغم من إمكانية الاستفادة منه على نحو كبير، لما فيه من طاقة توليدية، إلا إنه كما يقول الشهابي: «النحت يحتاج إلى ذوق سليم خاصة، فكثيرا ما تكون ترجمة الكلمة الأعجمية بكلمتين عربيتين أصلح وأدل على المعنى مِن نَحْتِ كلمة عربية واحدة يمجها الذوق ويستغلق فيها المعنى» (الشهابي، 1965، ص. 18). كما في كلمة (نقحرة) المنحوتة من (نقل) و(حرفي) لترجمة transliteration في حين أن عبارة (الترجمة اللفظية) تفي بالغرض (3) التركيب بأنواعه المزجي والإضافي والمختلط (4) التعريب الكلي والجزئي. (5) المجاز.

إنَّ في وسائل التوليد المُتقدم ذكرها طاقات كامنة وإمكانات للإبداع تُجسد

مرونة اللغة العربية. فالميزان الصرفي العربي المستعمل في الاشتقاق فيه إمكانات لا توجد في لُغات أخرى. فهو يؤدي وظائف ومعاني بألفاظ مفردة لا يُمكن أداء بعضها بلفظة واحدة في اللغات الأخرى، مثلا لفظة (استبطاء) وهي على وزن (استفعال) نُضطر إلى ترجمتها إلى blaming someone for being late . وكلمة (التبادر) يُقابلها immediacy of inference وغيرها كثير. لذلك فإنَّ الإصرار عند الترجمة إلى العربية على أن تترجم الكلمة الواحدة بكلمة واحدة فيه شيء مِنَ التعسف. فكما أن في العربية ألفاظا مفردة لا تُمكن ترجمتها بألفاظ مفردة في اللغات الأخرى، فالعكس صحيح أيضًا. فمثلا المصطلح النحوي الإنغليزي direct speech يُقابله في النحو العربي مصطلح من أربع كلمات: الكلام المحكي بالقول، باعتبار الباء (حرف الجر) كلمة، وكذلك indirect speech يُقابله (الكلام المحكي بالمعنى). (ينظر: حسن، 1966، ج2، ص.51). والفعلان maximize و minimize (يزيد إلى الحد الأعلى/ يخفض إلى الحد الأدنى) لا تمكن ترجمتهما بكلمة واحدة، وكذلك مصطلحات مثل non-detachable (غير قابل للفصل بتغيير الألفاظ) أو (غير لصيق بالألفاظ)، وكلمة anticlockwise وترجمتها (بعكس اتجاه عقارب الساعة). وثمة مقولات أفردت لها الإنغليزية ألفاظا متباينة للتمييز، بخلاف العربية. فمثلا، مقولة (الجنس) في النحو وعلم الاجتماع تُسمى (gender) في حين أنها في الاستعمال البايولوجي العادي تُسمَّى (sex)؛ ومقولة (الزمن) بالمعنى النحوي تُسمَّى (tense)، في حين أن الزمن الفيزيائي العادي يُسمى (time). غير أن العربية لا تفرد لهذه التمييزات مفردات خاصة لتمييز المفاهيم. لكن يبدو أن هذه الطاقة الدلالية والوظيفية في العربية أكبر مما في غيرها، وعدد الألفاظ العربية المفردة التي لا تمكن ترجمتها بلفظة واحدة إلى اللغات الأخرى يبدو أنه أكبر مما في اللغات الأخرى، وذلك يعود إلى وسائل التوليد الفعّالة.

ومن أهم الأبنية الاشتقاقية، في رأيي (المصدر الصناعي)؛ إذ لا يمكن لأي معجم مصطلحات فنية الاستغناء عنه فهو يُغطي لواحق (ism-) و(ability-) و(icity-) و(ics-) و(graphy-) و(ness-) وغيرها، مما يدل على الاتجاهات الفكرية، والقيم المعنوية، وأسماء العلوم (جمع نسبة) والظواهر الطبيعية، واللغوية وغيرها، وهذه الأنماط من المعاني لا يُمكن أن يخلو معجم مصطلحات فنية متخصص منها أبدا. وبإمكان القارئ أن يُلاحظ كم استفدنا من المصدر الصناعي في ترجمة

مصطلحات المعجم كما في مصطلحات الفعليات pragmatics والعائدية anaphora واللوغوفورية logophoricity والسياقية contextualism، والأثنوغرافية (العرقية) ethnography، وإمكانية الإبطال defeasibility والإشارية deixis والهرمية أو التراتبية hierarchy والنصية textuality والخلفية background والتعددية pluralism والتركيبية compositionality والمُفترَضية givenness والمَنظُورية visibility والمَسمُوعية audibility وعشرات بل مئات غيرها. والحالات الثلاثة الأخيرة هي من مصدر الطواعيَّة الصناعي المشتق من اسم المفعول على وزن (مفعولية) مثل محكومية ومقبولية ومظلومية، وهو من إبداعات العربية. ويجدر الذكر أني احتجت إلى صيغة لترجمة مصطلح استعمله (لفنسن) هو (aboutness) الذي يتكون من حرف الجر (about) الذي يعني (عَنْ) أو (بِشَأْن) مضافًا إليه كاسعة أو لاحقة الاسم (ness–)، فأردت الاستفادة من (جوكر Joker «أي: الورقة الرابحة») للأبنية الاشتقاقية العربية، أعني المصدر الصناعي، فأصوغ مصطلح (العَنِيَّة) (بفتح العين وكسر النون المُخفّفة اشتقاقا من حرف الجر (عَنْ) كما في المصطلح الإنغليزي، فَحُذّرتُ من مُخالفة قواعد العربية التي لا تجيز اشتقاق اسم أو مصدر من حرف الجر مثل (العَنِيَّة) الذي استعملته ترجمة للمصطلح الإنغليزي على غرار مصطلح (المَعِيَّة) في (واو المَعِيَّة) لكنِّي ذُكِّرتُ بأنَّ (مع) ظرف وليست حرف جرّ، وهذا الاعتراض مبني على اختلاف لفظي اصطلاحي بين اللغتين: ففي المصطلح الإنغليزي كلمة (with) المطابقة لكلمة (مع) هي حرف جر لا جدال فيه؛ وهذا الخلاف اللفظي غير مثمر. ثم إنِّي اطلعت على المزيد من مصطلحات المصدر الصناعي العربية في مجالات اللغة والفلسفة والمنطق مشتقة من حُروفٍ، وحروفٍ مُشبَّهة بالفعل. فالتهانوي في كشافه (التهانوي، ج 1، ص. 324) يتحدث عن (برهان لِمَ) و(برهان إنَّ). فالأول «هو برهانٌ (لِمِّي)، لأنه يُعطي (اللِّمِّية) في الخارج والذهن» والثاني فهو «برهان (إنِّيٌّ)، لأنَّه مُفيدٌ (إنيَّة) النسبة في الخارج دون (لِمِّيَّتِها). وفضلا عن ذلك، فهو ينقل من الشريف الجرجاني في حاشية (شرح المطالع) حديثه عن (الهَلِيَّة) وهي مصدر صناعي مشتق من حرف الاستفهام (هَلْ)، وعن (المائيَّة) وهي مصدر صناعي مشتق من (ما) الاستفهامية (انظر: التهانوي، 1996، ج 2، ص. 1743)[1]. ثم إنِّي اطلعت على وسيلة اشتقاقية استعملها علماء السلف يجمعون فيها المصدر الصناعي والنحت حين تكلموا على

(1) ويذكر أنه يحيل في ذلك على الفارابي وابن رشد وغيرهما.

(البَهْشَمِيَّة) ويقصدون المذهب الفلسفي لأبي هاشم الجبائي المعتزلي؛ وهناك من يتكلم على (لا بُديَّة) ثبوت النهي عن الضد عند الأمر بالشيء. وهو أيضًا مصدر صناعي مشتق من عبارة (لا بُدَّ). وهذا مما شجعني فأضفت لمصطلح (العَنِيَّة) بديلًا مُرادفا هو (البشأْنِيَّة) مشتقا من (بشأن) المرادفة لكلمة (about) الإنغليزية.

أما فيما يتعلق بالنحت فهو من وسائل التوليد المُهمة التي فيها جدة وإبداع، وتُبَيِّنُ مِطواعية العربية وقابليتها للتجدد، لكن الموقف السائد عند المعجميين هو التشكيك بقدرته التوليدية. فعبد السلام المَسَدِّي مثلا يقول: «وظَلَّ النَّحْتُ أسلوبا ناشزا وقلما وفق اللاجئون إليه ولو في ضرورات المصطلح العلمي» (المسدي، 1984، ص. 30). وكذلك فَعَلَ عبد القادر الفاسي الفهري (الفاسي الفهري، (د.ت))... وحتى قرارات مجمع اللغة العربية في القاهرة تقول بجواز النحت حينما تُلجئ إليه الضرورة العلمية. لكن من الاستثناءات المهمة ما كان عليه رأي محمد رشاد الحمزاوي؛ فهو يُعطي أهمية للنحت ويُفَسِّره تفسيرًا مُوَسَّعًا بحيث لا يَكُون مِنْ مَزْج كلمتين فحسب، بل كثيرًا ما يكون مِنْ حُروفٍ مُفردة تأتي صُدورًا أو أحشاء أو لواحق كما يأتي من مصادر أخرى. وتشهد بذلك، خاصةً، الأفعال المزيدة (أفعل، استفعل، فعل، وفاعل، وافتعل...) (الحمزاوي، 1991، ص.252). وهكذا يُوسع الحمزاوي مفهوم النحت، ليشمل الاشتقاق الصغير ولا يقتصر على الاشتقاق الكبير الذي يتكون من مزج كلمة مع أخرى، أو اختصار جملة كاملة. وتعود أهميَّة النحت إلى أنه، بحسب الحمزاوي، نقلا عن (مارتينيه) «يُنشئ خارج السياق وحدة لغوية جديدة» (الحمزاوي، 1991، ص.254). وقد استفدنا، في ترجمة المصطلح من النحت والتركيب بنوعيه المزجي والإضافي. وأغلب الأمثلة هي منحوتة أو مركبة في الأصل الإنغليزي. فمثلا ترجمنا المصطلح pragmantics الذي نحته (لفنسن) من مصطلحي pragmatics (الفعليات) وsemantics (الدلاليات)، ترجمناه نحتا إلى (الدَّلافعليات). وترجمنا المصطلح metaphtonymy المنحوت من مصطلحيmetaphor (الاستعارة) وmetonymy (المجاز المرسل) نحتا إلى (مجاستعارة). وكذلك الشأن في ترجمة المصطلح المنحوت whimperative إلى (استِفأَمر)؛ لأنه يجمع بين الاستفهام والأمر[1].

(1) في الحقيقة المصطلح يجمع كلمة (الأمر) imperative مع الحرفين (wh) اللذين تبدأ بهما أغلب كلمات الاستفهام في الإنغليزية، وبعض المترجمين وجد لهما مقابلا، هو حرف الميم الذي تبدأ به كلمات استفهام كثيرة مثل (ما، ماذا، من، مم).

أما المنحوت من performative (إنجازية) وparadox (مُفَارَقَة) فلم نترجمه نحتا لثقل المنحوت وعدم وضوحه فأخذنا برأي الشهابي هنا، وترجمناه إلى (مفارقة الإنجازية). وهذا هو ما قصدناه بإعطاء مساحة للذوق والاجتهاد بحسب الحالة، والابتعاد عن تطبيق القواعد بصورة آلية ببغاوية.

وسيلاحظ القارئ لـ(معجم أكسفورد للتداولية) عشرات الأمثلة من النحت والتركيب في المصطلحات الإنغليزية، ولا سيما ما يسميه (هوانغ) الفروع اللسانية المُوَصَّلَة (المركبة بوصلة) hyphenated مثل psycholinguistics وsociolinguistics فلم نترجمها جميعا بالنحت كما هو الأصل، وذلك حين يكون النحت ثقيلًا فلم نقل (نفسي – لسانيات) بل قلنا (لسانيات نفسية)، لكننا استعملنا النحت في النسبة إلى بعضها مثل (نَفْسْلِساني) و(فِعْلِسَاني) و(فِعْلُغَوِي) لسهولة النطق وأحيانًا استعملت النحت للتمييز بين مصطلحين مترادفين أحدهما منحوت والآخر غير منحوت كما في pragmastylistics وpragmatic stylistics. وحالات التركيب كثيرة في المعجم مثلا اللاطبيعي non–natural، واللاقضوي non–propositional، وشبه لوغو فوري semi– logophoric وشبه المُنْشَطر pseudo– cleft والحرفية الأصلية proto–literalism، وعبر ثقافي cross–cultural، وبين– شخصي interpersonal، وعشرات المصطلحات المركبة بسوابق مثل anti ،cross–، micro–، macro–، inter–، hypo–، hyper–، extra–...

أما أسماء الحقول والفروع العلمية المركبة فيبدو أن نحتها في العربية ينتج صيغا صعبة الهضم كما أسلفنا، وعملا بمنهجيتنا فإننا لا نفضّل تطبيق قواعد التوليد بصورة آلية، وإنما نعطي دورًا للذوق، ولسهولة النطق، مما يؤثر في مقبولية المصطلح. لكننا استعملنا النحت في ترجمة مصطلحات غير منحوتة في الأصل الإنغليزي، كما في مصطلح (إدراكيمعرفي) لترجمة cognitive و(إدراكيحسي) لترجمة perceptive وperception. فالمصطلح الأول شاعت ترجمته في أدبيات علم النفس إلى (معرفي) و(معرفة). لكن هذه الترجمة، برغم شيوعها تعاني نوعين من اللبس أو إمكانية سوء الفهم. فأولا، ثمة مصطلح في الفلسفة والمنطق هو (epistemic) الذي يترجم إلى معرفي (وأحيانا يُعرَّب إلى (أبستيمي)، وهو بالطبع مختلف عن (cognitive) . وثانيا ثمة إشكال في اللغة العربية بين المعنى المصدري والمعنى الاسمي لمصطلح (المَعْرِفة)[1].

(1) في الحقيقة إن شراح تلخيص المفتاح من أمثال سعد الدين التفتازاني هم أول من نبه على الفرق بين (المعنى الاسمي) و(المعنى المصدري) وكان ذلك في معرض كلامهم على مصطلحي (الخبر) و(الإنشاء). فالإنشاء بالمعنى المصدري يعني فعل المتكلم أو إلقاء الكلام الإنشائي،

فالاستعمال الشائع والمتبادر إلى الذهن من كلمة (المَعْرِفة) هو المعنى الاسمي وليس المصدري، أي: إنها تدلُّ على الناتج product وليس العملية process. فما يُفهم من الكلمة في العادة هو مجموعة المعلومات والخبرات... التي هي موضوع الاكتساب. لكن المقصود من مصطلح cognition هو المعنى المصدري، أي: العملية وليس المعنى الاسمي (الناتج). لذلك استعملت مصطلح (الإدراك) لترجمته في بادئ الأمر، غير أني لاحظت أدبيات علم النفس تستعمل (الإدراك) للجانب الحسي فقط، أي: في مقابل perception[1]، لذلك لجأت إلى مخالفة قاعدة (ترجمة الكلمة الواحدة بواحدة) فاستعملت للاسم cognition (الإدراك المعرفي) وفي الصفة النحت (إدراكيمعرفي)، واستعملت (إدراكيحسي) في مقابلperceptive وفي الإمكان استعمال (الإدراك) وحده للأولى و(الحس) وحده للثانية. وأترك هذا للمستقبل. لكن الغريب جدا أن بعض الباحثين ربما تنبهوا إلى الإشكال الذي ذكرته فأرادوا أن يتجنبوه، فجاؤوا بمصطلح مستعار من علم التصوف -ربما من دُونِ وَعي- وهو (العرفان) و(العرفاني) لترجمة المصطلح (cognition)، وأخيرًا أخذوا يستعملون (عَرْفَني). وهذا خَلْط وإرباك للقارئ العربي في المشرق والمغرب، والمؤسف أنه أخذ في الشيوع على الألسن وأغلفة الكتب.

وكان من المصطلحات التي ترجمتها بالتركيب هو (الفعل البِكلامي) المذكور آنفا، أما (perlocutionary act) المركب من السابقة (per) وتعني (بوساطة) و(locutionary) وتعني (كلامي) فلم أترجمه إلى (الفعل البوساطة- كلامي)، لثقل المصطلح فاستعملت (فعل التأثير الكلامي) ترجمةً له. ومن الغريب، أن بعض

أما بالمعنى الاسمي فهو يعني نفس الكلام الذي يلقيه المتكلم وليس عملية الإلقاء. وهذا سابق لتمييز العلماء المعاصرين بين العملية process والناتج product أما الفرنسية فليس فيها هذا اللبس مثلا كلمة (utterance) الإنغليزية تعني (القولة) (الناتج) وكذلك (القول) العملية، في حين ثمة كلمتان في الفرنسية énoncé (لترجمة الأولى وénonciation لترجمة الثانية للتفصيلات انظر كتابنا نظرية الفعل الكلامي.

(1) الظاهر أن هذا التخصيص لا أساس له من الصحة، ففي المعجم الوسيط (ج 1، ص. 280) أدرك فلان: بَلَغَ علمه أقصى الشيء. وأدرك الشيء ببصره رآه، وأدرك المعنى بعقله: فَهمه. وأدرك ماء البئر: وصل إلى دركها والدرك هو أسفل الشيء، مما يبين الشبه باللغة الإنغليزية حيث understand تعني حرفيا (يقف تحت) وهي أحد مرادفات هذا المعنى فالإدراك يمكن أن يكون حسيا أو معرفيا، بل إن الإدراك بالمعنى المعرفي أكثر شيوعا.

الباحثين[1] قام بترجمة أنماط الأفعال الثلاثة التي تحدث عنها (أوستن) هكذا: ترجم locutionary إلى (الفعل الكلامي)، وترجم illocutionary إلى (الفعل التكلُّمي)[2]، وترجم perlocutionary إلى الفعل (الفعل التكليمي)، هكذا لمجرد التمييز بين الثلاثة ولو بصورة شبه عشوائية، لكنَّ ميزان الصرف ليس خاليا من الوظيفة الدلالية. فما علاقة التكليم والتكلم بتلك الأفعال؟

بقي من وسائل التوليد وسيلة (التعريب) وتعريب الاسم الأعجمي هو بحسب الجوهري (الصحاح، ج 2، ص. 179) «أن تتفوه به العرب على مناهجها». وهو ما يُقابل transliteration التي ترجمها بعضهم نحتا إلى (نقحرة) مِنْ (نقل) و(الحروف). وقد اعتمدناه في منهجيتنا حَلًّا أخيرًا إذا عجزنا عن إيجاد الترجمة الوافية، وحلا لمشكلات التصريف، حين يرد المصطلح بصيغ متنوعة فعلًا واسمًا ونَعْتا، فلربما تجد ترجمة مناسبة للاسم لكن يصعب تحويلها إلى النعْتَ أو النسبة، إذا كانت أكثر من كلمة واحدة. فعلى سبيل المثال استعملت التعريب مُضْطَرا في ترجمة مصطلح logophoricity إلى (لوغوفورية) ومعناه الدقيق هو: عائدية الحاكي الأصلي (للكلام)، وهو على العكس من عائدية ناقل الحكاية الحالي أو المتكلم الحالي. ففي بعض اللغات ثمة وسائل صرفية ونحوية تميز بين وجهة نظر المتكلم داخل الكلام المحكي، أو المنقول، ووجهة نظر المتكلم الخارجي الحالي الذي يحكي لنا كلام المتكلم الداخلي (داخل الكلام المحكي). وهذا من الموضوعات المهمة جدًا في الفعليات الحديثة. إنَّ المشكلة في ترجمة المصطلح المتقدم لا تقتصر على استعمال أكثر من كلمة واحدة لترجمة كلمة مفردة، وإنما حين يَرِدُ المصطلح مثلا بصيغة

(1) هنا لا بد من التذكير بقول السلف إن من اجتهد وأصاب فله أجران، وإن من اجتهد وأخطأ فله أجر واحد. فلهؤلاء الباحثين الفضلاء بمن فيهم من ابتدع مصطلحي (التداولية) و(الاستلزام الخطابي غير الموفقين واللذين شاعا وانتشرا في المغرب العربي والمشرق، لكل منهم أجر الاجتهاد.

(2) ربما كان مصطلح (التكلمي) أقرب إلى النمط الأول locutionary باعتباره يشير إلى مجرد التكلم أو النطق بالكلام. لكن (فعل القول) هي ترجمة أنسب للأول لأن فعل التكلم قد لا يكون مفيدا. فنحن نقول أحيانا: (إن زيدًا يتكلم كثيرًا من دون أن يقول شيئا) لكن العكس غير صحيح. يقول الرضي في شرحه على الكافية (ج 1، ص. 3) (القول اشتهر في المفيد بخلاف اللفظ والكلام)، ولذلك فإن استعمال مصطلح (التلفظ) لترجمة مصطلح utterance هو خطأ شائع، والصواب هو (القولة). تنظر مادة utterance.

الصفة في تعبير أطول بحيث تغدو الترجمة متعرجة ومُتَلَوِّية كما في logophoric verbal affix فإذا لم نستخدم التعريب سنضطر إلى ترجمته إلى (لاصقة فعلية لبيان عائدية الحكاية الأصلية)!!. في مثل هذه الحالات يكون التعريب الحل الأمثل (لاصقة فعلية لوغوفورية).

والحالة الأخرى التي فضلنا فيها التعريب هي حين يكون المصطلح المعرب متجذرا وتكون الترجمة غريبة وثقيلة على الأسماع كما في (الفيزياء) و(الكيمياء) و(الكلاسيكي) و(الأونطولوجي)؛ إذ لا يمكن تجاهل الشيوع بالمطلق ولا سيما إذا لم يكُن في الشائع خطأ. وعلاوة على ذلك فإنَّ علماء السلف استعملوا التعريب كثيرًا ولم يُحَرِّموه، بَلْ إنهم بالغوا فيه أحيانًا من غير داع كما في (بوطيقا) و (رطوريقا) و(طوبيقا) و(قاطيغوريا) وغيرها مما تُرجم فيما بعد بكلمة واحدة تفي بالمعنى. وقد استعملت التعريب أحيانًا مع وجود ترجمة كما في (سميوطيقا) مع وجود (السيميائية) و(العلاماتية)، والسبب هو أولا لتمييز المصطلح من (semiology) المشتق من الجذر نفسه، وثانيا، لأن لفظة (سميوطيقا) فيها البعد النظري والمذهبي الغائب من المصطلح المترجم. فمثلا حين ترجمت نقد (سبيربر) و(ولسن) لهذا المذهب لم أجد مِنَ المناسب ترجمة قولهما «إن التاريخ الحديث للسميوطيقا هو في الوقت نفسه مزيج من النجاح المؤسساتي والإفلاس الفكري...». باستعمال (العلاماتية)؛ إذ ليس فيها ذلك البعد للنظرية والمذهب الآيديولوجي، وهذه أيضًا مسألة ذوقية وتتعلق بالمعاني الحافة والإيحائية وليس بالمعاني الإحالية أو الحرفية.

وأحيانًا استعملت التعريب الجزئي كما في ترجمة metalinguistic إلى (متالغوي) وترجمة ethnosemantics إلى (أثنو دلاليات). وكان في إمكاني استعمال التعريب الجزئي في ترجمة العديد من فروع اللسانيات المركبة بوصلة كما فعل الفاسي الفهري sociolinguistics إلى (سوسيولسانيات) وبترجمة psycholinguistics إلى (سايكولسانيات)، لكني فضلت المصطلح العربي كاملا، وإن كان التعريب الجزئي غير ثقيل على اللسان لكن يجب عدم المبالغة في استغلال الرخصة.

أما المجاز فقد وجدناه في بعض المصطلحات، وترجمناه بالمجاز نفسه كما في lexical cloning (الاستنساخ المعجمي) و slingshot (الحذَّافة) لوصف نوع من المحاججة المنطقية، و(signifying) (النخز)، وكذلك donkey sentence (جملة الحمار) و(عائدية الحمار). وحتى مصطلح (hedge) الذي ابتدعت له ترجمة أعتز بها

هي (احتراسة) أو (تحوُّط). فاللفظة الإنغليزية في المعنى الحقيقي، تعني السياج أو الجدار الواقي، وهي تُستعمل، مجازا، لمحاولة المتكلم حماية نفسه بعدم إعطاء التزام أو تأكيد. فوجدت أن الفعل (يحترس) في العربية هو أيضًا مشتق من لفظة (الحريسة) التي تعني «جدار من حجارة يُقام لحراسة الغنم وحفظها» (المعجم الوسيط، ص. 166)، ومنها اشتققت (احتراسة). فما أشبه المعنيين الحقيقي والمجازي في اللغتين.

والآن، بعد الفراغ من بيان منهجيتنا، بشأن التعامل مع وسائل التوليد واستعمالها لأغراض الترجمة، نعود لنبين الفقرات الأخرى من هذه المنهجية. ففي مسألة هل نركز في الترجمة على المعنى المفهومي intensional أو على المعنى الماصدقي extensional؟ وهل نعتمد المصطلحات الواردة في التراث عند ترجمة المصطلح الغربي؟ ذَهَبَ الفاسي الفهري إلى وجوب التركيز في الترجمة، على المعنى المفهومي، وليس الماصدقي، لأنَّ من منزلقات اعتماد المَاصَدَق في الترجمة «أَنَّ المترجم غالبا ما يعتقد أنَّ المُقابل العربي الوارد في التراث يصدق على ما يَصْدُق عليه المُصطلح الغربي... فيقوم بإسقاطات ظرفية وذاتية، وينتهي إلى مناسبات غير قائمة. من هذه المناسبات الزائفة syntax نظم، و performative إنشائي...». (الفاسي الفهري، (د.ت)، ص. 236).

إن موقف الفاسي الفهري يَصعُبُ الدفاع عنه، والأمثلة التي ساقها تدحض ما ذهب إليه فالإنجازية، ونظرية (أوستن) في الفعل الكلامي، هي إعادة اكتشاف النظرية التي سبق للأصوليين (عُلماء أصول الفقه) والبلاغيين العرب والمُسلمين أنْ وَضَعُوا أسسها ومفاهيمها الأساسية، وهذا هو موضوع كتابي (نظرية الفعل الكلامي: بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي). وقد عرضت الأفكار التي فيه على أعلام الفكر اللساني في الغرب منهم أستاذي في جامعة (لانكاستر) (جفري ليتش) Geoffrey Leech وعلى العالمين الكبيرين (دان سبيربر) و(ديدري ولسن) Sperber and Wilson فكانت دهشتهم كبيرة لهذا الاكتشاف لسبق العرب في تأسيس النظرية[1] (انظر: مقدمة سبيربر وولسن، 2016). لكني مع ذلك فَصَلْتُ بينَ المُصطلحين الغربي الحديث والتراثي العربي القديم ليس، لأنَّهما يُمثلان مجموعتي مفاهيم متغايرة، وإنما لمجرد التمييز بين المقصود في الحالتين أهو المصطلح العربي القديم أم الغربي الحديث، فترجمت performative إلى (الإنجازية) واحتفظتُ بمُصطلحي (الإنشاء) و(الإيقاع) للإشارة إلى المفهوم التراثي الأصلي.

(1) انظر: (سبيربر وولسن، 2016، المقدمة).

أما في مسألة هل تترجم المعنى المفهومي أو الماصَدَقي فأنا أرى أنَّ السؤال لا داعي له؛ لأن ذلك يتبع الحالة المُعَيَّنة، فأحيانا نعتمد المفهوم وأُخرى نعتمد المَاصَدَقَ ما دامت الترجمة لا تؤدي إلى أخطاء أو سوء فهم. فلا يوجد جواب مطلق عن هذا السؤال والفاسي الفهري نفسه اعتمد الترجمة (المَاصَدَقيَّة) في **معجم المصطلحات اللسانيَّة**؛ إذ تَرجَمَ مُصطلح (prosody) إلى (علم العروض) وهذا هو أحد المصاديق العديدة للمصطلح الأجنبي وهو ليس أشهرها[1].

أما فيما يخص استعمال المصطلح التراثي العربي في ترجمة المصطلح اللساني الغربي الحديث فثمة موقف على طرف نقيض من موقف الفاسي الفهري، وهو موقف محمد محمد يونس علي؛ ففي تواصل شخصي معه أبدى إصراره على ترجمة المصطلح الغربي الحديث بالعربي التراثي. فهو يرى أننا يجب أن نترجم مصطلح (غرايس) conversational implicature إلى (المفهوم الحواري) لكون المصطلح التراثي الأصولي المقابل له هو (دلالة المفهوم). والدافع وراء هذا الموقف هو لتنبيه عُلماء الغرب على سَبْقِ العرب في اكتشاف هذه المفاهيم. لكن على الرغم من أني صاحب مشروع (التأصيل والتجديد) في مجال اللسانيات العربية وأني كنتُ قد ألفت كتابا كاملا لتأصيل نظرية (غرايس) في التلويح الحواري عام 1994 بيَّنتُ فيه الأصول العربية للنظرية، إلا أني خالفت محمد يونس في هذا التوجه[2]. فقد تبنيتُ ترجمة المصطلح الغربي الحديث ترجمة مفهومية، ثم أتبعها بذكر المصطلح العربي التراثي الأصلي المقابل للمصطلح الغربي، كما في حالة ترجمة مصطلح (أوستن) performative الذي أشرنا إليه قبل قليل، وكما في ترجمتي لمصطلح (غرايس) المذكور آنفا إلى (التلويح الحواري) مع ذكري لدلالات المفهوم بنوعيه المخالف والموافق، وهو ما يُشكل أحد مصاديق هذا المصطلح أو فروعه، وأعني به التلويح الحواري المعمم generalized conversational implicature. أما التلويح الحواري المخصص particularized conversational implicature فهو يُقابل (التعريض) في particularized conversational implicature المُخصَّص التراث العربي. لقد تبنيتُ

(1) انظر: مادة (prosody) في معجم أوكسفورد للتداولية.

(2) إنّ تنبيه علماء الغرب إلى سبق العرب في هذا المجال لا يكون بترجمة المصطلح وإنما بأعمال مكتوبة بالإنغليزية مثل أطروحة محمد يونس علي للدكتوراه التي ترجمها إلى **علم التخاطب الإسلامي**، وهي عمل يستحق كل التقدير والثناء، وكذلك بعض بحوثي المنشورة بالإنغليزية.

موقفًا وسَطًا بين الطرفين؛ إذْ مِنَ الظلم تجاهل إسهامات العرب وسبقهم في تأسيس مفاهيم ومصطلحات النظرية؛ وتبعا لذلك لا داعي لاستعمال مصطلح الأصوليين العرب والمسلمين عند الإشارة إلى نظرية (غرايس) ومفاهيمها، فهي تمتلك جهازها الاصطلاحي الخاص بها، ومن الأفضل التمييز بين المصطلحين لكي نبيِّن عن أي مفهوم نتحدث: الغرايسي الحديث أم الأصولي القديم[1].

أما في ما يتعلق بالمصطلحات القديمة في تراثنا التي كانت ولا تزال مصطلحات معروفة وثابتة عالميا وبالدلالة نفسها، فلا نرى داعيًا لإعادة ترجمتها كما في حالة المصطلحات المنطقية (petitio principii) أو (begging the question) ويُقابله المصطلح التراثي (المصادرة على المطلوب)، ومصطلح (modus-tollendo-tollens) ويُقابله (رفع التالي)، ومصطلح (disjunct) ويُقابله (حد الانفصال) ومصطلح enthymeme ويُقابله (القياس المُضْمَر). فهذه مُصطلحات معروفة وثابتة منذ العصور الوسطى ولا تزال تُستعمل بمدلولاتها الأصلية فلا داعي لتغييرها، بغض النظر عن عدد كلمات المصطلح الأجنبي والمترجم. وهذا يُبين أن قاعدة الالتزام بالمصطلحات التراثية الثابتة والمحددة تتفوق على القاعدة التي تستوجب ترجمة الكلمة المفردة بكلمة مفردة. وهو أيضًا يُمثل استثناءًا من قاعدة تطور المصطلح تاريخيا باتجاه التجريد، وإن كانت هذه قاعدة لغوية عامة. انظر مادة (اقتصاد المتكلم) speaker›s economy، وهو المبدأ الذي اقترحه (جورج زبف) George Zipf.

ولمناسبة ذكر مصطلح (غرايس) conversational implicature الذي ترجمته منذ عام 1992 إلى (التلويح الحواري) وهي ترجمة أعتز بها، فقد شاع خطأ في ترجمته لا يَقِلُّ فَدَاحةً عن خطأ ترجمة (الفعل البكلامي) إلى (الفعل اللاكلامي) ألا وهو استعمال (الاستلزام الخطابي) بدلا من (التلويح). ولترجمة مصطلح (غرايس) كاملا استعملوا (الاستلزام الخطابي المحادثي) بدلا من مصطلحي (التلويح الحواري). إنَّ المؤسف في هذه الترجمة أنها كسابقتها تدلُّ على الجهل وليست قضية وجهة نظر

(1) في حالات نادرة اضطررت إلى استعمال المصطلح التراثي الأصولي لترجمة مفاهيم نظرية حديثة كما في استعمال مصطلح (الاستصحاب) لترجمة مصطلح default بصيغة الاسم فهو مطابق للاستصحاب والاستصحابي ويتميز بصفة الاختزالية. انظر المادة بهذا العنوان في معجم التداولية. وأحيانا جمعت المصطلحين التراثي والحديث باستخدام (أو) للعطف التفسيري كما في ترجمتي **لنظرية الصلة أو المناسبة** Relevance.

أو رأي، ففي الخطأ لا يوجد رأي ولا وجهة نظر. فمصطلح الاستلزام implication مصطلح من المنطق الصوري والرياضي وهو يمثل العلاقة بين القضايا المنطقية propositions أو الجُمَل sentences وهو لا يقبل الإلغاء من دون الوقوع في التناقض وذلك بخلاف التلويح الذي ابتدع (غرايس) له مُصطلحا implicature (تلويح) والفعل implicate(يُلوّح) ليميّزه من implication (استلزام) والفعل imply (يستلزم)[1].

فالتلويح، كما وضح (غرايس) غير مرَّة، هو مِنْ عَمَل المتكلم وهو من معاني المتكلم speaker's meaning لذلك فهو قابل للإلغاء أو التعليق من دون الوقوع في التناقض. وسبب ذلك أن التلويح هو ظاهرة فعلياتية pragmatic مِنْ عَمَلِ المُتكلم، فالمتكلم هو الذي يلوح بالتلويح عن طريق نُطقه بالقولة utterance، في حين أن الاستلزام علاقة منطقية بين الجمل أو القضايا تحصل بمعزل عن السياق وعن مقاصد المتكلم. فمثال التلويح أنك لو سألتني ما الوثائق الثبوتية التي بحوزتي فأجبتك (أني أحمل البطاقة الشخصية)، حينها سيتولد تلويح بأني أحمل البطاقة الشخصية فقط. فالمعنى المُلوّح به هو (فقط لا غير). لكني أستطيع أن ألغي هذا التلويح قائلا: بل أنا أحمل جواز السفر أيضا من دون الوقوع في التناقض. أما في الاستلزام فلا يُمكن الإلغاء. فمثلا النطق بجملة (أنا أحمل البطاقة الشخصية وجواز السفر) يستلزم (أنا أحمل جواز سفر)؛ إذ الكُلُّ يستلزم الجزء. لكن لا يُمكن إلغاء هذا الاستلزام بالقول: (أنا أحمل البطاقة والجواز لكني لا أحمل الجواز) فهذا كلام متناقض. للتفصيلات يُنظر كتابنا **نظرية التلويح الحواري**، وكذلك الجملة (زيد أعزب) تستلزم أن ليس لزيد أولاد، فلا يمكن إلغاء الاستلزام بإضافة عبارة (لكن عنده ثلاثة أولاد) فهذا تناقض واضح.

ومن التوجهات التي اعتمدتها أيضًا الأَخْذُ بالتأثيل etymology إذا كان المعنى

(1) بالطبع ثمة استعمال للفعل (imply) يكون الفاعل فيه المتكلم كما في قولنا: «He implied that she was a liar» بمعنى (يوحي أو يلمع بصورة غير مباشرة)، لكن هذا الاستعمال اليومي العادي غير الاصطلاحي ليس هو المقصود بمصطلح (غرايس) implicate / implicature (التلويح)؛ إذ إن التلويح الغرايسي مصطلح فني يتعلق باستغلال القواعد maxims الحوارية الأربع. للمزيد من التفاصيل ينظر كتابنا: (**نظرية التلويح الحواري**). ولم أستعمل مصطلح (التلويح) بالمعنى الضيق الذي استعمله السكاكي في المفتاح (ص. 194): «إذا كثرت الوسائط سميت الكناية تلويحا»، وإنما المعنى العام الذي كان يستعمل في مقابل (التصريح) في ثنائية التصريح/ التلويح في البلاغة وأصول الفقه.

اللغوي الأصلي للمصطلح لا يَخْتَلفُ عن المعنى الاصطلاحي. أما إذا كان ثمة اختلاف بين المفهوم والمقصود، فبالطبع فَضَّلْتُ المقصود كما في ترجمة مصطلح (floor) إلى (المنصة) وهو من مصطلحات (تحليل الحوار) ومعناه الحرفي (الأرضيّة) ويُستعمل، مجازيًا، للإشارة إلى حق التكلم في المحاورة؛ ففي العربية يكون الصعود إلى المنصة كناية عن البدء بالكلام، والنزول من المنصة كناية عن الانتهاء من الكلام. أما كلمة (الأرضيَّة) فلا تفيد هذا المعنى في العربية ولو مجازا.

أما أخذي بالتأثيل فأُمَثِّل له بمثالين هما: ترجمة (delocutive) إلى (مِنْكلامي)، وترجمة (pragmatics) إلى (الفعليّات). أما الأول فقد أتعبني كثيرا إلى أن توصلت إلى جَذْرِه الأثلي ومعناه المقصود، إِذْ تَبَيَّنَ أَنَّهُ مِنْ مُصطلحات الفعليات الفرنسية، فاضطررت إلى الاستعانة بفرنسيتي المتواضعة، ولحسن الحظ وَجَدْتُ في مكتبتي كتاب الفيلسوف واللساني الفرنسي (فرانسوا ريكاناتي) François Recanati الموسوم (القولات الإنجازية) (Les énoncés Performatifs)، فوجدت ضالتي فيه في ص. 113، ففهمت المصطلح وتاريخه. فهو من ابتداع اللساني الفرنسي (بنفنيست) Benveniste وتَبِعَهُ فيه (ديكرو) Ducrot؛ إذ بَيَّنَ أنَّ بعض الأفعال (النحوية) الإنجازية performative verbs تَصِفُ الفعل الكلامي بسبب اشتقاقها من اللفظة التي تُقال لإنجاز ذلك الفعل الكلامي. ولأنَّ تلك الأفعال (النحوية) الإنجازيَّة مُشتقةٌ مِنَ الألفاظ التي تُقال سُمِّيت أفعالا (مِنْ – كلامية) أو (مِنْكلاميَّة)؛ فالمصطلح يتكون من حرف الجر الفرنسي (de) ويعني (مِنْ) وكلمة (locutif) وتعني (كلامي)، فصار عندنا مُصطلح مركب (délocutif) ويعني (منكلامي). والأمثلة على الأفعال المنكلامية متوافرة في كل اللغات، مثلا فِعْلُ الشُّكْرِ مُشتَقٌّ مِن قَوْلِ القائل «شُكْرًا !» وفِعْلُ التهنئة مُشتَقٌّ مِن قَوْلِ القائل «تهانينا!» وفعل التسليم مُشتق مِن قَوْل القائل «السلام عليكم!». ولتأكيد هذا الفهم للمصطلح أقتبس من ريكاناتي (ص. 113):

«Les verbes «remercier» et «bisser» sont dérivés respectivement, selon Benveniste, de «merci» et «bis»– d'où l'appellation de «délocutifs», signifiant: **dérivés d'une locution**.

إنَّ الفعلين «يَشْكُر» و«يطلب الإعادة» مُشتقان، بحسب رأي (بنفنيست)، من عبارتي «شكرًا!» و«أعد» على التوالي، والتي منها جاءت تسمية «منكلامية»، التي تعني: **مشتقة من عبارة كلامية**.

أَلْتَمِسُ العذر مِنَ القارئ، ولا سيما المغاربي، الذي يجيد الفرنسية، إذا لم تكن ترجمتي بالدقة الكافية. لكن المقصود أوْضَحُ مِنْ أن يرقى إليه الشك. والآن يؤسفني أن أجد في أحد المعاجم التداولية المترجمة أن مصطلح (délocutive) قد ترجم إلى (اقتوالي) على وزن (افتعالي) وهي لفظة غريبة عن المعنى المقصود من المصطلح. وحتى لو كان للمترجم تفسيرٌ صَرْفِيٌّ أو لُغَوِيٌّ لاختيار هذه اللفظة، لا أظن أن القارئ سيهتدي منها إلى المقصود الأصلي من المصطلح الأجنبي، وهو يُذَكِّرنا بمجموعة (كلامي، تكلمي، تكليمي). وكان الأولى بالمترجم استعمال التركيب أو النحت كما هو في الأصل؛ أي: دَمْجُ حَرْفِ الجرّ (مِنْ) ولفظة (كلامي)، وكما في مصطلح (بكلامي) أو (فيكلامي) المركب من حرف الجر و(كلامي)، الذي ابتكرته لهذا الغرض.

ومن ناحية أخرى وفي سياق آخر، يذكر خليفة الميساوي (خليفة، 2013، ص.127) في تقويمه لأحد قواميس اللسانيات؛ إذ يقول: «فنجد القاموس ينطلق من اللسان الفرنسي في وضع مصطلحاته ليعود فينطلق من اللسان العربي، وهذا الأمر لا يعكس سوى المنطلقات الشخصية للمؤلف ولا يُمكّنه من الترجمة المصطلحية الدقيقة لأن مصدرها اللساني واحد، وهو (الفرنسية)، وهذا ما يجعل مؤلّفه لا يتسم بالدقة، لاسيما أن المصطلحات اللسانية الوافدة على اللسان العربي أغلبها من اللسان الإنغليزي. ويورد الميساوي (ص. 80) خمسة أسباب علل بها مصطفى غلفان عدم تأسيس المصطلح اللساني العربي، وهي:

1. اختلاف مصادر التكوين العلمي والمعرفي للسانيين العرب وتوزعهم بين ثقافات فرنسية، وإنغليزية وألمانية.
2. التفاوت النظري والمنهجي بين المستوى العلمي للسانيين العرب.
3. التطور المستمر للبحث اللساني العالمي وظهور المزيد من المفاهيم وهو ما يعني ضرورة توفير مصطلحات لسانية جديدة.
4. وجود تراث اصطلاحي نحوي ولغوي عربي يُنْهَل منه، إما لسد حاجيات الطلب المتزايد وإما لالتباس الأمور على أصحابها.
5. سيادة النزعة الفردية التي تتحول إلى نزعة قطرية في وضع المصطلح العربي المتخصص وعدم الاكتراث برأي ولو كان صائبا.

إنَّ هذين النصين يحتويان معلومات مهمة ويوحيان بمعلومات أخرى مهمة؛ إذ يبدو أن ثمة نزعتين، في الأقل، في مجال ترجمة المصطلح: النزعة المغاربية وهي

في الأغلب ذات خلفية لغوية وثقافية فرنسية، ونزعة مشرقية ربما تكون خلفيتها السائدة أنغلو–أميركية. من النقطة الخامسة يبدو أن الموضوع قد ينطوي على تعصب وانحياز. وأنا بالطبع لست معنيا بهذا النزاع، وهو، بقدر تعلق الأمر بي ليس بذي صلة أو irrelevant /non pertinent ولا أُمَيِّزُ بَيْنَ مغاربي ومشرقي. بل أني وجدت حرجًا كبيرًا في ذكر الحقيقة التي ذكرها الميساوي في نهاية الاقتباس الأول، أعني أنَّ أغلب المصطلحات الوافدة علينا هي من الإنغليزية في حين أن أغلب عُلمائنا المغاربيين ذوو خلفية فرنسية، مما سبب إشكالات كثيرة. ولولا أنَّ الميساوي «شاهد من أهلها» لما طاوعتني نفسي أن أذكر هذه الحقيقة، لاعتزازي بالمغاربيين وإجلالي لهم.

والآن لقد أوردت هذه الحقيقة لأبين أنَّ اختلاف اللغة الثانية والخلفية الثقافية ليسا دائما هما السبب الوحيد الذي يكمن خَلْفَ تلك الإشكالات فمصطلح (délocutif) فرنسي وضعه (بنفنيست) وليس إنغليزيا، لكن، مع ذلك، حَصَلَ هذا الإشكال في ترجمة مُترجمين ذوي خلفية فرنسية له. بيد أن كلام الميساوي يصدق على الإشكالات الأخرى الموجودة في ترجمة المعجم المذكور؛ إذ على الرغم من أنَّ القاموس كتبه مؤلفون فرنسيون، فإنَّ أغلب النظريات والمفاهيم الفعلياتية التي تناولاها هي ذات خلفية أنغلو–أميركية. لكن مثل هذه الإشكالات تحصل في أفضل المعاجم وهذا لا يُقلّل من قيمة الجهود المباركة للمترجمين ولا يقدح في قيمة عملهم الرائد والجريء.

والمثال الثاني على استعانتي بالتأثيل، أو الأصل اللغوي في ترجمة المصطلح هو ترجمتي لمصطلح pragmatics إلى (فعليات) الذي اشتهرت ترجمته إلى (تداولية) و(ذرائعية) أو (ذريعية)؛ فهي ترجمة تخلط بين المدرسة الفلسفية المشهورة pragmatism) الذرائعية أو فلسفة الذرائع وحقل pragmatics في اللسانيات. وأما (التداولية) فمصطلح يُعاني مشاكل عديدة. فأولا صيغة المصدر الصناعي لا تُستعمل لتسمية العلوم، أو الحقول العلمية إلا جَمْعًا لصيغ النسبة في اللغة العربية مثل رياضيات وبصريات ولسانيات. أما النسبة المفردة فتستعمل للمذاهب والاتجاهات الفكرية مثل الماركسية والوجودية والبنيوية والديمقراطية. إلخ. وثانيا إذا كان واضع المصطلح يقصد بالتداول والمتداول ما تعارف عليه الناس كأن نقول: إن المصطلح المتداول في العربية للإشارة إلى (الفيلولوجيا) هو (فقه اللغة)، والعملة المتداولة في فرنسا هي (الفرنك)، فهذا ليس هو المقصود بالمصطلح، وهو غير كافٍ؛ إذ إنَّ

الفعليات تدرس المعاني والمقاصد في السياق الفعلي؛ أي الحقيقي. وهذا هو ما نقصده حين نتحدث عن المعنى «الفعلي» أو القصد الفعلي للكلام أو حتى للسلوك غير اللغوي non-verbal.

لم يكن من المصادفة المحضة أن أجد بعد البحث عن تأثيل لفظة (pragma) اليونانية الأصل، أنها تعني (الفعل) أو العمل)، ومنها اشتُقَّتْ مُختلف الألفاظ مثل practical (عملي تطبيقي). وكذلك practice وpractically. والمعاجم التي بحوزتي تترجم هذه الأخيرة إلى «عمليا، فعليا» و«بالفعل». هذا فيما يخص جَذْرَ الكلمة ومعناها اللغوي الأصلي. لكن ليس غريبا إذا وَجَدْتُ علاقة دلالة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي. ومعلوم أن أسهل طرق صياغة المصطلح أن تجد له لفظا في المعجم العام قريبا من معناه الاصطلاحي، ثم تُحدِّده وتقننه أو تصطلح عليه. وهذه هي حالة مصطلح pragmatics (الفعليات) لأنها تبحث في المعنى «**الفعلي**» للكلام حين يُستعمل في سياق مُعيَّن وبقصد مُعين. هذا كل ما في الأمر. والتشابه بين اللغتين العربية والإنغليزية في استعمال الكلمة التي تدل على الفعل ومشتقاتها (فعلي، فِعْلًا، فِعْليًّا، بالفِعْل) للدلالة على الناتج الحقيقي، هو أيضًا ليس مُصادَفَةً. وأتوقع أنَّ الصفات والظروف المشتقة من كلمة (فعل) في كثير من اللغات الأخرى لها هذه الدلالة نفسها وذلك للعلاقة الطبيعية بين الفعل أو العمل من ناحية، والحقيقة أو الشيء المتحقق من ناحية أخرى. وحتى الكلمة الإنغليزية الموازية لهذا المعنى الاصطلاحي في الاستعمال اليومي غير الاصطلاحي هي (actual) وهي مشتقة من كلمة (act) المرادفة لكلمة (pragma) اليونانية، وكلتاهما تعني (الفعل)، والصفة تعني (فعلي، حقيقي). واشتققتُ مِنْ لفظة (فعلي) مصطلح (الفِعْلِيات) للحقل المعرفي على غرار (الرياضيات) و(اللسانيات)، والنسبة له (فعلياتي). غير أني اتَّخذتُ قرارًا ربما يكون مؤقتًا، ألا وهو تعميم النسبة إلى الحقل المعرفي (فعلياتي) على الظاهرة اللغوية عامة فلم أستعمل (فعلي) للنسبة إلى الظاهرة اللغوية حصرًا دون الحقل العلمي وذلك لتجنب اللبس بالمعنى غير الاصطلاحي وبالمعنى النحوي (Verbal)، وإلى أن يستقر المصطلح.

ويجدر الذكر أنَّ بعض الباحثين الفضلاء الذين يستعملون مصطلحات غير مصطلح (الفعليات) للإشارة إلى (pragmatics) يستعملون تعبيرات مثل (المقام الفعلي، المراد الفعلي، المقاصد الفعلية والاستعمال الفعلي، وما يقصده المرء

بالفعل من كلامه، والعمليات التخاطبية الفعلية والاستخدام الفعلي للكلام إلخ) وعشرات غيرها وربما بصورة لاشعورية، ويتحفظون على مصطلح (فعليات) «لأنه مُصطلح تأثيلي»؛ أي مشتق من كلمة pragma التي تعني (الفعل). لكن التأثيل ليس عيبا أو سُبَّةٌ؛ إذ إنَّ النسبة العُظمى من المصطلحات المترجمة في أغلب حقول المعرفة تأثيلية كما في ترجمة biology إلى (علم الأحياء) و semantics(علم الدلالة) وlinguistics إلى (لسانيات) وpsychology إلى (وعلم النفس)، وbotany إلى (علم النبات)، و anthropology إلى (علم الإنسان).

نماذج من المصطلحات التي استعملتها:

أكثر المصطلحات التي استعملتها في الترجمة هي من ابتكاري، ولم أكُنْ مُخيَّرًا في ذلك؛ إذ إنَّ أكثر المصطلحات الواردة في المعجم حديثة، وتستعمل أول مرة باللغة العربية، فالابتداع هنا إجباري وليس خيارًا. غير أني اخترت الابتداع أو التوليد في بعض الحالات، مع وجود مصطلح شائع كما في حالة ابتداعي لمصطلح (الفعليّات) بدلا من (التداولية) منذ عام 1992 تاريخ تأليف كتابي نظرية الفعل الكلامي.

أما المصطلحات الجاهزة التي اعتمدتها فهي في الغالب مصطلحات لسانية عامة من الحقول الأخرى من غير الفعليات، كمصطلحات النحو والصرف والصوتيات وحتى في هذه الحقول وجدت بعض المصطلحات غير مستساغة وصعبة الهضم مثل (صوتيم) و(صرفيم) لترجمة phoneme وmorpheme؛ وترجمة phonology إلى (صواتة) و(صياتة).

ومن المصطلحات الجاهزة التي تُرجمت بصور مختلفة المصطلحان syntax وgrammar فتُرجم الأول إلى (نحو) و (تركيب) و(نظم)، وتُرجم الثاني إلى (نحو) و(قواعد). إن علاقة المصطلح الأول بالثاني في الغرب هي علاقة احتواء، فالثاني يحتوي الأول فضلا عن (علم الصرف)، لكنه يمثل الجزء الأهم لذلك يساوي البعض بينهما في الترجمة إن في كل الترجمات إشكاليات، وأَوْشَكتُ أن أَعْتَمدَ (النَّظم) لترجمة syntax، فمعناه اللغوي مطابق للمصطلح، لكن المشكلة هي أن عبد القاهر الجرجاني جعل (النظم) يضم المعاني وهي مستبعدة من المصطلح الإنغليزي. غير أنه أيضًا ضم المعاني إلى المصطلحين الآخرين فتكلم هو وشراحه على (معاني النحو) و(مستتبعات التراكيب) فضلا (عن معاني النظم).

وفي الختام وجدتني مضطرًا إلى استعمال (النحو) لترجمة syntax و(القواعد) لترجمة grammar.

ومن جهة أخرى كنت قد أعدت النظر في بعض المصطلحات التي سبق أن استعملتها في مؤلفاتي السابقة. فمن ذلك أني كنت أتحفظ على استعمال لفظة (قوة) لترجمة (force) في مصطلح (أوستن) القُوَّة البكلامية illocutionary force وكنت أفضل (المغزى) على (القُوَّة)، لكني اكتشفت، فيما بعد، أن الفارابي في (كتاب الحروف، ص. 163) يستعمل (القوة) بهذا المعنى. وربما يكون قد استعارها من كتب (أرسطو)، فاعتمدتها في المعجم. ومن ذلك أيضًا أني فضلت أخيرًا، الترجمة الاشتقاقية لبعض الأفعال الكلامية الفرعية مثل (الفعل البكلامي)، مما كُنْتُ مُتردّدًا بشأنه فعلى الرغم من تحفظاتي، وتحفظات الفيلسوف (أوستن) نفسه التي أوردتها سابقا، فإنَّ (أوستن) نفسه استمر باستعمال مصطلح (illocutionary) المشتق من (in) و (locutionary) والعالَم كله يستعمل هذا المصطلح على نحو مستمر وواسع، فلا داعي للتردُّد والتحفظ. لكني، من ناحية أخرى، تخليت عن ترجمة perlocutionary act اشتقاقا إلى (فعل بواسطة-كلامي) لثقلها الشديد والتزمت بترجمتها إلى (التأثير الكلامي). ومن ترجماتي، التي أعدت النظر فيها، مصطلح الفيلسوف (باخ) impliciture إِذْ وَجَدْتُ مِنَ المُناسب ترجمته إلى (التضمين) بدلا من ترجمتي السابقة له (التصريح الضمني)؛ إذ إنَّ (باخ) اعترض على مصطلح (التصريح) عند (سبيربر) و(ولسن)، لأن المعاني التي يُفْتَرَض أن يُشير إليها هي ضمنية وليست صريحة، لذلك فهو يُفضّل مصطلح (التضمين) على مصطلح (التصريح) (Bach، 1994، ص. 9). وكان المحذور من مصطلح (التضمين) أنه مستعمل في البلاغة العربية بمعنى مغاير. لكن لا داعي للقلق من ذلك؛ فالمصطلح البلاغي غير شائع، وحتى في الحقل العلمي نفسه تجد المصطلح الواحد يُستعمل بمعانٍ مُتعدّدة.

ولقد استعملت مصطلح (مقاربة) لترجمة approach بدلا من (مُقْتَرَب) الذي كنت أستعمله في ترجماتي السابقة؛ وذلك لأن المصطلحين صحيحان ومقبولان، لكن شيوع الأول حملني على التخلي عن الثاني.

وكنت على وشك استعمال مصطلح (الافتراض القبلي) ترجمة لمصطلح presupposition؛ ذلك لأن كلمة (قَبْلي) مُستعملة ومعروفة في الفلسفة ترجمةلمصطلح a priori، كما في المعرفة القبلية a priori knowledge، غير أن

مصطلح (الافتراض المُسبق) الذي استعملته في مؤلفاتي السابقة لا غبار عليه، علاوة على أنه أصبح الآن شائعًا[1].

أما المصطلح الإشكالي register فقد وجدت أن الترجمة المناسبة له هي (اللحن) (بتسكين الحاء أو بفتحها). فمن المعاني اللغوية أو الحرفية للفظة الإنغليزية هو (السجل) وهذا المعنى بالطبع لا علاقة له بالمعنى الاصطلاحي المقصود في اللسانيات. ومن المؤسف جدا أن تجد بعض المعاجم اللسانية استعملت (السجل) ترجمةً له. ومن معانيه الاصطلاحية في مجالي الصوتيات phonetics والموسيقى هو (الطبقة الصوتية). أما معناه الاصطلاحي في اللسانيات (ولا سيما الأسلوبية والاجتماعية) فهو: اللغة أو اللهجة المتعارف عليها، والتي تدل على هوية المُتكلّم الاجتماعية عند استعمالها في سياق مُحدَّد قد يكون مقاميًا (خطبة الجمعة مثلا)، أو مهنيا (كلام المحامين أو رجال الأعمال مثلا)، أو مُتعلّقاً بالموضوع (لغة الطب أو القضاء مثلا). وهو يشمل أيضًا، لهجة الكلام ومستواه (كلام رسمي أو غير رسمي) formal / informal، مما يتعلق بالأسلوب. وهذا هو ما نقصده حين نقول: فلان يتكلم باللغة العلمية أو الدينية أو السياسية أو هو يتكلم بلهجة أو نغمة رسمية متكلفة أو غير رسمية رافعة للكلفة. لكن كلمات (لغة) و(لهجة) و(أسلوب) و(نغمة) هي مصطلحات مثقلة بالمعاني الاصطلاحية ومن الصعب استعمالها لترجمة register دون التسبب في اللبس. وبعد البحث والاستقصاء الحثيث اهتدينا إلى مصطلح (اللحن) الذي يجمع تقريبا جوهر المعاني المذكورة. جاء في المعجم الوسيط (ص. 826): «اللحن: اللغة. يقال: هذا كلام ليس من لحني ولا من لحن قومي... اللحن: اللغة. وقد روي: «أن القرآن نزل بلحن قريش». وفي سورة محمد (ص) «وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ». يقول الزمخشري في كشافه: «في لحن القول أي في نحوه وأسلوبه». وفضلا عن ذلك فلفظة لحن لها علاقة بالموسيقى والتنغيم، مما يُشير إلى أسلوب أو نغمة الكلام وهو ما وجد ضمن دلالات اللفظ الإنغليزي الأصلي أيضًا، وربما كان المعنى الاصطلاحي في اللغتين فيه رائحة المجاز من هذا الأصل الموسيقي للفظ.

(1) نبهني كيان أحمد حازم إلى أن خليل بنيان الحسون ينقل في كتابه التصحيح اللغوي والكلام المباح، (ص. 155) كلام الزبيدي مؤلف تاج العروس الذي يجيز استعمال الفعل (أسبق) ومن ثم اشتقاق اسم المفعول (مُسبق) منه.

وابتدعت بعض المصطلحات من ألفاظ غير شائعة لأداء مصطلحات ذات دلالة دقيقة محددة عملا بقرارات مجمع اللغة العربية في القاهرة. فمن ذلك (النخز) لترجمة signifying، و(تشنيعة) لترجمة (slur) و(تخليف، ومُخَلَّف) لترجمة backgrounded, backgrounding (وتسطيع) لترجمة highlighting و(نوبة) لترجمة turn–takingومنصة لترجمة (floor) و(المتاحية) لترجمة accessibility و(العَنِيَّة) أو (البِشأنيَّة) لترجمة aboutness، و(المَعْلُومِيَّة) لترجمة givenness، والوجه (الطَّور) لترجمة (mode) وكذلك (المسموعية) و(المنظورية) و(شروط الموفقية) felicity conditions. ومن المصطلحات التي أعتز بابتداعها (الألفة) لترجمة familiarity و(الكلفة) لترجمة formality وكذلك (الإفراد) لترجمة lexicalization و(فداحة) لترجمة weightiness و(مَعْلُغوي) لترجمة paralinguistic و(الشرط المُمتنع) لترجمة counterfactual conditional و(صَفْحَة) لترجمة prfile، (احتراسة) أو (تحوط) لترجمة hedge و(إشعار) لترجمة cue و(استيفاء) لترجمة satisfaction، و(الماقيل) لترجمة what is said على غرار مصطلح (الماصدق) في المنطق، و(التأدب) لترجمة politeness، و(إساءة الأدب) لترجمة impoliteness، والصلة أو المناسبة لترجمة relevance، والظهور لترجمة manifestness و(إظهار) لترجمة ostension و(تسييق) لترجمة contextualization و(تصريح) لترجمة explicature و(السلمي) لترجمة scalar و(التوسع) لترجمة loose use و(عينة) لترجمة token، و(مُطرد) لترجمة monotonic، و(التدخل الفعلياتي) لترجمة pragmatic intrusion، و(لصيق بالألفاظ) لترجمة detachable، والصلة المثلى لترجمة (optimal relevance) و(الضرر الطارئ للوجه) accidental و(الضرر التصادفي للوجه) incidental، وأنواع المشاركين في الحدث الكلامي مثل المتفرج والمتنصت... و(ممهد التمهيد) لترجمة pre–pre– sequence واستعملت (استدراك) لترجمةrepair. ومن المثير للاهتمام أن أحد المعاجم المتخصصة بتحليل الخطاب طبق قرار مجمع اللغة العربية الذي يدعو إلى استعمال ألفاظ غير شائعة لابتداع مصطلحات ذات دلالة دقيقة، لكنه طبقه بصورة آلية، وغير مدروسة، فاستعمل لترجمة repair لفظة (رتق) غير المناسبة لمجرد غرابتها وعدم شيوعها. إن مجرد عدم الشيوع وحده لا يكفي، فكتاب (الألفاظ الكتابية للهمداني مليء بمثل هذه الألفاظ تحت باب (إصلاح الفاسد) مثل: (رَتَقَ الفَتْقَ، وَشَعَبَ الصَّدْعَ، وَلَمَّ الشَّعْثَ...). إنَّ لفظة (استدراك) هي اللفظة الدقيقة والمناسبة لهذا المفهوم في (تحليل المحاورة) كما يظهر من **المعجم الوسيط** (ص. 281) «استدرك عليه القول: أَصْلَحَ خطأه، أو أكمل نَقْصَه، أو أزالَ عَنْهُ لَبْسًا». وهذا

هو بالضبط تعريف المفهوم من المصطلح وتصنيف أنواعه المختلفة من دون لبس. (انظر مادة repair في معجم أوكسفورد للتداولية). ثم إنَّ المُصطلح يَرِدُ أحيانًا مركبًا مع ألفاظ أخرى كما في (الاستدراك على الذات بمبادرة الآخر) other–initiated self–repair فهل نترجمه إلى رتق الذات بمبادرة الآخر)؟!

نماذج من بعض الأخطاء الشائعة

وأخيرا نورد بعض الأخطاء التي اطلعنا عليها أثناء تصفحنا للمعاجم والكتب المترجمة، وهي تعود إلى أسماء كبيرة ولامعة، وليس المقصود من هذا العرض الإساءة، فسبحان مَنْ لا يُخطئ، وإنما الغرض هو التنبيه والإصلاح خدمةً للعربية. ولقد ذكرت بعضها عَرَضا في الصفحات السابقة، ولا أود تكرارها.

فيما يأتي لن أذكر أسماء المعاجم، ولا أسماء المؤلفين الفضلاء الذين لهم حسنة بسبب اجتهادهم ولهم، إن شاء الله، حسنتان فيما أصابوا.

فمن ذلك استعمال (ملفوظات، تلفظات) لترجمة Utterances وهي (القولات)، ودليل خطأ ذلك ما ورد تحت هذه المادة في (Huang، 2007، ص. 663)، ومن ذلك استعمال (مُكَمِّم وتكميم لترجمة quantification, quantifier، ومن المعلوم في علم المنطق أنَّ المُصطلح هو (السور والتسوير)، وكذلك ترجمة perlocutionary إلى (مقامي)، وترجمة definition by extension إلى (حدّ جامع مانع) وهو (التعريف المَاصَدَقي)، وترجمة délocutif إلى (نحت صياغي) ومعجم آخر يترجمها إلى (اقتوالي)، وترجمة contrast إلى (مفارقة) وهو (التباين) وترجمة deictic إلى (حدوثي) وآخر يترجمها إلى (برهاني، ضمني) وهي (إشاري)، وبعضهم ترجم illocutionary إلى (لاكلامي) و(لاعباري) و(إنجازي) و(طلبي)، وتَرْجَمَ perlocutionary إلى (حالي، بدلالة الحال) وتَرْجَمَ metalanguage إلى (الوضع الثاني، الاصطلاح). وترجم paralinguistic إلى (إيمائي) وهو (مَعْلُغَوي) فاللغة المصاحبة paralanguage لا تقتصر على الإيماء، بل تشمل كل ما يُصاحب اللغة من تنغيم التلفظ intonation وتعبيرات الوجه facial expressions... وهناك مَنْ خَلَط بينها وبين extralinguistic التي تعني (خارج – لغوي) فأطلق هذه الترجمة على كليهما مع البون الشاسع بين المصطلحين، وترجم مصطلح relevance إلى (الوظيفة التمييزية) وهذه ترجمات لا علاقة لها بالمفاهيم الأصلية لا من قريب

أو بعيد، فهي لا تُمَثِّل وجهة نظر وإنَّما هي أخطاء واضحة. فمثلا أحد المعاجم لا يُميز بين المُصطلح الصوتي (modulation) ويعني (تغيير أو تعديل طبقة الصوت) والمصطلح الإدراكيمعرفي (modularity) الذي يعني (المنظوميَّة)، فأين هذا مِنْ ذاك؟ ومعجم آخر يترجم (contrary) إلى (نقيضة قابلة للتدريج) والصحيح هو (الضّدّ) وهو يختلف عن (النقيض) contradictory، ويُترجم extension إلى (نطاق، مدى، امتداد) والصحيح هو (الماصدق) ويُترجم intension إلى (اشتداد) والصحيح هو (المفهوم). ويُترجم parataxis إلى (الإرداف) وهو مُصطلح بلاغي لا علاقة له بالمصطلح الإنغليزي الذي يعني (الفصل) ويُترجم hypotaxis إلى (تبعية أدائية) والصحيح أنه (الوصل)، ومبحث (الفصل والوصل) معروف في (علم المعاني) في البلاغة العربية. والغريب أن البعض ينقل من البعض الآخر الأخطاء نفسها من دون تحقُّق. ومعجم آخر يُترجم connotation إلى دلالة الالتزام والصحيح هو (1) دلالة إيحائية 2-- دلالة مفهومية فالالتزام استدلال منطقي، أما الإيحائية) و(المفهومية) فاسمهما يدل عليهما، ويُترجم presupposition إلى (الاقتضاء) والصحيح (افتراض مُسْبَق) لأن (الاقتضاء) مصطلح أصولي مشهور فهو دلالة (منطوق غير صريح) وله معنى محدد يغطي بعض حالات الإكمال completion والإغناء الدلالي enrichment في الفعليات الحديثة[1].

ويُترجم conventionality إلى (قابلية الوضع) والصواب (العرفية أو الوضعية)، ويُترجم definite description إلى (وصف مُحدد) والصواب (وصف معرف)؛ إذ قد يكون الوصف مُحدَّدًا ومُنكَّرا في آن واحد. ويُترجم scalar implicature إلى (استلزام خطابي دَرَجي) والصواب (تلويح سلمي). ويُترجم conversational implicature إلى (استلزام خطابي محادثي) والصواب (تلويح حواري). ويُترجم mutual knowledge إلى معرفة مشتركة والصواب هو (معرفة متبادلة) وليس مُشتركة common والفارق كبير فقد تكون المعرفة مشتركة بين اثنين لكنها قد لا تكون متبادلة إذا لم يعرف كلُّ طرف أن الطرف الآخر يعرف تلك المعلومات. وهذا موضوع كان فيه جدال طويل في الفعليات المعاصرة. هذه الأخطاء هي عينات على سبيل المثال

(1) وللمزيد من التفصيل انظر فصل (التدخل الفعليَّتي في الما قيل) في كتابنا **نظرية التلويح الحواري**. فمصطلحات مثل (دلالة الالتزام) و(الاقتضاء) هي مصطلحات مُحدَّدة في أصول الفقه الإسلامي ولا يجوز استعمالها بصورة اعتباطيّة).

لا الحصر. ومعجم آخر يترجم illocutionary إلى (لا قولي، متضمن في القول) هكذا يجمع بين الخطأ والاستدراك. وهو يُترجم implicature إلى (إضمار) وهو مصطلح غير مناسب ثم يعود فيترجم المصطلح نفسه إلى (استلزامية) وبجانبه يترجم implication إلى (استلزام) وبهذا يخلط بينه وبين (التلويح). ويُترجم deduction إلى استنتاج والصواب هو (استنباط). ومعجم آخر لا يُميز بين (الفعل الكلامي) speech act و(الحدث الكلامي) speech event فيسمي كليهما (الحدث الكلامي). ويُترجم quantifier إلى (المُحدد الكمي) والصواب هو (السور) وهو مصطلح معروف في علم المنطق. ويُترجم institutional linguistics إلى (علم اللغة السياسي) والصواب (اللسانيات المؤسساتية). وهناك مَنْ ترجم relevance إلى (الورود) و(الملاءمة) و(الإفادة) والصواب هو (الصلة أو المناسبة)، فإذا أردنا الاستعمال المتداول في عصرنا تكون (الصلة) ترجمة مطابقة، فنحن كثيرًا ما نواجه المتكلم بقولنا: «ما صلة كلامك هذا بموضوع حديثنا؟»، وإذا أردنا المصطلح التراثي فهو (المُناسبة) وكان إمام الحرمين الجويني مدركًا لأهميتها. انظر مقدمة ترجمتنا لكتاب (سبيربر) و(ولسن) (نظرية الصلة أو المُناسبة) مع العلم أنَّ (أو) هنا تُفيد عطف التفسير.

ومنهم من كان مُشوَّشًا في ترجمة مصطلح (category) وكذلك categorization. فهذا المصطلح يستعمل بمعنيين، الأول: يُشير إلى المفاهيم أو المعايير التي يتم بموجبها تصنيف الأشخاص والأشياء... وهذا هو ما يعرف بالمقولة والمقولات أو (قاطيغوريا) بالصيغة المُعرَّبة في المنطق الإسلامي وهو مصطلح مُستعار من (أرسطو). ومن ذلك المقولات الشهيرة: مقولات الزمان والمكان والكم والكيف والجهة... ومنها المقولات المستعملة في تصنيف أو وصف الأسماء أو الأفعال في النحو مثل مقولات الجنس والعدد والشخص والزمن... والمعنى الثاني، وهو الأكثر شيوعًا: هو للدلالة على الأصناف نفسها مثلا الكلمات تُقسم على أصناف مثل الاسم والفعل والحرف. وأصناف الفعل هي الماضي والمضارع والأمر والمتعدي واللازم...، وأصناف الاسم منها العلم والجنس،... وعملية تصنيف الذوات هي categorization. وما فعله بعض المعجميين هو أنه عمم مُصطلح (مَقْوَلة) لترجمة كل الحالات: المقولات والأصناف واستعمل مصطلح (مَقْوَلة)، بتسكين القاف وفتح الواو، لترجمة categorization (التصنيف).

ومن المصطلحات التي تجاهلتها أغلب معاجم اللسانيات العربية، أو ربما لم

تكن على وعي بمعانيها واستعمالاتها المختلفة مصطلح connotation فتُرِكَ معناه المنطقي الأصلي؛ أي: (المفهوم) intension أو (الدلالة المفهومية) واقتصر على المعنى غير الفلسفي فتُرْجِمَ إلى (الدلالة الإيحائية) وهي التي تتعلق بالمعاني الإضافية: الانفعالية والوجدانية السلبية أو الإيجابية. لكن واضع هذا المصطلح (جون ستوارت مل) لم يقصد به هذا المعنى، بل المعنى المنطقي المرادف لمصطلح (المفهوم) المقابل للماصدق.

وفي الختام لا بد من التنويه بأن هذه الملاحظات لا تقلل من جهود الأساتذة الأفاضل الذين كان لهم الفضل الذي لا يُنكر ولا سيما المغاربيين. وقد استفدت منهم في ترجمة بعض المصطلحات اللسانية العامة وهذا يُبين حاجة بعضنا إلى البعض الآخر.

المصادر والمراجع

باللغة العربية:

- الإستراباذي، ر. الد. (1995). *شرح الكافية*. دار الكتب العلمية.
- الأشهب، خ. (2011). *المصطلح العربي: البنية والتمثيل*. عالم الكتب الحديث.
- باكلا، م. ح. وآخرون. (1983). *معجم مصطلحات علم اللغة الحديث*. مكتبة لبنان.
- التفتازاني، س. الد. وآخرون. (1923). *شروح تلخيص المفتاح*. مطبعة السعادة.
- التهانوي، م. ع. (1996). *كشاف اصطلاحات الفنون*. مكتبة لبنان ناشرون.
- حسن، ع. (1966). *النحو الوافي*. دار المعارف.
- الحمزاوي، م. ر. (1991). *المعجم العربي: إشكالات ومقاربات*. بيت الحكمة.
- الخطيب، أ. ش. (1984). *معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية*. مكتبة لبنان.
- الخليفة، هـ. (2007). *نظرية الفعل الكلامي*. مكتبة لبنان ناشرون.
- الخليفة، هـ. (2013). *نظرية التلويح الحواري*. مكتبة لبنان ناشرون.
- الخولي، م. ع. (1982). *معجم علم اللغة النظري*. مكتبة لبنان.
- ديكرو، أ. (2007). *القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان* (ترجمة م. عياشي). المركز الثقافي العربي.

- سبيربر، د.، & ولسن، د. (2016). *نظرية الصلة أو المناسبة* (ترجمة ه. الخليفة). دار الكتاب الجديد المتحدة.
- السكاكي، أ. ي. (1937). *مفتاح العلوم*. مصطفى البابي الحلبي.
- شارودو، ب.، & منغو، د. (2002). *معجم تحليل الخطاب* (ترجمة ع. القادر المهيري، & ح. صمود). دار سيناترا.
- الشهابي، م. (1955). *المصطلحات العلمية في اللغة العربية*. معهد الدراسات العربية، جامعة الدول العربية.
- عبد الرحمن، ط. (1987). *في أصول الحوار وتجديد علم الكلام*. دار الخطابي.
- علي، م. م. ي. (2007). *المعنى وظلال المعنى*. دار المدار الإسلامي.
- غلفان، م. (2013). *اللسانيات البنيوية*. دار الكتاب الجديد المتحدة.
- الفارابي، أ. ن. (1970). *كتاب الحروف* (تحقيق م. مهدي). دار المشرق.
- الفاسي، ع. الق. (2009). *معجم المصطلحات اللسانية*. دار الكتاب الجديد المتحدة.
- الفاسي، ع. الق. (د. ت). *اللسانيات واللغة العربية*. دار آفاق عربية.
- القاسمي، ع. (1985). *مقدمة في علم المصطلح*. دار الحرية للطباعة.
- مجمع اللغة العربية في القاهرة. (1963). *مجموعة القرارات العلمية في ثلاثين عامًا*.
- مجمع اللغة العربية في القاهرة. (د. ت). *المعجم الوسيط*. المكتبة العلمية.
- المسدي، ع. س. (1984). *قاموس اللسانيات*. الدار العربية للكتاب.
- مطلوب، أ. (1983). *معجم المصطلحات البلاغية وتطورها*. المجمع العلمي.
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. (1989). *المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات*. مطبعة المنظمة.
- موشلر، ج.، & ريبول، آ. (1994). *القاموس الموسوعي للتداولية* (ترجمة مجموعة أساتذة). دار سيناترا.
- موشلر، ج.، & ريبول، آ. (2003). *التداولية اليوم* (ترجمة دغفوس، & الشيباني). المنظمة العربية للترجمة.
- الميساوي، خ. (2013). *المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم*. دار الأمان.
- النشار، ع. س. (1971). *المنطق الصوري*. دار المعارف.

باللغة الاجنبية:

- Austin, J. L. (1962). How to do things with words. Clarendon Press.
- Cruze, D. A. (1986). Lexical semantics. Cambridge University Press.
- Crystal, D. (1998). A dictionary of linguistics and phonetics. Blackwell.
- Evans, V. (2007). A glossary of cognitive linguistics. Edinburgh University Press.
- Horn, L., & Ward, G. (Eds.). (2004). The handbook of pragmatics. Blackwell.
- Huang, J. (2007). Pragmatics. Oxford University Press.
- Leech, G. (1983). Principles of pragmatics. Longman.
- Levinson, S. (1983). Pragmatics. Cambridge University Press.
- Levinson, S. (2000). Presumptive meanings. MIT Press.
- Lyons, J. (1977). Semantics. Cambridge University Press.
- Recanati, F. (1981). Les énoncés performatifs. Éditions de Minuit.
- Searle, J. (1969). Speech acts. Cambridge University Press.

اللسانياتُ الحديثَة ومَنهج «التقابُل» في النظرِ إلى اللغة وتفسيرِها

أ. د. عبد الرحمن بودرع
جامعة عبد المالك السعدي، كلية الآداب تطوان
a.boudraa@uae.ac.ma
abderrahmane56@gmail.com
https://orcid.org/0000-0003-1911-9493

الملخّص

هذا بحث مُختصَر، في بلاغةِ التَّقابُلِ أو المقابلات الضدّيّة، يسعى إلى بَيانِ طريقةٍ أخرى في بناءِ الخطابِ وفي قراءَته وتأويلِه، ووجهةٍ ثانيةٍ في النظرِ إلى العالَم وفَهمِه وتَغييرِه، لا تجدُ أصولَها في البنيةِ الذّهنيّةِ القارئةِ المؤوِّلَةِ فحسب، بل تستغرقُ الظّواهرَ وتُلقي بينَها علاماتٍ دالةً على استلزام الأوضاعِ المُتضادَّةِ بعدَ أن سادَت أُحاديةُ البُعد المنطقيّ حقبةً طويلةً. ويَقتضي موقعُ النظرِ الجديدُ أن يُعادَ ترتيبُ العلوم والمعارفِ وبناؤُها عبرَ المَداخلِ اللغويَّةِ.

الكلمات المفاتيح: التقابُل، التضادّ، اللسانيات الإدراكيّة، الاستعارة.

MODERN LINGUISTICS AND THE CONTRASTIVE APPROACH

Prof. Abderrahmane Boudraa
Faculty of Letters and Humanities, Abdelmalek Essaâdi University, Tetouan
a.boudraa@uae.ac.ma
abderrahmane56@gmail.com
https://orcid.org/0000-0003-1911-9493

ABSTRACT

This is a brief study on the rhetoric of contrast, which seeks to demonstrate another way of constructing, reading, and interpreting discourse, as well as another perspective on worldview and understanding. This new perspective not only originates in the mental structure of the interpreting reader, but also integrates phenomena and introduces signs indicating the importance of opposing situations after a long period of logical one-dimensionality. The new perspective requires that sciences and knowledge be reorganized and reconstructed through linguistic approaches.

Keywords: opposition, antonymy, cognitive linguistics, metaphor.

تقديم:

هذا مقالٌ مُختصَر، في بلاغةِ التضادِّ أو المقابلات الضدّيّة، يسعى إلى بَيانِ طريقةٍ أخرى في بناءِ الخطابِ وفي قراءَته وتأويلِه، ووِجهةٍ ثانيةٍ في النظرِ إلى العالَم وفَهمِه وتَغييرِه، لا تجدُ أصولَها في البنيةِ الذّهنيّةِ القارئةِ المؤوِّلَةِ فحسب، بل تستغرقُ الظّواهرَ وتُلقي بينَها علاماتٍ دالةً على استلزامِ الأوضاعِ المُتضادَّةِ بعدَ أن سادَت أُحاديةُ البُعد المنطقيّ حقبةً طويلةً. ويَقتضي موقعُ النظرِ الجديدُ أن يُعادَ ترتيبُ العلوم والمعارفِ وبناؤُها «عبرَ المَداخلِ النّحويّةِ والتّركيبيّةِ والصّرفيّةِ والأسلوبيّةِ والبَيانيّةِ والدّلاليّةِ والرّمزيّةِ في الخطابِ» (بازي، 2010، ص. 9).

فالغرَضُ إعادةُ بناء النظرِ والمُقاربةِ، وإعادةُ تشكيلِ الخطابِ، والادِّعاءُ أنّ العالَمَ مبنيٌّ على تلازُمِ الأضدادِ مثلما هو مبنيٌّ على تلازمِ النّظائرِ. ففي هذا المَسْعى ادِّعاءٌ أنّ «علاقاتِ التَضادّ» بين الأشياءِ وتأثيرَ ذلكَ في بناءِ النّصّ وتحليلِ الخطابِ، ليست «استراتيجيةً» تأويليةً فحسبُ، ولكنّها مُقاربةٌ واقعيّةٌ تستكنهُ طبيعةَ علاقاتِ الكونِ وتقتربُ من منطقِه التّقابُليّ، فهو مَوقفٌ جديدٌ من مواقفِ النّظرِ يسحبُ من المُقارَباتِ المنطقيّةِ السابقةِ تَفرُّدَها في التأويلِ الذّهنيّ للأشياءِ وترجمة العلاقاتِ من عالَم الأعيانِ إلى عالَم الأذهانِ.

***

سيقتصرُ الكلامُ على جزءٍ من نظرة اللسانياتِ لهذا البُعد المنهجيّ في النظَر، والسؤالُ المُثارُ في عَلاقَةِ اللُّغَة بقَضيّةِ «التّقابُل»: هل اللُّغةُ البَشَريةُ مَنطقيةٌ صَريحَةُ البَيانِ أو أنّ للمسألة وجوهاً أُخرى؟ هل تحملُ اللغةُ في أحشائها بذورَ التناقُض؟

عندَما بَرَزَت «**البنويةُ**» حَرَكةً فِكريةً ومَنهجاً فَلسَفياً في تَصوُّر الظَّواهر الإنسانيّةِ، فإنّها لَم تَكُنْ منهجَ الدّراسَةِ اللغويةِ في العصرِ الحَديثِ فَحسب، ولكنّها كانَت أَمارةً بارزةً وطابعاً فلسفياً للعلومِ الإنسانيّة، علمِ النّفسِ وعِلْمِ الإناسَةِ واللّسانيّاتِ، وكان اسمُ «البنويّة» Structuralism يَجمَعُها. وكانَت ترتكزُ على مَبْدأ «**التَّقابُل**» أو نظريّة «التقابُل» كَما بيَّنها تشارلز أوغدن Ogden (1967)، قالَ فيه الباحثونَ: «ولا نُبالغُ إذْ نقولُ إنّ كتابَ «أوغْدِنْ» هذا كانَ له ما كانَ لكتابِ ليفي ستروس Lévi–Strauss الذي عُنوانُه «الأنثروبولوجيا البنيويّة» Anthropologie Structurale مِن تأثيرٍ في تأسيسِ البنيَويَّةِ بوصفِها حركةً فكريّةً ومنهجيّةً مركزيّةً في العلومِ الإنسانيّةِ والاجتماعيّةِ، وكانَ «أوغدِنْ» قبلَ تأليفِه كتابَه في **نظريّةِ التَّقابُل**، قَد شارَكَ أ. ريتشارد في كتابةِ نَصٍّ

تأسيسيّ آخَرَ في البنيويّةِ هو «مَعْنى المَعْنى» The Meaning of Meaning (1923) الذي لا يَزالُ كتاباً مَرْجِعياً في تخصصاتٍ مُختلفةٍ»[1].

للإجابة عن هذا السؤال لا بدّ من الإشارَة إلى أنّ التّحوُّلَ الذي أصابَ مناهجَ دراسةِ اللغةِ كَشَفَ أسراراً وأبعاداً خفيّةً في اللغةِ البَشَريّة؛ لقد ظهَر في النّصفِ الثّاني من القَرنِ العِشرينَ اهتمامٌ بعلاقَةٍ جَديدةٍ لم يَتطرّقْ إليْها الدرسُ اللُّغويّ الحديثُ على عَهد **البنَوية**، وهي عَلاقَة مُمارسَةِ اللّغةِ بالتّغيُّر الاجتماعيّ، بيّنَ تلك العلاقَةَ فلاسفةُ لُغةٍ من أمثال أوستين وفيتغنشتاين ووينْش الذينَ أكّدوا **أنْ ليسَت اللّغةُ انعكاساً مُباشراً للواقع، ولكنّها تُمارسُ وظيفةً أكبرَ من ذلكَ في تَشكيلِ الحَياةِ الاجْتماعيّة.** ثمّ أسْهَمَ باحثونَ اجتماعيّونَ بعْدَ ظهورِ الاتّجاه البنيويّ، في دَرْسِ الظّاهرةِ اللّغويّة، فبَدَأت تظهرُ أفْكارٌ متطوّرةٌ في هذا السّياقِ، تُنسَبُ إلى عالِم الأنثروبولوجيا كلود ليفي ستروس وعالم الاجتماع إيرفينغ غوفمان وألفرد شولتزر، وما زالَت المناهجُ الاجتماعيّةُ تَرْتَقي وتَتطوّرُ في نَظرتِها إلى اللّغةِ، فظهَرَت آثارُ التّطوّر السياقيّ على يدِ بورديو وغيدنز وهابرماس (بدوي، د.ت).

جاءَت نظرياتُ تَحليلِ الخطابِ بوَظيفةِ النّقدِ للنّظريّاتِ البنويّةِ مؤكِّدَةً صفةَ التّغيُّر وعَدَمِ الثّباتِ في البنيةِ اللّغويّةِ، ونافيةً وَهْمَ اكتفاءِ البنيةِ بذاتِها، فقَد تطوّرَت مَناهجُ النّظرِ والتّفكيرِ، فأتاح هذا التّطوُّرُ الانتقالَ **من البنيةِ إلى الهَيْكَلَة** *Structuration* **ومن الدّلالَةِ**[2] *Signification*، وهي البحث عن المَعنى المَخْبوء المُحدَّد، **إلى الدّلائليّةِ** *Signifiance*؛ أيْ بناء المَعْنى بإجراء تَطْبيقاتٍ نَصّيةٍ من الرّبطِ والتّضامِّ والتّناسُب... (Adam، 1990).

---

(1) مُقدّمةٌ وضَعَها «مارسيل دانيسي Marcel Danesi» من جامعة تورنتو، للترجمة العربية لكتاب: **التّقابُل اللغوي، تَحليل لغوي وسايكولوجي**، تشارلز/ أوغدنْ، المُسَمّاة: «نظرية التقابُل وترابُط اللغة والثقافَة والمعرفَة» *(Culture and Cognition Opposition theory and the interconnectedness of Language,)* وقد نَعَتَ دانيسي أوغدن **بالرّيادَة في التّصنيف في نظريّة «التقابُل»**، وقدَّمَ لترجمة الدكتور كيان أحمد حازم يحيى، لكتاب أوغْدِنْ، والمقدّمَة ثريّة، نُشرَت مُلحَقةً بترجمة كيان أحمد، والترجمةُ العربيةُ دقيقةٌ ووافية وجيدة، (2018، ص. ii).

(2) تَداوَلَت إشكاليةَ «المَعْنى» كثيرٌ من النظريات اللسانية، منها النظرية السياقيّةُ *The contextual Theory of Meaning* بزعامة فيرث الذي تأثر بنظرية مالينوفسكي في حديثه عن سياق الحال، ونَظرية «الحُقول الدلالية» *Semantic Field Theory* ونظرية التحليل المُكوِّنيّ للمَعنى *Componential Analysis of Meaning*

يُرجَعُ إلى: (Vandenbergen and Aijmer, 2007, p.15-16)

وإذا كانَت «حَرَكَةُ ما بَعدَ البنويّةِ» قد سَعَت لإسْقاط المدّ البنويّ وإزاحتِه عَن مَشهدِ الدَّرسِ الإنسانيّ عامةً واللسانيّ خاصّةً، فإنّ المبدأَ الذي قامَت عَلَيه البنويّةُ وهو «**التَّقابُل**» **أو الثنائياتُ، كما بيَّنَها دو سوسير في دروس في اللسانيات العامة، وطبَّقها اللسانيونَ البنويون في دراساتهم الصَّوتية**، ومنهم رومان جاكبسون صاحب مبدأ المقابلات الضدّيّة في تحليل الأصوات، لم يَسقطْ سُقوطاً مُبْرَماً «لأنّ حرَكَةَ ما بَعدَ البنيويةِ لَم تُقدِّم البتّةَ الأدواتِ النّظريّةَ المطلوبةَ لفَحص العقلِ والثَّقافةِ البَشَريّينِ بالفاعليّةِ التي قَدَّمَتها بها البنيويةُ، بَل بَدَت مُقتنعةً بِتَقْويضِ صَرحِ البنيويةِ من غَيرِ تَقديم أنموذجٍ بَديلٍ يُعيدُ بناءَه بطَرائقَ جَديدةٍ وأكثرَ تَبصُّراً في ما يُزعَمُ. فقَد كانَت حركةُ «ما بَعْدَ البنيويّةِ»، بحسبِ ما ادَّعته هي نفسُها تَقويضيّةً... بَيد أنّها لم تُقدِّمْ أيّةَ أبدالٍ بنائيّةٍ لتطويرِ أنموذجٍ قابلٍ للحَياةِ... والواقعُ أنّ البنويّةَ قَد طَفَت مرّةً أخرى على السّطحِ بوُضوحٍ بعد إخفاقِ حرَكَةِ ما بعدَ البنويّةِ في إيجادِ بَديلٍ قابلٍ للحَياةِ»[1].

ورُجوعُ البنويّةِ (أو «البنويّة المُتجدّدَة») ومَبادِئِها يَعني رُجوعَ مبدأ «**الثُّنائيّةِ**» السوسوريّةِ في دراسةِ اللّغةِ والفكرِ، وبناءِ منهج الدّرسِ على فكرةِ «**التّقابُل**» التي تَعني أنّ العلاماتِ اللغويّةَ لا تدلُّ على المَعنى إلا في علاقتها بغيرِها من العَلاماتِ، ومِن هذِه العَلاقاتِ القيمُ الخِلافيّةُ (Distinctive values) التي تتحكَّمُ في اختلاف العَلاماتِ باختلافِ عُنصرٍ من عَناصرِها، (Troubetzkoy، 1949)، والمثالُ على ذلك اتّفاقُ اللفظَيْن في أكثر الحُروف واختلافُهُما في حَرف واحِد (وهو ما يُدْعى في العربيّةِ بالجناسِ غيرِ التّامّ)، والعُنصُرُ المُختَلَفُ فيه هو الذي يُحدّدُ الفرقَ الدّلاليَّ بينَ اللَّفظَيْن، وبناءً على هذا التّقابُلِ تتعيَّنُ العلاقاتُ الدّلاليّةُ.

لقَد أكّدَ الباحثونَ أنّ «**نظريةَ التّقابُل**» عادَت بعدَ انقطاعٍ سبَّبَه ظُهورُ نظريةِ النّحو التّوليديّ التّحويليّ التي جاءَت بنظريةٍ جَديدةٍ لنقدِ البنويّةِ وإعادةِ النّظَرِ في مبادئِها، ابتداءً من المؤلَّف الرئيس «البنى التركيبية» (Chomsky، c1957) وتأسيسِ نظريّةٍ جديدةٍ في مُقاربةِ الظّاهرةِ اللغويّةِ، استغرقَ التأليفُ فيها ومُراجعَةُ ما أُنجِزَ أكثرَ من

(1) يَرى دانيسي في مُقدمته التي وَضَعَها للترجمَة العربية لكتاب أوغدنْ «**التقابُل، تَحليل لُغويّ وسايكولوجي**»، أنّ الترجمةَ العربيةَ للكتاب إشارةٌ واضحةٌ إلى «**تَجدُّد الاهتمام**» بأنموذَج نظريّ قَويٍّ لدِراسةِ المعرفةِ البشريّةِ ومُنتَجاتِها التّعبيريّةِ دراسةً نظاميّةً مُتَبصِّرةً: أورَدَ هذَه الشهادَةَ مُترجم كتاب أوغدنْ إلى العربية الدكتور كيان حازم يحيى: **التقابُل، تَحليل لُغويّ وسايكولوجي**، أوغدِن، مُقدمة المترجِم (ص: iii).

نِصْفِ قَرنٍ (Cook and Newson، 2007)، ولَم تَخلُ هذه الحَرَكةُ من نَقْدٍ وتَعقُّبٍ طيلةَ عَشرات السنينَ التي مَلأتْ فيها مُؤلَّفاتُ «شومسكي» الدُّنيا اللغويّةَ وشَغَلَت اللسانيّين[1].

ثُمَّ عادَ الاهتمامُ يَتجدَّدُ **بنظريّةِ التّقابُل** التي تُختَصَرُ في أنّ الأشياءَ تَمْتازُ بأضْدادِها ومُقابِلاتِها، فإن لَم يوجدْ في المُعادَلَةِ مُقابلٌ صعُبَ التصوُّرُ والإدراكُ بل صَعُب تنظيمُ عَناصرِ العالَمِ في الذّهنِ وتعذَّرَ بناءُ مَفاهيمِ المُعجَمِ الذّهنيّ، ولكلّ ثَقافةٍ مُعادَلاتُها التّقابُليّةُ وقد تَلتقي أكثرُ الثقافاتِ في المُعادَلاتِ القُطبيّةِ كلَّما اقترَبَت من المنطق العَقْليّ.

«وممّا دفَعَ إلى تجدُّد الاهتمام **بنظريّة التَّقابُل**... ظُهور الحَرَكة المَعروفَة باسم «اللّسانيّاتِ المعرفيّة» أو «اللّسانيّات الإدراكيّة» Cognitive linguistics التي تصَدَّرَت المَشهدَ في ثَمانينياتِ القَرنِ العشرينَ... إنّ اللسانيّاتِ المعرفيّةَ تبحثُ في حَقيقةِ أنّ المعانيَ الثّقافيّةَ تنبثقُ من ترابُطاتٍ بين المَفاهيم تُدْعى استعاراتٍ مفهوميةً... والفكرةُ الرّئيسَةُ الكامنةُ وراءَ مَشروعِ اللّسانيّاتِ المعرفيّةِ هي أنّ العقلَ البَشريَّ يَسعى إلى فهمِ الواقعِ **بتَوليفِ نطاقاتٍ لَلمَعْنى** من خلالِ تَوليفاتٍ مُترابطةٍ: جَسَديةٍ، وتأريخيّةٍ، ووجدانيّة. فَبَرْبَطِنا الحيواناتِ بالشخصيّةِ الإنسانيّةِ... نَسْعى إلى فَهمِ هذه الأخيرَةِ من زاويةِ تلك الأولى. ويكشفُ هذا عن سَببِ تأويلِنا الجُملَ التي مِن قَبِلِ «إنّه ثعلبٌ» و«إنّه نسرٌ»، وما إلى ذلك، على أنها تَراكيبُ متعلقةٌ بالشّخصيّةِ، لا على أنها عباراتٌ حرفيّةٌ. ويُمكنُ بمزيدٍ من التّأمُّل أن يُرى أنّ **الأفكارَ الرئيسةَ الكامنةَ وراءَ اللسانيّاتِ المعرفيّةِ تُؤيِّدُ الفكرةَ الأساسيّةَ للبنيةِ التّقابُليّة**. فبالإمكانِ إذن رؤيةُ أنّ **البنيةَ المفهوميّةَ الكامنةَ وراءَ الاستعاراتِ الحيوانيّةِ مَردُّها إلى التّقابُل بَشَر–حَيوان**، حيثُ الحَيواناتُ هي القُطبُ الموسومُ... »[2].

ولكنّ نظريّةَ التقابُلِ البنويّةَ لم تَستطعْ التّمكينَ المطلقَ لنظريّة التّقابُل ولم تَقْوَ على نَسخِ ما بعدَها، ممّا جَدَّ في ساحة الدَّرس اللِّسانيّ؛ فقَدْ ظهرَت نظريّاتٌ لسانية

(1) تَعقَّبَ «نظريّةَ النّحو التّوليديّ» كثيرٌ من اللّسانيّين النُّقّاد في أوربّا على الخُصوص، بل من الباحثين الأوربيين مَن رَماها بالتَّناقُض الدّاخليّ، تَناقُض يَحرِمُها من كلِّ قيمةٍ، ومِن أخطاء النظريّةِ خلطُها بَين «دلالَة الجُملَة وبينَ «معرفة الواقع الذّي تصفُه» هذه الجُملةُ وتُحيلُ إليه...: (Buyssens، 1969، ص. 840-857)، (Hagège، 1976).

(2) مُقدّمَة مارسيل دانيسي للترجَمَة العربية لكتاب: **التقابُل، تَحليل لُغويّ وسايكولوجي**، (أوغدِن، ص. x).

وتداوليّة عُنيَت بدراسةِ الفكرِ والمُجتمَع من خلالِ النّص والخطابِ، أي من خِلالِ الكلماتِ المُنجزَةِ عَلى نحوٍ مَخصوصٍ من التّركيبِ والبِناءِ والانتقاءِ، والمَبنيةِ على أساسِ التقابُل: خطاب لغويّ/ تغيُّر اجتماعيّ وسياسيّ؛ فلَم تَعُد اللُّغة وَسيلةً للتّفكيرِ والتّعبيرِ فحَسْبُ، على نحوِ ما كانَ سائداً مُتَداوَلاً، ولكنَّها أصبحَتْ أداةَ تَغييرٍ ووسيلةَ تَأثيرٍ في العالَم[1]. وكانَ من نَصيبِ الدّرْسِ اللّسانيّ التّداوليِّ أن رَبَطَ بينَ اللغة وبينَ الأفعالِ الاجتماعيّةِ، وحدَّدَ دراسةَ الخطابِ اللغوي في إطارِ الاستعمالِ وفي السّياقِ الاجتماعيّ والثّقافيّ. وهذا بابٌ من أبوابِ ربطِ الخطابِ اللّغويّ بحرَكَةِ المُجتمَعِ وبظواهِرِه. ومن مَظاهِرِ أهمّيّةِ الدّرسِ التّداوليّ في بَيانِ قيمةِ الخطابِ في المُجتمَعِ، **أنّ المَعْنى لم يَعُدْ يُلتَمَسُ في البنيةِ اللّغويّةِ المُجرَّدةِ**، ولكنّه «يُعْرَفُ من خلالِ الانفتاحِ على السّياقاتِ التي تَستوعبُ الكلماتِ والعباراتِ... والمَجالاتِ المعرفيّةَ المُتنوِّعةَ داخلَ الخِطاباتِ» (أحمد، 2010، ص ص. 34–35)، بل نجدُ أنّ مَعاني الكلماتِ لم تعُدْ ثابتةً ولكنّها لا تَفتأ تتغيّرُ بحسبِ طَبيعةِ المَواقعِ السياسيّةِ والمَذهبيّةِ للذّاتِ المتكلِّمةِ، وبحسبِ انتقالِها من تشكُّلٍ إلى تشكُّلٍ آخَر مُقابِلٍ (عبيد، 2013، ص. 11).

نجدُ لاستخدامِ النُّصوصِ بُعْداً سياسيّاً وعُمقاً اجتماعيّاً ودوراً في بناء الحَدَثِ، وليسَ مَعْنى ذلكَ أنَّها أسبابٌ حاسمةٌ تجرُّ أحداثاً اجتماعيةً حَتميّةً؛ فالعالَمُ الاجتماعيُّ مَبْنيٌّ بناءً اجتماعياً، وفقَ نظريّة «البِنائيّة الاجْتماعيّة» Social Constructivism، ويظلُّ لِلُّغةِ أثرٌ في بناءِ العالَم الاجتماعيّ والسِّياقِ الاجتماعيّ وفي تَطوُّرِ المَعاني الاجتماعيّةِ المُتَفاعلَةِ وسَيْرورتِها، وهي نفسُها تتأثّرُ بالمُؤسَّساتِ الاجتماعيّةِ في بِنائيَّةِ النّصِّ Texual Constructivism، وصُنعِ المَعاني فيه وسيْرورَتِها، **ويدخلُ في تلك المَعاني المَصْنوعَةِ في النّصّ وما يطرأ عَلَيْها من تَطوُّرٍ في مَسار بناءِ النّصِّ وتَشْييدِه أطرافٌ وعَناصرُ مُتفاعلةٌ مُتَقابلةٌ، تُؤخذُ بعيْن الاعتبارِ في تَحليلِ الخطابِ الاجْتماعيِّ، وهي المتكلّمُ والمتلقّي والمَصالحُ والقِيَمُ والمَقاصدُ والعلاقاتُ، وعَناصرُ أخْرى حاسمةٌ، لا يُفصِحُ عنها النّصُّ في تَأويلِ المَعْنى، ولكنَّ مَعرفتَها شَرْطٌ في التأويلِ لأنّ النّصَّ من غيرِ اعتمادٍ على تلك العَناصِرِ يظلُّ مفتوحاً على تفْسيراتٍ مُحتمَلَةٍ.**

وعليْه، **لا تَستندُ صناعةُ المَعْنى إلى البَـيِّـنِ في النّصِّ فَقَط، ولكنَّها تحتاجُ أيضاً**

(1) وتُعدُّ هذه الوظيفةُ الجديدةُ من وظائفِ الخطابِ اللغويّ رأسَ الوظائفِ، وعليْها بَنى جون أوستين نظريّتَه في أفعال الكلام، أو «كيف نُحقّقُ الأشياءَ بالكَلامِ». انظر نظريتَه الفلسفيةَ التداوليةَ: (Austin, 1962).

إلى مُقابِلٍ له هو المُستترُ أو المُقدَّر المُسلَّمُ بِه، المُفْتَرَضُ معرِفَتُه وتَداوُلُه في أعرافِ المُتَخاطِبينَ[1] Habits of Poetry (Sánchez–Eppler، 1986). فَما من ظاهرةٍ من الظّواهرِ أو قضيّةٍ من القَضايا الاجتماعيّةِ والسّياسيّةِ والثّقافيّةِ، إلاّ وتتّخذُ تعبيرَها ومَظْهَرَها من خلالِ نُصوصٍ وأشكالٍ خطابيّةٍ ومَقالاتٍ وكُتبٍ، يتعيّنُ الرّجوعُ إليْها للوُقوفِ على تلك الظّواهرِ ودراسَتِها.

الخطابُ ممارسةٌ للغةِ، والمُمارسةُ اللّغويّةُ – وإنْ لم تكُنْ تعكسُ بالضّرورةِ مُقابلَها وهو أسبابُ حُدوثِ الوَقائعِ – فهي تُقدّمُ أسلوباً في التّفكيرِ وطَريقةً في رُؤيةِ المُستقْبَلِ ومنهجاً في تأويلِ الواقعِ. والمُمارسةُ اللّغويّةُ التي هي مادّةُ تَحليلِ الخطابِ، تُصبحُ ممارسةً اجْتماعيّةً تاريخيّةً عندَما ترتبطُ بشُروطٍ مَوضوعيّةٍ أخرى[2]، فتَحليلُ الخطابِ يتّخذُ موضوعاً لَه القَولَ الاجتماعيّ السّائدَ، الذي يصدرُ عن الفعلِ الاجتماعيّ أَو

---

(1) تَحَدَّثَ نُقّادُ الشِّعر قَديماً وحَديثاً عَن **عاداتِ الشِّعْرِ وأعْرافِه**، وما لَها من قيمَةٍ في رَفْد الإبداعِ والتَّمْكين له في التداوُل الأدبي والنَّقْدي، يُنظر على سبيل المثال فيما سَمّاه قُدامةُ بن جَعفرَ **بالعُرف الشّعريّ**، وقد عدَّ الخروجَ عن الأعرافِ الشعريّةِ المتداوَلَة ومُخالفةَ العاداتِ المُتعارَفَة عَيْباً من عُيوبِ مَعاني الشِّعر؛ يَقول: «من عُيوبِ المعاني: مُخالفةُ العُرفِ، والإتيانُ بما ليسَ في العادةِ والطّبعِ، وذلك مثلُ قولِ المَرّار:

وخالٍ على خَدَّيْك يَبدو كأنّه سَنا البدر في دَعْجاءَ بادٍ دُجونُها

فالمُتَعارفُ المعلومُ أنَّ الخيلانَ سودٌ، أو ما قاربَها في ذلك اللّون، والخُدود الحِسان إنّما هي البيضُ، وبذلكَ تُنعَتُ، فأتى هذا الشّاعرُ بقَلْبِ المَعْنى» (القَيروانيّ، ت. 463هـ، 1981، ص. 244).

(2) اجتهَدَ عالمُ اللّسانياتِ المتخصصُ في التحليل النقدي للخطاب، نورمان فاركلوف *Fairclough N.* في تطوير «**تحليلِ الخطاب**» ومُراجَعَةِ اللسانياتِ الاجتماعيّةِ (*Sociolinguistics*) مراجعَةً نقديّةً، ومُحاولةِ إخْراجِ الخطابِ من حُدودِ اللسانياتِ وربطه بالفكرِ السياسيّ والاجتماعيّ القائم، للكشفِ عن علاقَةِ «الخِطَابِ» «بالمُجتمَع»، أو «النّصّ» «بالسّياق»، (بَدَوي، د.ت، ص ص. 184–185). ومن مؤلفات نورمان فاركلوف في تحليل الخطاب الاجتماعي:

- *Language and Power (1989)*
- *Discourse and Social Change (1992)*
- *Critical Discourse Analysis (1995)*
- *Discourse in Late Modernity (N.Fairclough & L.Chouliaraki (1999)*
- *Language and Power (2001)*
- *Language and Globalization (2006)*
- *Discours and Contemporary Social Change (2007) (N.Fairclough, G.Cortese, P.Ardizzone),*

يُعبّرُ عنه أو يرمزُ إليْه؛ لأنّ القَولَ نفسَه إذا وُضعَ في سياقِه التّداوُليّ يُصبحُ ذا قُوّةٍ عمليّةٍ وقيمةٍ إنجازيّةٍ، ويصيرُ مادّةً لتحليلِ الخطابِ؛ فاللّغةُ مادّةٌ وموضوعٌ وأداةٌ يُركّزُ عليْها تَحْليلُ الخطابِ في بحثِه عن علاقاتِ القُوّةِ في المُجتمَع، وفي صياغتِه لرؤىً معياريّةٍ لهذه العَلاقاتِ بناءً على رؤيةٍ نقديّةٍ شاملةٍ (Jorgenson and Phillips، 2002، ص. 2).

فِكرُنا مَبنيّ بناءً اسْتعاريا يتَنقَّلُ فيه بينَ مَجالاتٍ مُختلفةٍ إلى حدِّ التَّناقُض:
صفةُ «التَّعارُض» في الاستعارَة
تتَّخذُ صيغةَ «التّحوُّل والانتقال»

The *interference* takes

the form of (*transference*) (Hawkes, 1972, p. 2).

أشهرُ النَّماذجِ الإدراكيّةِ أنموذجُ اللسانياتِ الإدراكيّة، من خلالِ ما يُدْعَى بالاستعارَة التصوُّريةِ، الذي وَضَعه كلٌّ من الباحثَيْن اللسانيّينِ جورجْ لايكوفْ، ومارِكْ جونسونْ، في كتابِهما: «**الاستعارات التي نَحْيا بِها**» (جحفة، 1996)، و(سليم، 2001)، وقد انطلقا من مَفْهوم «الاستعارَة التّصوُّرية» *Conceptual Metaphor* للدلالَة على طَريقَة تَركيب موضوع، من خلال تَصويره بمَفاهيمَ وعَلاقاتٍ مُستمَدةٍ مِن مَجال سابقٍ له ومَعلومٍ من قبلُ؛ لأنّ فِكْرَنا مبنيّ بناءً استعارياً ينتقلُ فيه من مَجالٍ مُعيَّنٍ للاسْتِمدادِ مِنْ مَجالٍ آخَرَ فيُبْنى العالَم في الأذهان بطريقةٍ تَصوريةٍ استِعاريّةٍ. وبناءً على هذه الطريقَة الإحاليّةِ الاستعاريّةِ في التّفكير والتّصوُّر يَتمّ تحليلُ الخطابِ لفَهمِ حَقائقِ الأشياءِ كما يَتمثّلُها الذّهنُ البشريُّ ويَتصوَّرُها. أمّا الاستعارةُ فليسَت صفةً لسانيةً للألفاظ التي نَتداولُها، فقط، بل هي عمليّةٌ تتصل بالتفكير وبمجالات حياتنا اليومية وتُؤطِّرُ العَقْلَ، ولا ينفكُّ النسقُ التصوريُّ اليومي الذي يتحكّمُ في أمورنا، من الطبيعة الاستعارية[1].

(1) للتّذكير: لم تَقفْ نظريةُ الاستعارة عندَ النماذج التي وضعَها لايكوف وجونسون، ولكنها عَرَفَت مراجعاتٍ وصياغاتٍ جديدة، كتلك التي قَدمها زولطان كوفبتشيس (Zoltan KOVECSES) في كتابه: (2015).
فقَد أدخَلَ كوفيتش بُعْدَين من أبعادِ الاستعارَة: أولاً الطابع الإبداعيّ الاستعارة وتجدُدها وعَدَم ثبوتها وجُمودها، والبُعدُ الثاني استنادُ الاستعارَة إلى السّياق –سياق التّلفُّظ– *context-induced creativity* في الفهم والتأويل، وتجاوُزُ النظر إليها على أنها مُجردُ إسقاطٍ دلاليٍّ. مِن مَباحث الكِتاب: الاستعارَة والتجسيد *Embodiment* والسياق/ ابتكار المَعنى *Meaning making*/ الجهازُ المفهاميّ *Conceptual system*/ العوامل السياقية/ الاستعارة والثقافَة/ السياق والإبداعية في

تَستغلُّ كثيرٌ من الجهاتِ الرسميّةِ السياسيّةِ والإعلاميّةِ والعسكريّةِ، في العالَم اليومَ، الأطُرَ والأنساقَ التَّصوريّةَ في الإنسانِ وتستثمرُها لإبلاغ خطابٍ إقناعيّ حجاجيّ بجَدْوى شنّ حَربٍ أو الإقناع بجَدْوى فكرةٍ أو حَملِ المُخَاطَبِ على فعلٍ. ومن أمثلةِ ذلكَ: الخطابُ اللغويُّ الذي يحملُ رسالةَ الاستعارةِ الحربيّةِ في التّصوُّرِ السّياسيّ والخِطابِ السياسيّ، ويُصوّرُ الخصمَ بأبشَعِ مَظاهرِ العُنفِ، وأداةُ التصويرِ مُصطَلَحاتٌ سياسيةٌ وعسكريةٌ بنَفَحاتٍ بَلاغيّةٍ أو عبارَاتٌ أو مُتلازماتٌ لَفظيّةٌ مُركَّبةٌ تَركيباً بلاغياً استعارياً عُضويا وليسَ طارئاً. فمِن نَماذِجِ الاستعارات التّصويريّةِ ما شاعَ في فَضاء الإعلام العالَمي من كلماتٍ وعباراتٍ نحو:

- **تَسمية الحَرب وذِكْر مَقاصدها «الإنسانية»**[1]: -عاصفَة الصّحراء[2] -عناقيد الغَضَب[3] -العمليّة الجراحيّة الخاطفَة -تَجفيف المَنابع -تَقليم الأظافر -غَسل الأدمغَة -النيرانُ الصديقَة -النجاح الساحق للإضراب.
- **السياسة ألغام وحُروب**: -اللّغمُ السّياسيُّ -الهُجوم أو الاعتداءُ الحكوميُّ على القُدرةِ الشِّرائيةِ -ضَربُ القُدرة الشرائية -استيلاءُ الحِزْبِ على المقاعدِ -ضربُ الحُرّياتِ النّقابيةِ -المعركةُ السياسيةُ -معركةُ الانتخابات -المساسُ بالسِّلم الاجتماعيِّ -تَهديدُ الأمن الداخلي -زَعزعةُ الاستقرار -فكُّ الارتباطِ.
- **استعارَةُ الألفاظ العَسكريّةِ في المُواجهةِ الطِّبّيّةِ الوِقائيّةِ، للأوبِئَة والجَوائحِ**:

الاستعارَة/ السياق والاستعارَة الشعرية/ سياق المَفهوم ولسانيات الدُّعابَة/ السعادَة في السياق *Happiness in context*/ الاستعارَة والسياق.

(1) تدخلُ هذه «المقاصدُ» فيما دَعاه الباحثونَ **بالمُغالَطَة القَصدية**؛ انظرْ:
مفهوم: «**المغالطة القصدية**» *The Intentional Fallacy* عندَ كلٍّ من «وليم ومسات» و«مونرو بيردسلي (1982) « اللَّذَيْنِ ذهَبا إلى «**مَوت قَصد المؤلِّف**»؛ لأنّ الوظائفَ النّفسيّةَ للمؤلف يَستحيلُ أن يَبلُغَها المؤوِّلُ. فذهنُ المؤلِّف مُغلَقٌ ولا يَبدو لنا منه إلّا النّصُّ؛ فالنّصُّ هو الميدانُ المُتاحُ للمُعالَجَة. و(القلفاط، 2016).

(2) **عاصفة الصحراء** *Desert Storm* اسم العملية العسكرية التي شنتها الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها على العراق في 16 يناير 1991 ضمن حرب الخليج الثانية. وفيها تشبيه الحرب بالعاصفَة التي تُنذرُ بالخَطَر. وأطلقَت عليْها أيضاً «دِرْع الصَّحْراء» *Desert Shield*،

(3) استُعير هذا المركب الوصفي من روايَة الكاتب الأمريكي جون ستاينبيك «*The Grapes of Wrath*» التي كَتَبها عام 1939م. استُعيرَ عنوانُ الروايَة لتسمية **العملية الحربية الإسرائيلية «عناقيد الغضب»** التي شنها الجيشُ الإسرائيلي على جنوب لبنان، وهي المعروفة **بحرب نيسان** 1996. والمركبُ الوصفي «عَناقيد الغَضَب» اسم رمزي للعَمَلية الحَربية وفيها استعارَة العُنقود للغَضَب، وفيها تشبيه للصواريخ المُلقاة بحَباتِ العنب لكثرتها وتَواليها.

من نَماذجِ ذلكَ مُقاتَلَة العَدوّ (الفيروس) -الخُطوط الأماميّة- الحرب (Wise، 2020)[1].

إنّ الاستعارةَ الحربيةَ في السّياسَةِ، استعارةٌ عُضويةٌ وليسَت اسْتعارةً طارئة؛ أي هي مُلازَمَةُ الفِعلِ للخطابِ وللغةِ السّياسيّةِ. واللغةُ السّياسيّةُ تَعكسُ طُغيانَ المصطلحاتِ والمفاهيمِ العَسكريّةِ في الثقافةِ المعاصرةِ كلِّها؛ فإنّ ما يُؤهلُ لغةَ السّياسةِ -أكثر من غيرها- أنها تَعتمِدُ نماذجَ الاستعارة الحربية والحقل الدلالي الحَربي، فتلك ماهيةُ السياسة نفسِها في الأذهان وفي ثَقافة النّاسِ؛ وهي فَنُّ تدبيرِ مسارِ الكيانِ الاجتماعيّ (الوجاني، 2013).

- **السياسَةُ لعبٌ**: -الجولةُ الثانية من المفاوضاتِ -الكرةُ في ملعبِ الطرفِ الآخَر -اللعبةُ السّياسيّة -الروحُ الرياضيةُ -الضّربةُ القاضيةُ.
- **السِّياسَةُ بناءٌ وتَشييد** وتَرميم: -تشييدُ الإجماع الوطني -إعادةُ بناء العلاقات المتدهورة -تَرميم العَلاقات -رأبُ الصَّدْع -صَهْر الموقف -صِياغة الموقف -صُنع القَرار -صُنع الأغلبية البرلمانية.
- **السِّياسةُ والرَّغبات**: -الارتماءُ في أحضانِ الغَرب -اغتصابُ الحقوق -مُغازلة السلطة -التودد للنظام -انتهاكُ حقوق الإنسان.
- **السياسَةُ ولادَة: إخْصابُ المُعْقَم وإعقامُ الخِصْب**: مِن مَفاهيمِ التّضادِّ والتَّقابُل في العالَم المُعاصِرِ مَفاهيمُ لها صلةٌ بالولادَة مثل: **الإخصاب والإعْقام**، والتقابُلُ الماثلُ في العالَم المُعاصرِ: **إخْصابُ المُعْقَم وإعقامُ الخِصْب**، أمّا الإعقامُ sterilization فهو إلحاقُ العُقم والسُّقْم والعُدْم بكلِّ ما هو خصبٌ، إلحاقُ الجَدبِ بالأرضِ الخِصْبِ وإلحاقُ الهَزْمِ بالأرحام، وخاصّة أرحام

(1) أنكَرَت الطبيبة «أدينا وايز» اسْتعارَةَ الكلماتِ الحَربية العَسكرية في ميدانِ مُواجَهَة وَباءِ الفيروس الإكليلي (أو الحُمَة التاجيّة)، وقالَت إننا في مَيدان طبّيّ وقائيٍّ نُعالجُ المرضى لِلْحِفاظِ عَلى سَلامتهم وأرواحهم، ولسنا في ميدانِ قتالٍ أرْعَنَ. فالاستعاراتُ العَسكريّة للعَملياتِ الطّبّيّةِ تُحَرِّفُ حَقيقةَ الوَباء الإكليلي (COVID-19)، ويَنطوي الخِطابُ الحَربيّ على نَهجٍ مُستهينٍ من شأنِه أن يُقوِّضَ مهْنةَ الطّبّ.

وقَد نَشرَ الدكتور عبد المَجيد جحفة مقالَتَها على صفحته في الفيسبوك، تحتَ عُنوان: «**الاسْتِعارات العَسْكَرِيّة تَعْمَلُ عَلى تَحريفِ حَقيقَةِ كوفيد19-**، **بقَلَم: الطبيبة أدينا وايز** التي نَشَرَت، في عَدَد أبريل 2020 من مَجَلّة «ساينتفيك أمريكان» (Scientific American)، مَقالاً حَول الاستعاراتِ العَسْكَريّة التي تَصِفُ بها وسائلُ الإعلام وباءَ كوفيد 19، وبَيّنَت أنّ بَلاغةَ الحَربِ المستعْمَلَةَ في وَصْفِ الوَباءِ تَنْطوي عَلى مُقارَبَةٍ رَعْناءَ مِن شَأنها تَقْويضُ الممارَسَةِ الطّبّيّة.

النِّساءِ في «الجزءِ غيرِ المَرغوبِ فيه من العالَم» Useless World. وأصلُ العُقْمِ هَزْمةٌ تقعُ في الرَّحِم، أمّا اليومَ فهي هَزمةٌ تُلحَقُ بالأرحامِ الخِصْبِ.

وأمّا الإخصابُ fertilization، فأبرزُ مثالٍ عليه اليومَ إخصابُ اليورانيوم Uranium enrichment، ومَصْدرُ التعارُضِ في ذلكَ أنّه عُدِلَ عَن **تَركيدِه** وإعقامِه، إلى إخصابِه، فهو قابلٌ لأن يُحوَّلَ إمّا إلى مادَّةٍ نافعةٍ في إنتاجِ الطّاقَةِ، وإما إلى سِلاحٍ فَتّاكٍ، وكلّما زادَت نسبةُ المادّةِ المُخْصَبَةِ ازدادَ الخَطَرُ.

فاجتهَدَت الدُّوَلُ الكبرى في تَشْغيلِ المُفاعِلاتِ النّوويّةِ لأغراضٍ عَسكريّة أولُها وأهمُها إنتاجُ الأسلحَةِ النّوويةِ، وتَوْليدُ الغازاتِ السّامّةِ التي بُنيَ من أساسِها نَوعٌ جديدٌ من الأسلحَةِ الفَتّاكَةِ هي الأسلحَةُ الأحيائيّة Biological Weapon (BW).

- **السياسةُ ماءٌ وجليدٌ**: تَحريك مياه المَشهد السياسيّ الرّاكدَة -كَسر الجَليد السياسي وإعادة الدِّفْء إلى العلاقات -كَسر جُمود العلاقات السياسيّة.
- **استعارةُ المال للزمن**: تُفيدُه عباراتٌ نحو: -تَضييعُ الوَقت -مَنح مُهلَة من الوَقت... وهي أمثلة يؤكد بها مُستعمِلوها على أن الزمنَ في ثَقافَتِنا عبارةٌ عَن بِضاعةٍ ذاتِ قيمة ومَوردٍ مُحددٍ من حيثُ الكمية، نَستعملُه لتحقيق مآربنا، والزمن محسوب بدقة.[1]
- **استعارة خَنْق الأنفاسِ لسياسَة القَتْل العُنصريّ** والتَّضييق على الحُرياتِ العامّة: عبارةٌ طارَت شُهرتُها في الولايات المُتّحدَة ثُمّ في الآفاقِ الكَونيّة: «**لا أَسْتَطيعُ التَّنَفُّسَ**» (Laughland، 2019) I can't breathe وتَجاوَزَت الحُدودَ فغَدَت جُملةَ عالمَيَّةً، «**لا أستطيعُ التَّنفُّسَ**» تحوَّلَ من عبارَةٍ لُغويّةٍ تُعْرِبُ عن استغاثةٍ إلى **شِعارٍ** Slogan يدلُّ على حَرَكَةِ «حَياةِ الأمريكيّين السّود» ذَوي الأصولِ الإفريقيّة، وهي عبارةٌ مُستمَدَّةٌ في الأصلِ مِن كلمات إريكْ غارنْر وجورجْ فلويدْ، وهما رجلان أمريكيّان مِن أصلٍ أَفريقي اختنقا حتى الموت، عندَما اعتُقِلا في سَنَتَيْ 2014 و2020 على التّوالي، وعُذِّبا بالضّغطِ على الرّقبَة حَتّى

(1) أُنجزَت في موضوع **الأسس الذّهنيّة التّصوُّريّة للعبارات الزمنيّة**، دراسةٌ مُفيدةٌ تَعَرضَت للأبعاد الفلسفية لمَفهوم الزمَن؛ منها: **الزّمَن في العربيّة، من التعبير اللغويّ إلى التّمثيل الذّهنيّ، دراسة لسانية إدراكيّة** (التميمي، 2013).

المَوتِ، ومَصدرُ التّعذيبِ ضُباطُ الشُّرطةِ البيضُ[1]، انتقَلَت العبارَةُ من دلالتها اللّغويّةِ المألوفَةِ إلى الاحتجاجِ على وَحشية شُرطة الولايات. والذي يُهمُّ الباحثَ اللّسانيَّ والبلاغيَّ الاستعاريَّ والسيميائيَّ الذي يَبحَثُ في دلالاتِ الرّموزِ والشِّعاراتِ هو «**سُرعة انتقالِ هذِه الجُملةِ وتَوظيفها توظيفاً رَمزيا في الاحتجاجات**... على الشُّعور بالضّيم... والاضطهاد... ما يعني اللِّسانيَّ هو تتبُّعُ تَحوُّلِ المعنى المسمّى «حَقيقيّاً» لا إلى «مَجَازٍ» بَلْ إلى رَمز»[2].

حين أكون في غُرفة يُدخِّنُ فيها كثيرٌ من النّاسِ سَجائرَهم وأصيحُ: لا أستطيعُ التنفسَ! فإنّ كَلامي سَيكونُ محمولا على الحَقيقة، لكنها حَقيقةٌ غَير تلكَ التي دَفعَت «جورْجْ فْلويْدْ» إلى أن يقولَ: لا أستطيعُ التنفسَ، فأنا أستطيعُ أن أفتحَ النافذةَ أو أخرجَ من الغرفة ليدخلَ هواءٌ مُنعشٌ، لكنّ فْلويدْ لا يَستطيعُ ذلكَ، فعليه أن ينتظرَ فَرَجاً قَريباً من رُكْبَتَي الشُّرطيّ الأبيَض، فَرَجاً قد يأتي وقد لا يأتي.»، مَعنىً أصليّ ينتقلُ ويتطوّرُ إلى استعارةٍ ورمزٍ.

***

نَماذجُ وأمثلةٌ من استغلال الأنساق الاستعاريّة التصوريّة، لتأويل الخطاب وفهمه، وصياغَة خطابٍ مُواجه: مَدخلٌ لغويٌّ لتفكيك خطاب التَّطرف:

ما من حَديثٍ عن ظاهرةٍ من الظَّواهرِ الاجتماعيةِ أو الثّقافيّةِ أو قضيةٍ من القَضايا

---

(1) حَدَثَ هذا في زمان الوَباء (الوباء الإكليلي 2020): **مِنْ مُحْدَثاتِ زَمَن الوَباء: جَثَا برُكبته على عُنُقه فقتَلَه:**

في الولاياتِ المتّحدَة: رمزيّةُ قضيّةِ «لا أستطيعُ التّنفُّسَ» تُختصَرُ في أنّ الدَّمَ الأزرقَ الباردَ يَسْري في عُروق رَجُل السُّلطة الأمريكيّ الأبيض، والحقدُ العُنصريّ الأبيضُ يَجري في أنفاسه، لا يَعرِفُ الحقدُ الأبيضُ وباءً ولا بَلاءً ولا قانوناً ولا يُراعي في الأجناس والألوانِ والأديانِ إلّاً ولا ذمّةً. يَضربُ باشْواكِه السّامّة وأنيابه الكاسِرة ومَخالبه الجارحَة، في السّودِ والعَرَب كلّما سَنَحت له الفرصة. يُضْرَبُ الرجُلُ الأسودُ بالعَصا على رأسه ثُم يُقْتادُ بدِمائه إلى المَحاكِم ومَباحِث أمن الدّولَة ويُقالُ: اعْتَدَى هذا الأسودُ على الشرطَة -كَما قال الزعيم مالكوم إكس-، فلا مُحاكمةً ولا شُهودَ ولا مُحاسبةَ، وتتكررُ الصورةُ في الولاياتِ، في لوس أنجولس ومينيابوليس وفي ولاياتِ الولاياتِ كلِّها، وفي الكيان الغاصِب أيضاً، وفي لندن وأستراليا وفي كلّ البلادِ التي يوجَدُ بها أبيضُ ذو دَم أزرق. اختلّت القيمُ وانقَلَبَ العالَم وماتَ العَدلُ واستيقظَ الظلمُ ورُفعَت العَصا ووُضعَت الرحمةُ جانباً.

(2) أكثرُ عباراتِ هذا المثالِ أُخِذَت من مَقال نُشرَ بجريدَة **القُدس العَرَبي: لا أستَطيعُ التَّنفُّسَ:** (قريرَة، 2020).

الفكريّةِ إلاّ ويُعتَمَدُ في فَهمِها وتصوُّرها ووصفِها وتأويلها على الخطابِ اللغوي والبلاغيّ الذي يلفُّها ويحفُّ بها ويُرافقُها.

فالظّاهرةُ المَدروسَةُ مَثلاً هي «التّطرُّفُ»، والخطابُ المحلِّلُ أو المُفكِّكُ للظّاهرة، هو مَجموعُ التعريفاتِ اللغوية والبلاغيّةِ والمَقالاتِ التي صيغَت حَوْلَه، والمُعجَم الذي بُنيَ لحَصْرِ كلماتِه والعباراتِ المَشهورَةِ بين النّاسِ التي تتنزَّلُ عندَهُم منزلةَ المُسلَّماتِ، وكذلك المُتلازماتُ اللفظيّةُ والمُصطلحاتُ الجاهزَةُ التي يُهرَعُ إليْها عند إرادةِ الفَهم أو التعريفِ أو التأويلِ أو التّفكيك للظاهرَة.

ما بعد لايكوف وجونسون:

يُخالفُ باحثونَ آخَرون رؤيةَ لايكوف الاستعاريةَ التصوريةَ في قوله بتغَلغُل الاستعاراتِ في الحَياة العامة وعَدم انحصارها في التأثير الفني والإبداع الأدبي، فليسَت كلُّ استعارةٍ نُصادفُها في خِطابٍ ما تنتسبُ بالضّرورةِ إلى حَقل الاستعاراتِ التّصوُّريّة، ومنهُم جيبس Gibbs (2009)؛ الذي لاحظَ أن الطرقَ المختلفةَ تنتجُ نتائجَ مختلفةً في تَواتُر الاستعاراتِ، وأنّ الاستعارةَ التَّصوريةَ نوعٌ من «**فَهم مَجالٍ من خلالِ مَجالٍ آخَر**»

«understanding one domain in terms of another»

تَرتكزُ الاستعارةُ التصوُّريّة على أركان:

- «**تبادُلٌ مُتكررٌ لعَلاقاتٍ**» صادرٌ عن تَجاربنا البشريّة...
- **استعاراتٌ مَبنيةٌ على مُشابهاتٍ** بنيوية إدراكية بين مَجالَين تصوُّريّينِ للاستعارَة
- **استعاراتٌ** يكون فيها المَجال-المَوْردُ في قَلب المَجال-الهَدَف، نحو قولنا: الرياضَة حَربٌ؛ فالمجالُ المَصدر للرياضَة يَستمدُّ أصولَه التاريخيةَ من المَجال-الهَدَف: الحَرب (Anca، 2017).

هل العُنفُ والتطرُّفُ جزءٌ عُضويٌّ في اللغةِ البَشَريّة؟

الكلمةُ مسؤوليّةُ مَن يَملكُ زمامَها ويُحسنُ نظَمها على النّحو الذي يُنشئُ بها نصّاً مؤتلِفاً مَسبوكاً حسنَ الصّنعَة، يُفضي إلى خطابٍ تدخلُ في تداوُله أطرافٌ كثيرةٌ، **فتصيرُ حَرَكَةُ الانسلاكِ في تَداوُل القَضايا في ظلِّ خطابٍ لغويٍّ، عيْنَ الاشتراكِ في صنع الحَدث أو تَوجيهه**. فإذا انفتحْتَ على المُمكناتِ فإنَّما تَفعلُ ذلكَ بما تَملكُه من طاقةٍ لغويّةٍ تُعربُ بالدّقّة اللازمّةِ عن طاقةٍ فكريّةٍ نافذةٍ في جسمِ الأحداث وخِضمِّها،

فتكونُ الأحداثُ الممكنةُ والمَخارجُ المُحتَمَلَةُ التي لم تَحدثْ بعدُ عبارةً عن مَفاهيمَ في كلماتٍ، وكلّما أخذَتْ المَفاهيمُ اللُّغويّةُ حَظَّها من الواقعيّةِ والصّدقِ والتَّماسُك المَنطقيّ والمصلحَة العامّة، تحوّلَت من ألفاظٍ ذاتِ طابعٍ صوتيّ يحملُ في جوفِه دَوالَّ ومَدلولاتٍ إلى أحْداثٍ تَجْري في واقعِ النّاسِ وتُتداوَلُ في مَسالِك حَياتِهم وتُصنَعُ منها القراراتُ التي تَقودُ رَكبَهُم أو توجّهُ مَسيرَتُهم وتتحكّمُ في طُرُق عَيشِهم وتنميةِ أوضاعِهم...

إنْ لم يَكن التعبيرُ باللغة دَقيقاً، كان ما يُقالُ غيرَ ما يُقصَدُ، وإنْ قيلَ ما لا يُقصَدُ أنجزَ غيرُ المُرادِ، وانتهيْنا إلى مُنجَزٍ غَيرِ مَطلوبٍ ومَطلوبٍ غَيرِ مُنجَزٍ، وإذا أُنجِزَ ما لا يُطلَبُ انهارَت الثقافَة والأخلاقُ وأنجَزَ الأدبُ ما لا يَنفعُ الناسَ وما لا يُمتعُهم ولا يَعملُ على تَغيير أذواقهم ورُؤاهم نحوَ الأفضل، ووَقعْنا في الأدب العَبَثيّ الذي كان يُدْعى بفلسفَة «اللامَعقول»The Philosophy of Absurdism. ولكن الفرقَ بين ما نَحنُ فيه وما كان عليْه أدبُ اللامعقول ومَسرح اللامَعقول، أنّ ذلكَ الأدبَ بُنيَ في الأصلِ على خَرق الأنساق العَقليّة وتجاوُز المنطق، أمّا ما نحن فيه فهو عَبَثٌ غيرُ مَقصود به الوصول إلى العَبَث، ولكن اللغةَ لمّا أُخرِجَت من أنساقها وكُسِّرَت سَلامَتُها التركيبية والدلالية والمعجميةُ انتَهَى الأمرُ بمستعمليها إلى فَوْضى وعَبَثٍ.

وإذا كانَ للكلمةِ خطرُها في الانتقال من الفكر إلى الفعلِ فسنجدُ أنها مُبْتَلاةٌ بأن تُصابَ بداءِ العُنفِ؛ فمن خَصائص اللغة ما سُمّيَ **بالعُنف اللّسانيّ**؛ فقَد ذهبَ بعضُ الباحثينَ إلى أنّ الأصلَ في اللغة احتواءُ القيمَة ونَقْلُها لأنها وِعاءٌ يَشتملُ على أسمى ما يُمكن أن يتعلّقَ به الفردُ من مَعانٍ، أمّا ما أدخلَه المتكلّمونَ من ألفاظٍ وعباراتٍ مُستحدَثةٍ فذلك يُعدُّ لغةً أخرى دَخَلَت إيجاباً أو سلباً على اللغةِ الأصليّةِ في أحوال فرديّةٍ أو اجتماعيّة أو تاريخيّةٍ مُعيّنَةٍ، ويَعني ذلكَ أنّ **ظاهرة «العُنف اللّسانيّ»** داخلةٌ دُخولاً نسبيّاً عَلى اللغةِ، وإن كانَت قد تحوّلَت وأصبحَت طرفاً في اللغةِ بفعلِ التّداخُلِ بين اللغةِ وفعلِ الكلام (عزي، 2007، ص. 13)، إذا كانَت اللغةُ مبنيةً على بنياتٍ معيَّنَةٍ كقَواعد النّحو؛ فإنّ «بنيةَ القِيَم» تُعدُّ إحداها، وتَحْيا اللغةُ وتؤثرُ في المتلقّي تأثيراً إيجابياً إذا كانَت مُحمَّلةً بالقيم، أمّا إذا أُفرغَت تحوّلَت إلى أداةٍ غير مؤثّرةٍ وغيرِ فاعلةٍ، وهو نَوعٌ من العُنفِ في الاتّصالِ والإعلام، أضفْ إلى ذلكَ أنّ الخُروج على القَواعدِ أو تَغييرَها يُؤثّرُ في المَعْنى. بنيةُ القِيَم أساسٌ تتأسَّسُ عليْه اللغاتُ، وإذا ضَعُفَت القيمَةُ حُصِرَ دورُ اللّغةِ وأصبحَت أصواتاً تَعني كلَّ شيءٍ، ولا تَعْني أيَّ شَيءٍ في الوقتِ ذاتِه،

وهذا ضربٌ من التَّعارُض؛ «فالعُنفُ الذي يَنتابُ فعلَ الكَلامِ لا يَعودُ إلى «انْكسارِ» قَواعدِ النّحوِ فحسبُ» ولكنّه يَتعدّاه إلى «بنيةِ القِيَم» التي هي سِرُّ وُجودِ اللُّغة.

***

هل تَجْمعُ الاستعارةُ والمَجازُ بين النَّقائض:

إذا استقريتَ التَّشبيهاتِ، وجدتَ التباعُدَ بين الشيئين كُلّما كان أشدَّ، كانت إلى النُّفوس أعْجَبَ، وكانت النُّفوسُ لها أطربَ، وكانَ مكانُها إلى أن تُحِدثَ الأريحيّةَ أقربَ، وذلكَ أن مَوضعَ الاستحسانِ أنكَ تَرى بها الشيئينِ **مِثْلَيْن مُتَباينين ومُؤتلفين مُختلفين** (الجرجاني، (د.ت)، ص. 130)

كيفَ يَكونُ الكلامُ البليغُ مُبيناً وهو من أغمَضِ ضُروبِ البَيان، **وكيفَ يُريدُ الشاعرُ مَعنىً ويذكُرُ غيرَه مِن غيرِ قَصدٍ إلى تَضليلِ السّامع**، ولعلَّ من أسرارِ البيان غُموض طَرائقِ البَيانِ، في الشّعرِ خاصّةً، لأنّ الشعرَ «مِن بين جَميعِ الكلامِ، هو في كلِّ لسانٍ **أشقُّ علاجاً وأعصى قِياداً؛ لأنّ الشعراءَ لم يَقصدوا قطُّ مقصدَ الإبانةِ المَغسولَةِ عَن المَعاني، بَل رَكِبوا إلى أغراضِهم أغمضَ ما في البَيانِ الإنسانيّ من المَذاهبِ**، فربما شَغَّثوا ما كان حَقُّه أن يَكونَ مجتمعاً، لأنهم لا يبلغونَ حقَّ الشعرِ إلا بهذا التشعيث، فيأتي أحدُهُم فيظنُّ أن لو جمعَ هذا إلى هذا فقد أزالَ عنه التشعيثَ وردَّه إلى الجادّة، ولكنّه في الحقيقة لم يَزِدْ على أن أفسدَ بعقلِه ما تعبَ الشاعرُ في تشعيثِه بميزانٍ وتقديرٍ» (شاكر، 1996، ص ص. 129–130).

وبعضُ ما في التعبيرِ الشعريّ من غُموضِ العبارَة راجعٌ إلى طرائقِ الشعرِ في البَيان، ومن ذلكَ ما ذُكِرَ مِن أنّ المَجازَ من خَصائصِه **إطلاقُ اللفظِ عَلى ما يَستحيلُ تَعلُّقُه به؛ إذ الاستحالةُ تَقتَضي أن يَكونَ غيرَ مَوْضوعٍ لَه** (الزّركشي، 1992، 2/ 235).

بَل رَجَعَ اللغويونَ أصلَ المسألة إلى أصلِ وَضْعِ اللفظ، فقد ذَهبوا إلى أنّ اللفظَ الواحدَ قد يقعُ للشيءِ وخلافِه أو الشَّيءِ وضِدِّه، وفسَّر جمعٌ من اللُّغَويّينَ المسألةَ تفسيراً آخَر قالوا فيه إنّ اللفظَ العامَّ يدلُّ على ما تحتَه من معانٍ كثيرةٍ وإن اختلفَت إلى حَدّ التّضادّ؛ كالفعلِ يدلُّ على القيام وضدِّه وهو القُعودُ، وذَكَر ابنُ جنّي أنّ الأضدادَ واقعةٌ في اللّغةِ، وفسَّرها تفسيراً مختلفاً حيثُ ردَّ السببَ إلى تَداخُل اللغاتِ، ولا يُنسَب التضادُّ إلى قَبيلةٍ واحدةٍ في زَمنٍ واحدٍ، بل إلى قَبائلَ ثمَّ فَشَت اللغاتُ

وتَداخلَت بالمُلاقاةِ والمُجاورَة. فقَد أتى اللُّغاتِ التَّضادُّ مِن جِهةِ التَّداخُل والتَّجاوُر. أمّا ابنُ الحاجّ الإشبيليُّ فَقَد نَفى أن يَكونَ التّضادُّ مَوْجوداً في اللّغةِ من جهةٍ غيرِ جهةِ التداخُلِ، **أمّا أن يقصدَ الواضعُ إلى التّضادّ الصَّريحِ بين مَعْنَيينِ في وَضعه اللغةَ فإنّ ذلكَ يُبطِلُ الحكمةَ من وضعِ اللغةِ أصلاً** (الزّركشي، 1992، 2/ 150)[1].

فكلُّ ذكَرَ سَبَباً رَجَعَه إلى خَصائصِ اللغةِ، ومنهم مَن حصرَ سبَبَ الغُموضِ في طرائقِ الشِّعرِ دونَ غيرِه من أنماطِ التَّعبيرِ.

من التَّقابُلِ أنّ بعضَ الحَقائقِ يُعْرَفُ ولا يُعرَّفُ، ويُنظرُ بالعَين ولا يُعيَّن:

فقَد يُعرَفُ الحُسنُ ولا يُعرَّفُ، يُعرفُ الشيْءُ بالعَيْنِ ويَغيبُ عَن التَّعْيينِ؛ فَهو يُحَسُّ ولا يُحَدُّ، ويَحتاجُ إلى المَجاز وإلى الاستعارَة والكنايَة لاقتناصِه، والإمساكِ بأطرافِه، ولكنَّك إذا أتيْتَه من بابِ الحَدِّ المنطقيّ تَفَلَّتَ كأنَّكَ تسوَّرْتَ ولم تأتِ البُيوتَ من أبوابِها[2].

فالمَجازُ حَلٌّ ودُخولٌ من الأبواب، والحَقيقةُ لا تَكادُ تَملكُ باباً يُدخَلُ منه، ليسَ المَجازُ ادِّعاءً ولا انتقالاً من حقيقةٍ أو من أصلٍ، ولكنّه مَخْرجٌ غيرُ مُخْرجٍ عندَما تتعذّرُ مَخارجُ المَعْنى؛ إنّه «صفةٌ مَعلومةٌ لمَوصوفٍ مَجهولٍ؛ واللغةُ على هذَا مَجازٌ كلُّها» (تَميم البرغوثي، تسجيل صوتي، د.ت). صفةُ الشيءِ تُعرفُ ولا تُعرَّفُ تُرى ولا تُعيَّنُ، يُتَحدَّثُ عنها ولا تنقطعُ بسؤال الماهيةِ وجَوابِه، كقولنا بشريّةُ البَشرِ تُعرَفُ بغيرِ تَعريفِ البَشَر، وكذلكَ شجريّةُ الشّجَر وصَخريّةُ الجلمود وسيولةُ الماءِ، وقد يَدخلُ في الشيء الواحدِ صِفاتٌ مُتقابلةٌ مُتعارضةٌ مُتناقضةٌ، ولولاها لَما استقامَت لذلكَ الشيءِ كينونَتُه، بل جوهرُه، وإنما نَقتربُ مِن الشيء من جُزئياتِه وتَفاصيله وظلاله وألوانه ومُحيطه، فهي التي تَمنحنا هيئَتَه وتُطلعُنا على طَيْفه ولكنها لا تُعطينا كلَّه، ونظلُّ نتسوَّرُ الشيءَ في كلِّ إطلالةٍ من نافذةٍ من نوافذِه المجازيّةِ المتناثرَة، ويظلُّ كلٌّ منّا يقتربُ بطريقتِه بل بمَجازه واستعارتِه، بلْ يُسقطُ كلٌّ منّا ما في نفسه من مَشاعرَ أو طَبائعَ وما في فِكرِه من ثَقافةٍ وتَجاربَ؛ للظَّفرِ ببعضِ ذلك المَعْنى المَنشود، فيكون

---

(1) لاحظْ أيضاً أنّ الزَّمخشريَّ أقامَ نظامَ كتابِه «أساس البلاغَة» عَلى **تقابُلِ الحَقيقَة والمَجاز**: «ومِن خَصائص هذا الكتاب... تأسيسُ قَوانينِ فَصلِ الخِطابِ والكَلامِ الفَصيحِ، **بإفرادِ المجازِ عَن الحَقيقةِ والكنايةِ عن التَّصريح**» (الزَّمخشَري، 1998، 1/ 15–16).

(2) كثير من الأفكارِ ههنا مُستوحَاةٌ من كلمةِ الشاعر تَميم البرغوثي «**المَجاز والثَّورَة**» المُسجَّلَة صوتياً على الشبكَة العالَمية، بصوت الشاعر نفسه.

المُحصَّلُ مِن جنسِ أدواتِ التحصيلِ ومن مَعدنِ الآلاتِ المُتوسَّلِ بها للوصول[1]، والتماسُ المَعارفِ والمَعاني بالمَجازِ والاستعارَة ضَربٌ من أخلاقِ البَحثِ والطَّلَبِ وآدابِ الالتماسِ؛ يَقي صاحبَه شَططَ الحُكمِ القَطعيّ على النّاس ومُحاكَمتِهم وحَسمِ الأمرِ في مَصيرِهم، وهو عينُ المَظالمِ التي ارتُكبَت عَبر التاريخ البشريّ عندَما تَحكَّمت الأنظمةُ المُتفرِّدَةُ Totalitarian regimes (Stroinska، 2002). ويَغلبُ على الظّنّ أنّ الناسَ تَعرفُ الأشياءَ والأمورَ والأحداثَ بما أُوتُوهُ من مَلَكاتِ الفَهم ومَهاراتِ الإدراكِ، من غيرِ حاجةٍ إلى مِسبارٍ حَدّيٍّ ومعيارٍ مَنطقيٍّ، إلا فيما دَقَّ من الأمورِ ممّا يَحتاجُ إلى دُربةٍ كبيرةٍ في العِلم وخبرة طويلة بالتَّجاربِ، وإلا فإنّ الإنسانَ مَفطورٌ على التّعرُّف إلى الأشياءِ واكتشافِ الأسرارِ ورَبط الأسبابِ بالنتائجِ.

غيرَ أنّ الإنسانَ قَد يَميلُ إلى مُخالفَة فِطرَته وما تَهديه إلَيه حَواسُّه وعَقلُه، ويَعمدُ إلى **تَأليف المتَناقِضاتِ**[2]، كأن يَجمعَ في خَيالِه بين جِسمَيْن لا يَجْتمِعانِ فيصنَعَ كائناً وهمياً يتعاملُ معه، ويُطوِّرُ علاقَتَه به حتى يَصيرَ الوَهمُ المألوفُ بمثابةِ الحَقيقَةِ، فيكون الإنسانُ قد ارتادَ عالَماً جَديداً من المُقابَلاتِ والمتناقِضاتِ لا يُدرَك ولا يُرى إلا بما

---

(1) **أدَواتُ التأويل مَفاتيحُ مَعرفيةٌ قَبل العُبور إلى التأويل**. ولكن واقَعَنا الثقافي العربيَّ المعاصر، في كثيرٍ من مَظاهِره، لا يَستجيبُ لهذِه القاعدَة الضَّرورية في صِحَّةِ التّأويلِ وسَلامتِه؛ ففي العُرف أنّ المثقفَ الباحثَ المُواكبَ للحداثة والعَصر هو ذاك الذي يُقدِّم لكَ الموضوعاتِ والمشكلاتِ مُؤوَّلةً مُحوَّلةً، ولا يفصلُ الناسَ عن العُبورِ إلى الحَداثة والعَصر إلاّ التأويلُ والتحويلُ، بِغَضِّ النظرِ عن امتلاك الأدوات. فكثير من الكُتّاب والباحثين تُعوزُه أدواتُ العُبورِ إلى النّصوص المَقروءَة فيحوّلُها ويؤوِّلُها ليفهَمَها مِن غير أن يمتلكَ عُدّةً ولَا عَتاداً، فَلا يُعنَى هذا القارئُ بالأدواتِ التي تُمكِّنُ من صحّةِ القراءَة وسَلامةِ الفَهم، والقُدرةِ على فكِّ الرموزِ اللُّغوية والبلاغية والآلية، يَحسبُ كثيرٌ من المؤوّلةِ أنّ القراءةَ نُزهةٌ والتأويلَ مطيةٌ لركوبِ المعالي، ما أكثرَ ما تَجدُ من إطنابٍ في الإنشاءِ النظري والفلسفي...

(2) انظرْ أمثلة من التركيب بين أمرَيْن متقابلَيْن، كالحُبّ والمَعرفَة، وما في المعرفَة من جُنون مُستعارٍ من الحُبّ، وما في الحُبِّ من إرباكٍ وشكٍّ ووضوح... في كتاب: **مَجازات بها نَرَى، كيف نُفكّر بالمَجاز**، (الدّيري، 2006، ص. 204 وما بعدها).

وللعَرَب شيءٌ قَريبٌ من ذلكَ، فيما عُرفَ بالتَّكاذيب أو تَكاذيب الأعراب؛ حَكاه أبو العَباس المُبرّدُ، قال: «بابٌ من تَكاذيبِ الأعراب؛ قالَ أبو العَبّاس، وهذا بابٌ من تَكاذيبِ الأعرابِ، حَدَّثني أبو عُمَرَ الجَرميُّ قالَ: سَألتُ أبا عُبيدةَ عن قولِ الرّاجز:

أهَدَّموا بَيتَكَ لا أبا لَكا وأنا أَمْشي الدَّأَلَى حَوالَكا!

فقُلتُ: لمنْ هذا الشِّعرُ؟ فَقالَ: [تَقولُ العَرب]: هذا يَقولُه الضَّبُّ للحِسْلِ، **أيّامَ كانَت الأشْياءُ تَتَكَلَّمُ**» (1997، 2/ 147).

أُوتِيَه من قوّةِ التّخييلِ ودقّةِ الاستعارَة والمَجاز[1]، وتَسَوُّرِ البناءِ مِن نوافذِ التَّفاصيلِ والظِّلالِ. **حتّى أصبحَت النوافذُ والظِّلالُ هي الأبوابَ وظلَّت الأبوابُ قابعةً في مَكانِها القَديم**. وعليه، تكونُ المَجازاتُ والاستعاراتُ مسالكَ البُلوغِ إلى الدلالاتِ لأنّ شبكاتِ الأنساقِ الدّلاليّةِ في كلِّ ثقافة إنّما تشتغلُ بهذه المسالكِ الاستعاريّةِ، وبها تُهيكِلُ الثَّقافاتُ الإنسانيّةُ أنساقَها الدّلاليّةَ (Maranda، 1980). ومن مَظاهرِ التنظيمِ والهَيْكلة أنّ المجازَ والاستعارةَ ضربٌ من التّأويلِ والتّمثُّلِ للتوصُّلِ إلى فَهمِ الأشياءِ وقِراءَةِ العالَم[2]، ولكنّه تأويلٌ استعاريٌّ لا يوجدُ ولا يُتاحُ إلا **حيثُ يوجَدُ الصِّراعُ أو التقابُلُ** (Goodman، 1968). ووجه التَّضادِّ في الاستعارةِ أيضاً أنّها «شُذوذٌ يَرفُضُ

(1) ودقّة الكنايَة أيضاً؛ فإنّ «الْعَرَبَ تَكْنِي عَنْ الْحَبَشِيِّ بِأَبِي الْبَيْضَاءِ وَعَنْ الضَّرِيرِ بِأَبِي الْعَيْنَاءِ **وَلَا اتِّصَالَ بَيْنَهُمَا بَلْ بَيْنَهُمَا تَضَادٌّ**، مِثْلُ هَاءِ المغَايَبَةِ وَسَائِرِ أَلْفَاظِ الضَّمِيرِ مِثْلُ أَنَا وَأَنْتَ وَغَيْرِهَا...» البزدوي.

(2) يُعدُّ الأدبُ مَجالاً إنسانياً خصباً **لاجتماعِ العَناصرِ المُتَقابلَة** التي يَستحيلُ اجتماعُها في الواقع، ويُعدُّ ضَمُّ المُتقابلاتِ عَمَلاً إبداعياً يُنشئُه الكُتّابُ والشُّعَراءُ، دَخَلَ في اهتمام الأدباء والشُّعَراء منذ القَديم، من نَماذج ذلكَ في الأدب العربيّ كتابُ «رسالَة الغُفْران» لأبي العَلاء المعرّي (ت.449هـ) في الرّحلةَ إلى العالَم الآخَر حيثُ كانَ «يتحدثُ **عَن مُبْهَمات لا سبيلَ إلى جلائها**... ويَستعملُ **ضَمائرَ لا نَدري عَلى مَن تَعودُ**...» (ص. 72)، ولا تَنجلي المُبْهَماتُ إلا بمعرفَة المرجع الذي تُحيلُ إليه بعضُ ضمائر أبي العلاء، وهو رسالةُ ابن القارح. يقولُ أبو العلاء في أوائل كتابه: «وإنّه إذْ يُذْكَرُ، لَيُؤَنَّثُ في المَنطق ويُذَكَّرُ، وما يُعلَم أنّه حَقيقيُّ التّذكير ولا تأنيثُه المُعْتَمَدُ بنَكير...»، والكتابُ غايةٌ في البلاغة والتخييل والجَمع بين المتفرِّقات، فقَد تَخيَّلَ ابنَ القارح في جَنّةِ الغُفْران بينَ نَدامى الفردوس من الشعراء، وفي أطرافِ الجنّةِ، ثُمّ في جَحيم الغُفْران، وَقد ضمّت «رسالةُ الغُفْران» ما لا يَكادُ يَنحصرُ من أسماءِ الأعلام من الشعراء والنُّقّادَ واللغويين والخُلَفاء والأنبياء والأُمم والقَبائل والطَّوائف والحَيَوان والنَّبات والجنِّ، ورَبَطَت بين هذه الأعلام والأشياءِ علاقاتٌ واسعةٌ من الخَيالِ الذي يُؤلّفُ بين المتناقضات والمُتقابلاتِ ويَجمَعُ ما لا يَجتمعُ زَماناً ولا مَكاناً. (ينظر: المَعرّي، 1977).

وكان لهذا العمَل الأدبيّ الكبير أثرُه في الأدب الأوربيّ القَديم، فقَد أشارَ الباحثُ الإسبانيّ «ميكيل أسين بالاسيوس» Miguel Asin Palacios ، في رسالته الجامعية «علم الآخرة الإسلامي في الملهاة الإلهية عام (1919) :إلى حُضور كثير من أفكارِ رسالَة الغُفْران وخياله في «الكوميديا الإلهية» *la Divina Comedia*، وأنّ رسالَة أبي العلاء كانَت رافداً من رَوافد رسالَة دانتي. (Dante Alighieri: La Divina Commedia)

هذا، وقد أُلِّفَت رَسائلُ فيما بعدُ تَنحو مَنحى التّخييل وتَجري مَجرى التأليف بين المُتَقابلات، (كالحُلول بأرض الجنّ وسُرعة الطيران على ظهر الحصان ومُقابلَة الشعراء الضاربين في القِدَم)، منها: **رسالة التوابع والزوابع**، لأبي عامر أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن شُهيد الأشجعي الأندلسي (ت. 426هـ، 1996).

التّوافُقَ مع سياقِه... والسببُ في حُدوثِ هذا التّنافُرِ أنّ المَعانيَ التي ترتَبطُ عادةً بالكلمةِ الشّاذّةِ لا تنسجمُ مع مُحيطِها، وهو التّعارُضُ الذي يَدفعُ القارئَ إلى تَوسيعِ المَعْنى لاستِعادةِ الاتِّساقِ، ومَعَه المَعْنى» (أرمسترونغ، 2009، ص. 108).

***

والخُلاصةُ أنّ الحُكمَ بالتَّناقُض أو التّضادّ، في اللغةِ والأدب والخطابِ على وجه العُموم، اصطلاحٌ وتَعاقُدٌ واتفاقٌ بين الناسِ في كثير من مَيادينِ الفكرِ والحَياةِ الاجتماعيّةِ، وذلكَ لأنّ مفاهيمَ المنطقِ والانْسجام والتَّوافُق مفاهيمُ نَسَقيّةٌ تنظيميّةٌ اصطلَحَ عليها الناسُ ليُنظِّموا بها واقعَهم الذي يَحْيَوْنَ فيه ويَتواصلوا اجتماعياً، وليسَ الكونُ الطّبيعيُّ بأنساقِه وتفاصيلِ علاقاتِه ولا الكَونُ النّفسيّ ولا العوالمُ الاجتماعيّةُ وأنشطةُ الناسِ اللغويةُ والسياسيّةُ والفكريّةُ والاقتصاديّةُ قائمةً بالضَّرورَةِ على المنطقِ المألوفِ المُتَعارَف المُصطلَحِ عليه والمُتداوَلِ بينهم منذ مئاتِ السنينَ، ولكنَّ التضادَّ والتقابُلَ نَسقٌ عَميقٌ ينتظمُ عناصرَ الكونِ وحياةَ المُجتَمَعاتِ وبَواطنَ النُّفوسِ بشكلٍ من الأشكالِ.

المصادر والمراجع:

باللغة العربية

- وايز، أدينا. (2020، أبريل). *الاسْتِعارات العَسْكَرِيّة تَعْمَلُ عَلى تَحريفِ حَقيقَةِ كوفيد-19. مَجَلّةِ ساينتفيك أمريك.*
- أرمسترونغ، بول. (2009). *القراءاتُ المُتَصارِعَة* (ط1). (فلاح رحيم، ترجمة.). دار الكتاب الجديد المتحدَة، بيروت.
- أوغدنْ، ورتشارلز. (2018). *التَّقابُل اللغوي، تَحليل لغوي وسايكولوجي*، (كيان أحمد حازم يحيى، ترجمة.). دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.
- الجرجاني، عبدالقاهر (د.ت). *أسرار البلاغة*، (محمود شاكر، تحقيق.). المدني بالقاهرَة، ودار المَدَني بجدّة.
- التميمي، جنان بنت عبد العَزيز. (2013). *الزّمَن في العربيّة، من التعبير اللغويّ إلى التّمثيل الذّهنيّ، دراسة لسانية إدراكيّة*. إصدار كرسي عبد العزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الرياض.
- عبيد، حاتِم. (2013). *في تَحليل الخطاب* (ط1). دار ورد للنّشر والتّوزيع، الأردن، عمان.

- الدّيري، علي أحمد. (2006). *مَجازات بها نَرى، كيف نُفكّر بالمَجاز*، وزارَة الإعلام – الثقافَة والتراث الوطني، البحرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الزّركشي، بَدر الدّين. (1992). *البَحر المُحيط في أصول الفقه*، (ط2). (عبد القادر عبد الله العاني، تحرير.). (سليمان الأشقر، مراجعة.). نشر الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.
- الزَّمخشَري، أبو القاسِم جار الله. (ت.538هـ، 1998). *أساس البلاغة* (ط1). (محمد باسل عيون السود، تحقيق.). دار الكتب العلمية، بيروت.
- الوجاني، سعيد. (2013، غشت)، *الاسْتِعارَةُ في اللُّغَةِ السِّياسِيَّة*، ضمن محور: مواضيع وأبحاث سياسية. موقع «الحوار المتمدّن». الحوار المتمدن – العدد *4182*.
- سليم، عبد الإله. (2001). *بِنْياتُ المُشابَهَةِ في اللّغةِ العربيّة*. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.
- محمود محمد، شاكر. (1996). *نَمَطٌ صَعبٌ ونَمَطٌ مُخيف* (ط1). المدني القاهرة، ودار المدني جدة.
- الأندلسي، شُهيد ابن الأشجعيّ. (ت. 426ه، 1996). *رسالة التوابع والزوابع*(ط3). بطرس البستاني، تصحيح.). دار صادر للطباعة والنشر.
- عزي، عَبد الرحمن. (2007، أغسطس). *فقه اللغة وعُنف اللّسان والإعلام في المَنطقَة العربيّة*. بَحث منشور في كتاب جَماعي بعُنوان: **اللّسان العَرَبي وإشكاليّة التّلقّي**، سلسلة كُتب المُستقبَل العربي (*55*). نشر مَركز دراسات الوَحدَة العربية، بيروت.
- القَيروانيّ، أبو علي الحَسَن بن رَشيقٍ. (ت.463 هـ، 1981). *العُمْدَةُ في مَحاسِنِ الشعرِ وآدابِه* (ط5) (محمد محيي الدين عبد الحميد، تحقيق). دار الجيل، بيروت.
- لايكوف، جورج.، وجونسون، مارك. (1996). *الاستعاراتُ التي نَحْيا بها* (عبد المجيد جحفة، ترجمة.). دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء.
- المبرِّد، أبو العَباس محمّد بن يزيد. (1997). *الكامل في اللّغة والأدَب* (ط3). (محمد أبوالفضل إبراهيم، تحقيق.). دار الفكر العربي، القاهرَة.
- المَعرّي، أبو العلاء. (ت.449هـ، 1977). *رِسالَة الغُفْران* (ط9). (عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، تحقيق.). دار المَعارف، القاهرة.

- القلفاط، منجي. **(2016)**. *مَكائد الكتابة، بَحث في المغالطة القَصدية وأقنعة المعنى في الأدب*. الدار التونسية.
- أحمَد، يوسف عبد الفتّاح. (2010). *لِسانيّات الخِطابِ وأنساق الثَّقافَة* (ط1). الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت.، منشورات الاختلاف، الجزائر.

باللغة الإنكليزية

- Adam, J. M. (1990). Eléments de Linguistique textuelle, théorie et pratique de l'analyse textuelle, Liège.
- Palacios, A. M. (1919). La Escatologia Musulmana en la Divina Comedia, Imprensa de Estanislao Maestre.
- Austin. J. L. (1962). How To Do Things With Words. Oxford University Press.
- Buyssens, E. (1969). La grammaire générative selon Chomsky, Revue belge de Philologie et d'Histoire. 840-857.
- Chomsky, N. (1957c). Syntactic Structures. La Haye: Mouton.
- Cook V.G., and Mark, Newson. (2007). Chomsky's Universal Grammar, Blackwell Publishing Ltd. Third Edition.
- Anca. C. (2017). La Métaphore conceptuelle, The Annals of Ovidius Universty of Constata: Philology Series Vol. XXVIII, (2).
- De Benigno Sánchez-Eppler, d. b. (1986). Habits of Poetry, Habits of Resurrection: The Presence of Juan Ramón Jiménez, in the work of Eugenio Florit, José Lizama Lima and Cintio Vitier, Tamesis Books Limited. LONDON.
- Gibbs, R. W. (2009). 'Why do some people dislike conceptual Metaphor Theory' Journal of Cognitive Semiotics, Vols. (1-2), 14-36.
- Goodman, N. (1968). Languages of Art. An Approach to a Theory of Symbols, Indianapolis: Bobbs-Merrill.
- Hagège, C. (1976). La Grammaire générative, réflexions critiques, Ed. Presses universitaires de France.
- Hawkes, T. (1972). Metaphor, Printed in Great Britain by Cox, & Wyman Ltd, Fakenham, Norfolk, First published.
- Jorgenson M., and Phillips, L. (2002). Discours Analysis as Theory and

Method.

- Kovecses, Z. (2015). Where Metaphors Come From, Reconsidering Context in Metaphor, Oxford University Press.
- Lakoff, G., and Johnsen, M. (1980). Metaphors we live by, London : The university of Chicago Press. Afterword © 2003 by The University of Chicago.
- Laughland, (19 août 2019). « 'I can't breathe': NYPD fires officer who put Eric Garner in chokehold » [archive], the Guardian, (consulté le1er juin 2020).
- Maranda, P. (1980). The Dialectic of Metaphor: An Anthropological Essay on Hermeneutics, In: Susan Rubin Suleiman, and Inge Crosman (dir.), The Reader in the Text, Essays on Audience and Interpretation, Princeton University Press.
- Ogden, C. K. (1967). Opposition: A Linguistic and Psychological Analysis, Indiana University Press. London Paul Trench Trubner (1932).
- Stroinska, M. (2002). Language and Totalitarian Regimes, Institute of Economic Affairs. Published by Blackwell Publishers, Oxford.
- Troubetzkoy, N. S. (1949). Principes de Phonologie (J. Cantineau, tr.). Paris, Klincksieck.
- Vandenbergen, S., Aijmer, K. (2007): The Semantic Field of Modal Certainty: A Corpus-based Study of English Adverbs, Mouton de Gruyter, Brlin-New York.
- William. K. W., M. C. Beardsley. (1982). The Verbal Icon: Studies in the Meaning of Poetry, University Press of Kentucky.
- WISE, A. (April 17, 2020). Military Metaphors Distort the Reality of COVID-19. The rhetoric of war implies a heedless approach that undermines the practice of medicine. Scientific American.
- https://blogs.scientificamerican.com/observations/military-metaphors-distort-the-reality-of-covid-19

النسق العرفانيّ
بين علوم الطبيعة وعلوم الدماغ

د. عبد الرحمن طعمة حسن
قسم اللغة العربية كلية الآداب والعلوم الاجتماعية،
جامعة السلطان قابوس، سلطنة عُمان
a.hassan@squ.edu.om
https://orcid.org/0000-0001-7971-4417

الملخّص

لم تَعد لغة الإنسان مُقيّدة بمناهج البحث في العلوم الإنسانية بعد أن اتسعت الأفهام، وامتدت مجالات الدراسة إلى عمق العلوم الطبيعية، خصوصًا علوم الأعصاب والبيولوجيا والفيزياء والكون، وقد بدأنا التمهيد لهذه المسائل وما يرتبط بها من مناقشات منذ سنوات، وطرحنا الكثير من الأفكار والرؤى ذات الصلة.

وهذه الورقة العلمية هي مقاربة أخرى جديدة، نُقدّم من خلالها ما نفهمه من العلاقات الوثيقة بين أطروحات مختلف العلوم، وما يربط نتائج الفحص بها مع علوم اللسان، من خلال قضية **النّسق**، ومتعلقات هذا النسق ضمن حدود إدراك الدماغ لسيروات الطبيعة المختلفة الشديدة التنوّع، لتأتي اللغة الإنسانية مؤديةً دور **المايسترو** المُنظّم لوتيرة عمل كلّ ما نفهمه عن الكون من حولنا.

الكلمات المفاتيح: النسق؛ الطبيعة؛ العرفان؛ الدماغ؛ الذهن؛ اللسانيات.

THE COGNITIVE SYSTEM BETWEEN NATURAL SCIENCES AND NEUROSCIENCE

Dr. AbdalRahman Teama Hassan
Arabic Department, Faculty of Arts and Social Sciences,
Sultan Qaboos University
a.hassan@squ.edu.om
https://orcid.org/0000-0001-7971-4417

ABSTRACT

Human language is no longer restricted to research methods in the humanities; fields of language study extend to the depth of the natural sciences, especially Neurosciences, Biology, Physics and Cosmology. I have begun, years ago, to prepare for these issues and its related discussions, putting forward many ideas and visions in question.

This scientific paper stands as a new approach, through which I clarify what I›ve noticed from the close relationships between the theses of the various sciences, introducing what may link the results of the examination with Linguistics, through the very issue of systematization, Within the limits of the Brain›s perception of the many different and varied processes of nature, where human language comes to play the role of the *maestro* that regulates the pace of the work of everything we understand about the universe around us.

Keywords: System, Nature, Cognition, Mind, Brain, Linguistics.

أولا - في المصطلح والمفهوم وحدود التداخل:

إنّ الإنسان -في حدود علمنا- هو الكائن الذي تفرّد بالتفكير في تفكيره، وبمعرفة أنّ لديه وعيًا يُمثّل لغزا من ألغاز الكون، وهذا ما يدخل في سياق **(العرفان الشارح)** *Metacognition*، ويقول عنه المتخصصون إنه العرفان حول العرفان، أو معرفة المعرفة: *Metacognition is Cognition, about Cognition, about Knowing or Knowing*. كما أنّ علماء العرفانيات يرون أنّ القدرة الواعية على التفكير في التفكير هي أمرٌ تتفرد به الأجناس العاقلة -عمومًا- *Species Sapient*؛ بل إنّ هذا يُمثّل أحد تعريفات **الحكمة** أو **التعقّل** Sapience.

والوعي الإنسانيّ (ذاتي المرجعية) referential-self؛ إذ يشتغل بطُرق خَفية مُعجزة، ليجعل من البشر إنسانًا مُفكّرًا عاقلًا مختلفًا عن بقية المخلوقات. وهنا يُمكننا القول إنّ الحقل المُوحّد في الدماغ هو الوعي الصافي الكامن في داخل كُلٍّ منّا، وقوانين الطبيعة موجودة في داخلنا على مستوى وعينا الصافي، المُتماهِي مع طاقة الكون في عالم الغيب المترامي اللامحدود (تونوني، 2021).

ومحاولتنا لفهم النسق الذي يعمل من خلاله الدماغ، بمركزية المنظومة اللغوية المعقدة داخله، هي مقاربة لأجل الفهم والتحليل، وليست على سبيل الجزم وفصل الخطاب في قضية تُعجِز المجتمع العلميّ حتى لحظة كتابة هذه السطور.

1 - فما النسق؟ وماذا نقصد بالنسقية؟ وما مقاربة هذه المسألة على مستوى الطبيعة والكون؟

مفهوم **النّسق** ذو معنيين: عام وخاص؛ فالنسق بالمعنى العام هو «جملة عناصر مادية أو غير مادية تتبادل التأثير بين بعضها؛ بحيث تُشكّل كُلًّا عضويًّا، مثل (النظام المدرسيّ)، و(الجهاز العصبيّ)...»، والنسق بمعناه الخاص هو «مجموعة من أفكار علمية أو فلسفية مترابطة منطقيًّا من حيث تماسكُها، لا من حيث حقيقتُها» (لالاند، 1996). ويستعمل المصطلح -أحيانًا- مقابلا للكلمة الإنجليزية *system*، في جُلّ الكتابات الفلسفية والثقافية، ونقترح أنْ يُدمجَ ضمن تحليلات مفهوم الـــــ *paradigm* في سياق نظرية المعرفة عمومًا. **والنسق** هو الأقرب إلى توضيح مجمل الآراء والأفكار الخاصة بنظرية الذهن وفلسفة العلوم العصبية، خصوصًا ما يرتبط منها بعلوم اللسان والتطوّر الثقافيّ. ويختص النسق -كذلك- بالجنس البشريّ دون غيره. والنَّسَقُ من كلّ شيءٍ -إجمالًا- هو ما كان على نظام واحد عام في الأشياء؛ فتلك العمومية قيدٌ مُهمّ لكي نقول بتحقق النسقية *Systematia /Systematization*.

ومن الأساسيّ –ابتداءً– أنْ نعرفَ أنّ ما يُصوّره الدماغ ويُمثّله ويَخلقُه عن المحيط الكونيّ كلّه من حولنا هو بحسب الهندسة الذهنية المُتاحة له فقط؛ فحقيقة الذهن لا توازِي ولا تقارب حتى حقيقة الكون؛ فالذهن جزء من الكون، فمثلا لا تُمثّل الرموز في المعجم الذهنيّ تطابقًا مباشرًا مع أشكال الواقع؛ فالنسخة الذهنية ليست مطابقة للخارج؛ بل هي **نسخة تصوُّرية تقريبية لأجل إدراك كُنه العالَم والتكيّف معه [هندسة الذهن لا تساوي هندسة الكون]** (طعمة وعبد المنعم، 2022)، ويدخل ذلك الأمر ضمن حدود قدرة الإنسان على **التجريد**، لأنك كلما جرّدتَ ترتقي من التفاصيل الأكثر إلى التفاصيل الأقل، حتى تصل إلى النمط التجريديّ الأعقد والأكثر كثافة في ذهن الإنسان، وهو **الرياضيات؛ فالمعادلة الرياضية** الواحدة تحمل كَمًّا مهولا من المعلومات التي تُشرح في عشرات الصفحات، ولذلك فإنّ **حدود فهم الكون** –من خلال وسيط اللغة الإنسانية، في صورتها التواصلية، وصورتها الصناعية التجريدية– هي **حدود الذهن**، التي هي **حدود التجريد**. ولو اختلفت ظروف خَلقِنا ووجُودِنا، لاختلفت هذه الهندسة الذهنية تمامًا، ولاختلفت معها بالتبعية مُخرجات علومِنا ومعارفِنا...، ولذلك فإنني أقرر وأقول دومًا إنّ العالَم الذي نتصوّره ونشاهده لا يُمكن أنْ يكون هو العالَم على حقيقته، فكلّ الكائنات ترى العالَم الخاصَّ بها من منظورها، ومن خلال ما هو مُتاح لديها من هندسة مخلوقة، تُهيئُها للحياة في هذا الكوكب، والفارق بيننا وبين غيرِنا من هذه المخلوقات أنّ تفكيرَنا قد اُختُصّ بالقدرة على التمثّل والتمثيل، وخَلق سيناريوهات مُعقّدة على مستوى الذهن والفهم، والتركيب والتحليل...

– والتواصل بين الجماعات الإنسانية المختلفة يتحقق من خلال قانونين نسقيين متلازمين (حايلا، 2012، ص. 193 وما بعدها)، هما:

أ – وحدة قوانين اللسان وموضوعيتها؛ فهناك قوانين وأنساق دلالية وتركيبية كلية واحدة بين أفراد كلّ جماعة من المتكلمين، بحيث تتطابق موضوعيًّا في ما بينهم، لأجل صحة التصورات. ووفق ذلك، فإنّ الظواهر اللسانية المختلفة هي عبارة عن **وحدة نسقية** مُطّردة بين المتكلمين ضمن لسان مشترك بناءً على أصلين:

– **وحدة أصول اللغة ومجمل دلائلها**، وهي الوحدة المُستَنِدَة إلى أصل اتفاق الجماعة اللسانية وتواطئها، بحيث تُحقق مبدأ العقد الاجتماعي اللغوي.

– **وحدة نظام اللغة بين أفراد الجماعة**، بما يتضمّن الموضوعية الصريحة؛ فوحدة النظام والموضوعية هما أصلان لتحقق **النسقية التواصلية**، وكمال الوظيفة

الإبلاغية للغة، فإذا حدث خلل فيهما اختل التواصل الاجتماعيّ، وربما استتبع ذلك اختلال المنظومات القيمية والثقافية، بما يؤدي إلى تلاشي المجتمعات وذوبانها في أخرى، كما حدث على مرّ الأزمنة، وكما اتضح من خلال البحث في حفريات المعرفة وجينالوجيا التاريخ...

ب – الفعل اللساني لدى المتكلّم هو سلوك إراديّ يقوم على دمج قوانين هذا اللسان مع مُجمل المقاصد والأغراض التواصلية؛ وعلى هذا، فالخطاب يتشكل لدى أفراد الجماعة المُوحّدة لسانيًّا من خلال العلاقة الجدلية بين القوانين العامة والبنيات النسقية الخاصة بإنتاج العبارات والأقاويل، ومُجمل الأغراض والمقاصد التداولية. ولذلك فإنّ التشكّل الأوّلي للأنساق الدلالية في اللغة لا يتحقق آليًّا أو وفق مبدأ الحتمية التطوّري هكذا؛ بل إنّ هذا يحدث من خلال الإرادة والقصد لدى مُنشِئ الخطاب، من خلال مجموعة من المقتضيات:

– نسق القواعد والقوانين الضابطة لكيفية الإنتاج اللغويّ والتأويل الدلاليّ...

– إرادة المتكلم وذاته المتفردة في تجاربها وخبراتها النفسية، والتي تنعكس – بدورها – في وسائط التعبير المختلفة.

– مقتضيات التواصل الاجتماعي الحاكمة لدرجة الحرية والإرادة التعبيرية لدى الفرد في علاقتها بالقواعد والقوانين العامة الضابطة لإيقاع تواصل الجماعة كلها.

إنّ كلّ ذلك أشبه بقوانين عمل الأنظمة الكونية، من كواكب ونجوم ومجرات، فالأمر لا يختلف كثيرًا برأيي، فكلّ الكون يخضع لوتيرة عمل واحدة من الانتظام الكليّ، المؤدّي بالنهاية وبالضرورة إلى النسقية الشاملة، وإلا انتكس كلّ شيء وتلاشى إلى الأبد. وهنا مزيد توضيح.

ج – يرى الفيلسوف الكبير «كارل بوبر» أنّ أوّل منتجات العقل البشريّ بإطلاق هو **لغة الإنسان** (بوبر، 2020، ص.31)، وأنّ الدماغ والعقل قد تطوّرا من خلال التفاعل مع هذه اللغة بأنظمتها المعقدة ونسقيتها مع الكون. فعندما ظهر الإنسان تجلّت إبداعية العالَم؛ إذ أبدع الإنسان عالَمًا موضوعيًّا جديدًا، هو **عالَم منتجات العقل البشريّ**، وهو عالَم الأساطير وحكايات الأشباح والنظريات العلمية والشعر والفن والموسيقى، وقد أعطاه «بوبر» الرقم (3)، تمييزًا له عن العالم رقم (1) الماديّ، والعالَم رقم (2) الذاتيّ أو النفسيّ، وكلّ ذلك تحت قيادة اللغة وسيطرتها.

ووفقًا لبوبر، فإنّ العالَم كما نعرفه قد مرّ –على أقلّ تقدير– بمراحل تطوّرية كونية

مُعيّنة، أنتج بعضُها أشياءَ ذات خصائص غير مُتوقعة على الإطلاق، أو نقول إنها انبثاقية *emergent* (بوبر، 2020، ص.38).

- إنتاج العناصر الأثقل (شاملة النظائر المُشعّة *isotopes radioactive*)، وظهور السوائل والبلّورات...
- ظهور الحياة.
- ظهور الوظيفة الحسية.
- ظهور الوعي بالذات والوعي بالموت، متصاحبًا مع **اللغة البشرية**، أو حتى مع ظهور اللحاء المخي البشري *cerebri Cortex*.
- ظهور **اللغة البشرية ونظريات النفس والموت**.
- ظهور منتجات العقل البشري، مثل الأساطير المُفسِّرَة، والنظريات العلمية، والأعمال الفنية...

والجدول التالي يوضح هذه المراحل الكونية التطوّرية وما تتضمنه باختصار (Popper، 1985، ص. 39):

العالَم (3) [منتجات العقل الإنسانيّ]	6 – الأعمال الفنية والعلمية (شاملة التكنولوجيا) 5 – اللغة الإنسانية: نظريات النفس والموت
العالَم (2) [عالَم الخبرات الذاتية]	4 – الوعي بالذات وبالموت 3 – الإحساس (الوعي الحيوانيّ)
العالَم (1) [عالَم الأشياء الفيزيائية]	2 – الكائنات العضوية الحية 1 – العناصر الأثقل: السوائل والبلورات – المستوى [**صفر**]: الهيدروجين والهيليوم

د – ويرى «جون سيرل» أنّ: «هناك ظواهر مستقلة عن العقل في العالَم، من بينها أشياء من قبيل ذرات الهيدروجين، واللوحات المعمارية، والفيروسات، والأشجار، والمجرات، وواقع هذه الظواهر مستقل عنا. ولقد وُجد الكون منذ فترة طويلة قبل أنْ يوجد أيّ إنسان، أو قبل أنْ يظهر فاعلٌ آخرُ له وعيٌ، وسيوجد لفترة طويلة بعد أنْ نرحل جميعًا من على مسرح الحياة. فليست كلّ الظواهر في العالَم مستقلة عن العقل؛ خذ مثلا بالمال، والملكية، والزواج، والحروب، وألعاب كرة القدم، وحفلات الكوكتيل، تجدها جميعًا تعتمد بالنسبة إلى وجودها على فاعلين بشر واعين، بطريقة

تختلف عن وجود الجبال وأنهار الجليد والجزيئات» (سيرل، 2011، ص.55). ومن أهم أطروحاته حول فلسفة الذهن وأفعال الكلام اهتمامه **بالواقعية الخارجية**، وهي عنده تتلخص في أنّ العالَم (الوجود بما يحويه، أو الواقع، أو الكون) يوجد وجودًا مستقلًّا عن تمثيلاتنا له *representations*، التي تعني الطرق المترابطة التي يملكها الكائن البشري لأجل تقريب ملامح العالَم من عالَم الذهن والتصوّرات، وأهم هذه الطرق: الإدراك الحسيّ، والتفكير، واللغة، والمعتقدات، والرغبات، ويمكن إضافة الصور، والخرائط، والرسوم البيانية... ويُصنّف هذه التمثيلات إلى مجموعة ذات **قصدية باطنية** *intentionality intrinsic* (المعتقدات والإدراكات الحسية)، وأخرى ذات **قصدية مشتقة** *derived* (الخرائط والجُمل) (Searle، 1995، ص. 150).

ولم يقل أحدٌ شيئًا مختلفًا حول اللغة بعد قول «أرسطو» **إنّ الكلام ليس نشاطًا بسيطًا يقوم به عضو واحد أو عدة أعضاء بيولوجية مخصصة لهذه الوظيفة**؛ بمعنى آخر، فالكلام هو عملية مرتبطة بالوعي، المرتبط بدوره بالكون في إطلاقيته ولانهائيته. والعقل يعمل من دون عضو جسديّ، هكذا رأى الفلاسفة، وكان الأفلاطونيون – مثل «أغسطينوس» –يصفون الروح– والأمر شبيه في التصورات الإسلامية واللاهوتية – بأنها **جوهر غير ماديّ** *Corpore Utens*. وقد ألمح «سابير» إلى ذلك حين نظر إلى الكلام من الناحية الفسيولوجية (الوظيفية) بوصفه وظيفة مفروضة، أو بالأحرى، هو مجموعة من الوظائف المفروضة على الوظائف الأساسية، بحيث يفيد ما أمكن ويستمد العون من أعضاء ووظائف عصبية وعضلية، تكوّنت في أصلها واستمرت لغايات تختلف تمامًا عن غاية الكلام. وهي ما تزال تؤدي هذه الأغراض بعد أنِ اُستُعين بها لإحداث الأصوات الكلامية (جيلسون، 2017، ص.89 وما بعدها).

يقول الفيزيائي «وينبيرج أروز» في كتابه (أحلام النظرية الأخيرة، 1992م)، إنّ كلّ الأسهم التوضيحية موجهة إلى أسفل الهيراركي، وإذا ظل الإنسان يسأل مثل الطفل العنيد: (لماذا، لماذا، لماذا؟) فسينتهي به الحال إلى المستوى الجزيئيّ، ولن يصل إلى شيء، لأنّ هناك حدودًا ومواقيتَ للفهم. إننا نعرف أنّ هناك أسئلة منذ زمن «أرسطو» و«أفلاطون» وتلاميذهما، وغيرهم، لم تجد إجابة، وربما لن تجد، فعلينا – إذن – أنْ نتركها ونمضي إلى أنواع أخرى وجودية من الفهم، وربما جاءت الإجابة عن كلّ شيء في وقت ما لسبب ما مُعيّن (طعمة وعبد المنعم، 2019، ص.300 وما بعدها).

وهناك في العلوم البينية ما يُطلق عليه (**التعقيد المنبثق**) *emanate*؛ فمثلا أنت لا

تدرك لوحة ما بها رسم جميل على أنها مجموعة من الأصباغ الكيميائية، أو الزيوت المختلطة بصورة ما؛ بل إنك تدرك النمط من خلال طريقة ظهوره وتمثّله في ذهنك. كذلك فإننا لا نقول إنّ العقل هو مجموعة خلايا وشبكات نيورونية؛ بل إنه آلة عبقرية كونية غامضة إلى حدٍّ كبير، ومهمة لأجل فهم الوجود. والأمر -عمومًا- هو أننا **نتابع** -بإدراكنا المحدود- **الترقي في الطبقات النظامية: من مستوى الحس العادي، إلى مستوى العرفان الأمثل، الذي يُميّز جنسنا البشريّ، على أقل تقدير**، بما يسمح لنا بالانضمام إلى نسقية الكون المُدرك، وفق حدود فهمنا وتصوّراتنا.

ثانيًا - المقاربة النسقية العرفانية:

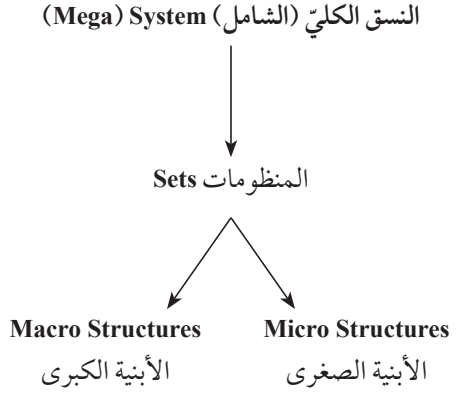
لا يُلتفت إلى العنصر أو الشيء المتعيّن ذهنيًّا إلا من حيث موقعُه في إطار **نسق**، وبذلك فإنّ الأنساق وتحولات الأنساق هي الأصل في الوجود الذهنيّ للعالَم لدى البشر؛ فكلّ شيء في الكون يصير ويتحوّل إلى شيء آخر، حتى الإنسان نفسه بعد الفناء. والتحوّلات التي تحدث على مستوى الأنساق نكتشفها من خلال قواعد الرياضيات والفيزياء، ولذلك فقد دخلت هذه العلوم إلى مجال البيولوجيا والأعصاب واللسانيات. فلا شيء في الكون يُفهم دون علاقة تجريدية تصوّرية، أو دالة رياضية، فكيف نفهم الذكر دون الأنثى، وكيف نفهم أيّ عدد دون **علاقة نسقية** مع غيره... وربما تكون هذه الخصيصة الذهنية هي ما ينفرد به البشر. تخيّل مثلا هل يوجد معنى للصفر أو لأيّ عدد آخر دون فهم علاقة وجوده ضمن مجموعة أخرى من الأعداد والأرقام؟

1 - أنطولوجيا الأنساق:

إنّ أنظمة التواصل في الكون كلها واحدة؛ أي نسقية *Systemic*، والاختلاف يكون في خصائص المنظومات Sets، ونظام اللغة داخل الدماغ لا يختلف أبدًا عن طبيعة النظام الكونيّ العام ضمن النسق الكونيّ الذي نفهم من خلاله وجودنا في هذا العالَم وَفق حدود الطبيعة من حولنا.

خُذ مثالا بنسق الجاذبية ضد نسق الإنسان؛ فمن المدهش أنك في كلّ مرة ترفع فيها قدمًا وتُنزل أخرى لتتحرك وتمضي في الأرض، أو ترفع الكوب لتشرب...، فإنك تهزم جاذبية الكوكب بأكملها، أليس هذا عجيبًا! ذلك لأنك بنسقك الكليّ الشموليّ تستطيع أنْ تفعل ذلك، لكنك إذا صعدتَ إلى أيّ مكان مرتفع وألقيت

بنفسك فستقع فورًا وتموت، لأنك في هذه الحالة تتحدى عمل الجاذبية وهي متآزرة مع عمل الطاقات الكونية الأساسية الأخرى، فستهزمك بكلّ سهولة[1]. يوضح هذا – كذلك – عمل الطائرة، فلكي تتغلب الطائرة على الجاذبية فلا بد أنْ تتشكل بها أنظمة هيدروليكية، وأنظمة رفع، وأنظمة الذيل، والتوازن، والضغط، ومركز الثقل وتحرّكه... (منظومات معقدة تُكوّن **نسق الطيران**)، حتى يُمكنها الطيران، والتحرك وفق عمل هذه الآليات الشديدة التعقيد. فإذا اختلّت هذه المنظومات، فشل النسق، وتسقط الطائرة. كذلك الأمر مع الغواصة في أعماق المحيطات... إنّ المنظومات لا يُمكنها التغلب على الأنساق إلا في حالات محدودة جدًّا ضمن حدود إدراكنا –كما أوضحنا بهذه الأمثلة– وذلك من خلال فهم عمل المنظومات أولا، ثم تحديد العلاقات الشبكية المُعقدة، ثم فهم الارتباط مع النسق الكونيّ الشموليّ، وما يتفرع عنه من أنساق أساسية، تحددها الفيزياء والرياضيات خصوصًا.



النّسَق = منظومات + علاقات شبكية

تأمّل في عمل الفيروسات؛ فالفيروسات تستهدف النسق، إنها تستهدف نواة الخلية، حيث يقبع الـــ DNA، فتعبث في التراتبية النظامية الأساسية للحياة، من ثَمّ تُدمّر الأنظمة الحية من خلال العبث في نسقية الجينات، فتنقلب البيئة البيوكيميائية رأسًا على عقب، وتنهدم البنية، وربما تنتهي الحياة! (طعمة وعبد المنعم، 2022، ص. 65 وما بعدها).

(1) الجاذبية هي طاقة ضعيفة في الكون، مقارنة بالطاقات الأساسية الأخرى في **النموذج الفيزيائي المعياري**: الطاقة النووية القوية، والطاقة النووية الضعيفة، والطاقة الكهرومغناطيسية، ثم الجاذبية.

وعلى سبيل الاختصار، أقول إنّ:

- أغلب -أقول أغلب وليس كلّ- ما طرحته الفلسفة القديمة يُعدّ من الهراء اللغوي *unsinnig*، كما يرى «فتجنشتاين».
- الكون قائم على عدد ثابت محدد من الأنساق *systems* وملايين المنظومات. *sets*
- **الإدراك** منظومة عصبية **والعرفان** نَسَق شموليّ متكامل.
- **الكواكب** -على سبيل المثال- منظومات، **والمجموعات النجمية** منظومات، أما **المجرة** في مجموعها فهي نَسَق.
- العقل الإنسانيّ تميّز بالعرفان؛ فهو **نسق**، أما عمليات المخ فهي منظومات تُشارك في حفظ نسق الفهم والتفكير؛ فعلى سبيل المثال، **منظومة الذاكرة** هي منظومة داخل **نسق التذكّر** ضمن نسق المخ، مثلما هي حالة أيّ وزارة من الوزارات داخل نسق الحكومة ضمن نسق الدولة...
- الحياة والموت نسق يجمع ثنائية الوجود والعدم، لكن الأمراض والشفاء منها منظومات داخل نسق الوجود والعدم...

هذا - باقتضاب - ملخص لمفهوم **أنطولوجيا الأنساق**، من خلال حدود فهمنا للعقل الإنسانيّ وللوجود من حولنا.

2 - لقد أثبتت الفيزياء والرياضيات حتى الآن وجود حوالي 16 بُعدًا كونيًّا، ولغتنا لا تتجاوز في تعبيرها وتراكيبها حدود الأبعاد الثلاثة، بالإضافة إلى الزمن، ونحن لا نفهم شيئًا عن العوالم الأخرى وما يحدث بها وما يُفترض وجوده فيها من كائنات إلا بما أُتيح لنا من تجريد رياضيّ محدود جدًّا، حتى إنّ عالَمَنا الحسيّ الذي نعيش فيه ونعاينه بحواسنا لا ندري عنه سوى القليل جدًّا! وبناءً على ذلك لا يُمكننا أنْ نقول إنّ العالَم كما نُدركُه هو العالَم كما هو مخلوق! لأنّ هذا العالَم هو نماذج الذهن التي بناها وحدّدها الدماغ لنا، فكلّ مخلوق يُبدع عالَمَه الخاص وفق ما يُتاح له من إدراك حسيّ، ولذلك ترى مملكة النحل مختلفة عن مملكة النمل مختلفة عن ممالك الثدييات بتنوعاتها الرهيبة، وكلّ ذلك مختلف عن عوالم البحار، وعن عوالم العناكب، والأفاعي... إلى ما لا نهاية من خلق الله (ويخلق ما لا تعلمون)، فكلّ كائن من هذه الكائنات يفهم العالَم الخاص به وفق ما يُدركه منه، فيبني وجوده فيه بالتوازي مع هذا الإدراك، فأنت لو جئت بقبيلة من القِردة ووضعتها في عمارة سكنية، فستقوم بتدميرها، لأنّ منظورنا عن السكن -بمختلف صوره في الطبيعة-

يختلف تمامًا عن منظور غيرنا من الكائنات، فلا تتوقع أنْ يجلس القردة في الغرف، أو أنْ يقوموا بصناعة المكاتب، أو أنْ يتواصلوا مع من يُدبّر لهم شراء حاجياتهم...، فهذا عالَم مختلفٌ عنهم لا يعرفون عنه أيّ شيء، ولا يفهمونه. كما لا يُمكنك أنْ تتوقع من النمل أو من الضفادع أو الأفيال...، أنْ تركب الطائرة وتستمتع بالمناظر الطبيعية الخلابة، أو أنْ تفهم أنّ هذه وسيلة مواصلات! كذلك لا تتوقع من الإنسان أنْ يقوم ببناء قلاع مثل قلاع وادي النمل، كما استكشفها العلماء، أو أنْ يبني عُشًّا مثل العصافير. أعتقد أنّ الأمر الآن قد بات واضحًا؛ فالعالَم كما نُدركه وكما نقوم بتعميره هو العالَم كما نفهمه، وليس العالَم كما هو في الكون، والله أعلم (طعمة وعبد المنعم، 2022، ص.74 وما بعدها).

إنّ «**صورة الفكر**» تتشكّلُ بواسطة اللغة؛ فاللغة هي –قبل كل شيءٍ– **تصنيفٌ مَقوليٌّ** *Categorical*، يَخلق الأشياء، ويُوجِدُ العلاقاتِ بين هذه الأشياء كذلك. وعليه، فإنّ كلّ لغة نوعية، وكلّ لغة (أو كلّ لسان) تُشكّل العالَم على طريقتها الخاصة. ولذلك فإنّ اللغات/ الألسُن، لا تُقدّم لنا في الحقيقة سوى بناءاتٍ مختلفة للواقع. ولذلك فإنّ «بنفنيست» (1999) يستخلص، من ملاحظاته وفلسفته، أنّ اللغة هي الأساس في وجود المجتمع البشري، وفي وجود ذاتية الإنسان؛ فاللغة ذات قدرة خالقة وتأسيسية، وهي المُفسِّر لكلّ الأنساق الرمزية الأخرى، ولكلّ أنظمة العلامات، فاللغة تشملُ هذه الأنظمة وتُفسّرها، بينما لا يُمكن أنْ يشمل اللغة، أو يتضمّنها، أو يُفسّرها، أيّ نظام سيميولوجي آخر.

ومن الطريف والشهير في هذا السياق أنه منذ عشرة آلاف سنة قد نطق «تحوت» بالحكمة والعلم، لينير طريق المصريين القدماء لأجل **معرفة أسرار الوجود**، وبدأ بأعمق مبدأ لفهم الوجود من المبادئ السبعة لتحوت: المبدأ الأول [«**الكل ذهن/ عقل**» «*mind is All*»]. Musha & Caligiuri، 2016، (Budge، 1969، ص. 401–410).

ويؤكّد معظم علماء اليوم أنّ العالَم ما هو إلا **مخ كبير**، أو خلايا عصبية متصلة في شبكة واحدة!

وهذه المبادئ هي:

1 – المبدأ الأول – **كلّ شيء عقل**. وفي الفيزياء كلّ شيء طاقة، وفي علوم الأعصاب كلّ شيء مرتبط باللغة وبالأفكار. وفي الواقع فإنّ العقل هو طاقة خفية تُمثّل جزءًا من طاقة الكون نفسها.

2 – المبدأ الثاني – **التناظر**؛ فالأعلى مثل الأسفل، والبداية مثل النهاية، فالكلّ مُتّصل بالواحد.

3 – المبدأ الثالث – **الاهتزاز هو حقيقة الوجود**. وكلّ كتب الفيزياء المتقدمة اليوم تُقرر أنّ المادة هي صورة من صور الطاقة، والطاقة هي اهتزاز.
4 – المبدأ الرابع – **القطبية**. فكلّ شيء موجود مع ضده (الثنائية أو الازدواجية أو الزوجية في الخَلق). وقد أثبت الفيزيائيّ «بول ديراك» أنّ الجُسيم والجُسيم المضاد يتخلّقان في اللحظة نفسها من المكان نفسه من بحر أزليّ يتخطّى مفهوم الزمن!
5 – المبدأ الخامس – **التناغم**. فكلّ شيء يرتفع وينخفض؛ وذلك هو مفهوم الموجات في الفيزياء، وما تحمله كلٌّ منها من رسائل مُشفّرَة يفهمها علماء كل عصر.
6 – المبدأ السادس – **السببية**. فلكلّ شيء في الوجود سبب.
7 – المبدأ السابع – **الذكورية والأنثوية**. وهما الركيزتان الأساسيتان في الوجود، ضمن ثنائية (ومن كلّ شيء خلقنا زوجين).

خلاصة وخاتمة:

– العالَم وفق إدراكنا هو عالَم يخلقه الذهن الإنسانيّ، وتتحكم فيه اللغة.
– سلطة اللغة الإنسانية لا تتخطى حدود الإدراك الإنسانيّ؛ فهي وسيلة لأجل الفهم فقط.
– المنظومات الكونية هي جزء من كلٍّ ضخم كبير هو الأنساق الكونية.
– العلاقات المنظومية هي التي تُشكّل شبكة الترابط الكبرى بين الأنساق المختلفة.
– ربما تكون لغتنا قد تشكلت بالطريقة نفسها التي تتشكل بها أنظمة الكواكب والمجرات؛ إذ انتظمت وحدات مُعيّنة في الدماغ، فانبثقت اللغة، ما أدّى إلى الارتباط مع المصدر الأوحد لوجودنا (الكون).
– الدماغ والكون هما وجهان لعملة واحدة، وفقًا لمقاربة النسق العرفاني المطروحة للنقاش.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- بوبر، ك. (2020) *النفس ودماغها* (ع. مصطفى، ترجمة.). دار رؤية للنشر. (العمل الأصلي نُشر عام 1985).
- بنفنيست، إ. (1999، فبراير). *مقولات الفكر ومقولات اللغة* (ع. الشرقاوي، ترجمة وتقديم.). *مجلة فكر ونقد*، (16)
- جيلسون، إ. (2017). *اللسانيات والفلسفة: دراسة في الثوابت الفلسفية للغة* (ق. المقداد، ترجمة.). دار نينوى.
- سيرل، ج. (2011). *العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي* (ص. إسماعيل، ترجمة.). المركز القومي للترجمة.
- طعمة، ع.، وعبد المنعم، أ. (2019). *النظرية اللسانية العرفانية: دراسات إبستمولوجية*. دار رؤية للنشر.
- طعمة، ع.، وعبد المنعم، أ. (2022). *أنطولوجيا العرفان واللسان: من المنظومية إلى النسقية*. دار كنوز المعرفة.
- طعمة، ع.، وعبد المنعم، أ. (2022). *الذهن والخطاب والثقافة: مقاربات أنثروبولوجية لسانية*. دار كنوز المعرفة.
- تونوني، ج. (2021). *فاي: رحلة من الدماغ إلى الروح، نظرية عصبية في تفسير الوعي* (أ. ع. شريف، ترجمة.). نيو بوك للنشر والتوزيع.
- لالاند، أ. (1996). *موسوعة لالاند الفلسفية* (خ. أ. خليل، ترجمة.). منشورات عويدات.
- حايلا، م. (2012). *نسق اللغة: فرضيات التكوين وإشكاليات الصيرورة، تمهيد لنظرية لغوية في علم الأصول*. عالم الكتب الحديث.

المراجع الأجنبية:

- Budge, E. A. W. (1969). The gods of the Egyptians: Studies in Egyptian mythology (Vol. 1, p p. 401–410). Dover Publications. (Revised edition).
- Caligiuri, L., & Musha, T. (2016). The superluminal universe: From quantum vacuum to brain mechanism and beyond. Nova Science Publishers.

الثنائية اللغوية في الدماغ

أ. د. رشيدة العلوي كمال
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس
rachidalalaoui157@gmail.com
https://orcid.org/6944-8644-0006-0009

الملخّص

يتعلم غالبية الناس في العالم التحدث بأكثر من لغة واحدة خلال حياتهم. والبعض يفعل ذلك بمهارة كبيرة خاصة إذا تعلموا اللغات في مرحلة مبكرة من حياتهم أثناء نموهم. وقد اهتم علم أعصاب اللغة بالثنائية اللغوية لفهم التغييرات التشريحية المرتبطة بتعلم اللغة الثانية وعلاقتها بالمرونة العصبية. نستعرض هنا نتائج مجموعة من الأبحاث والدراسات التي تدمج النماذج النظرية والنتائج التجريبية من علم النفس المعرفي، وعلم الأعصاب، لإثراء الفهم حول آثار ثنائية اللغة. وركزنا على الدراسات التي تستخدم المقاييس العصبية المعرفية مثل سمك القشرة وحجم المادة الرمادية لإبراز دور الثنائية اللغوية في إحداث آثار على بنية ووظيفة الدماغ، والتي تحدث بصورة متباينة عند ثنائيي اللغة المبكرين من الأطفال مقارنة بأحاديي اللغة، وعند ثنائيي اللغة المتأخرين من الأطفال مقارنة بأحاديي اللغة، وعند البالغين. كما تناولنا أثر التجربة اللغوية المبكرة وعمر التعرض للغتين على التنظيم العصبي في مناطق اللغة الكلاسيكية وفي مناطق أخرى فرعية. وأخيرا تساءلنا عن إيجابيات الثنائية اللغوية وذكرنا بعضا منها. ورغم ذلك لا يزال هذا الموضوع بحاجة الى مزيد من الأبحاث والدراسات نتيجة عدم امكان تعميم النتائج التي ظهرت متباينة في هذه الدراسات.

الكلمات المفاتيح: الثنائية اللغوية- الأحادية اللغوية- بنيات الدماغ- سمك القشرة- المادة الرمادية- الفوائد.

BILINGUALISM IN THE BRAIN

Prof. Rachida Lalaoui Kamal
College of Letters and Human Sciences – Mohammed V University
rachidalalaoui157@gmail.com
https://orcid.org/6944-8644-0006-0009

ABSTRACT

Most people in the world learn to speak more than one language during their lifetime. Some do so with great skill, especially if they learn languages early in life as they grow up. Language neuroscience has taken an interest in bilingualism to understand the anatomical changes associated with second language learning and their relationship to neuroplasticity. Here, we review findings from a range of research studies that integrate theoretical models and empirical findings from cognitive psychology and neuroscience to enrich understanding of the effects of bilingualism. We focused on studies that use neurocognitive measures such as cortical thickness and Gray matter volume to highlight the role of bilingualism in producing effects on brain structure and function that occur differentially in early bilinguals compared to monolinguals, late bilinguals compared to monolinguals, and adults. We also addressed the impact of early language experience and age of exposure to bilingualism on neural organization in classical language areas and other subregions. Finally, we questioned the benefits of bilingualism and mentioned some of them. However, this topic is still in need of further research and studies since the results of these studies cannot be generalized.

Keywords: Bilingualism- monolingualism- brain structure- cortical thickness- Gray matter- benefits.

مقدمة

يتعلم غالبية الناس في العالم التحدث بأكثر من لغة واحدة خلال حياتهم. والبعض يفعل ذلك بمهارة كبيرة خاصة إذا تعلموا اللغات في مرحلة مبكرة من حياتهم. ولذلك، يبدو من الضروري فهم كيف يتكيف الدماغ مع استخدام لغتين أو أكثر وما يعنيه هذا التكيف. ومن أجل ذلك سنلجأ إلى علم أعصاب اللغة (neuroscience of Language) لفهم التغييرات التشريحية المرتبطة بتعلم اللغة الثانية. وتمكن دراسات الثنائية اللغوية من معرفة الآليات الأساسية للمرونة العصبية (neuroplasticity) المعتمدة على الوظائف المعرفية وأنظمة الدماغ التي تخدمها والتغيرات العصبية المرنة التي تحدث في الدماغ ثنائي اللغة. ويحظى علم التشريح العصبي (neuroanatomy) لثنائية اللغة باهتمام كبير في علم أعصاب اللغة وفي فهم المزايا المعرفية والدماغية المحتملة لتعلم لغات متعددة. ومع ذلك، يبقى البحث في آثار هذا الموضوع على الدماغ عند تعلّم أكثر من لغة واحدة، قليلا جدا. ومع ذلك، فإن التطورات الحديثة في تقنيات التصوير العصبي والأساليب التحليلية أدت إلى تكاثر نتائج علم الأعصاب فيما يتعلق بتأثير ثنائية اللغة على الدماغ البشري. نستعرض هنا نتائج مجموعة من الأبحاث والدراسات التي تدمج النماذج النظرية والنتائج التجريبية من اللسانيات وعلم النفس المعرفي، وعلم الأعصاب، لإثراء الفهم حول آثار ثنائية اللغة. ومن بين المقاييس العصبية المعرفية المستخدمة في الدراسات العصبية التصويرية للثنائية اللغوية سمك القشرة (cortical thickness) ومجالات معالجة اللغتين في الدماغ. والأسئلة التي يطرحها هذا الموضوع عديدة جدا، ومن بينها، هل يتماثل الدماغ ثنائي اللغة النامي بشكل أساسي مع الدماغ أحادي اللغة (في الموارد العصبية (neural resources) التي تدعم اللغة والإدراك)؟ وهل تسهم تجربة اللغة في الحياة المبكرة لثنائيي اللغة في تغيير أدمغتهم؟ وإذا كان الأمر كذلك، فكيف يؤثر عمر التعرض المبكر عند ثنائيي اللغة على التفعيل العصبي لها؟ وكيف يمكن أن تغير تجارب اللغة المبكرة في حياة الإنسان الأنظمة العصبية الكامنة وراء معالجة اللغة البشرية؟ وهل عمر التعرض للغتين يمكن أن يغير التنظيم العصبي في مناطق اللغة الكلاسيكية في الدماغ؟ وبالتالي، هل يظهر أحاديو اللغة وثنائيوها الذين تعرضوا للغة في وقت مبكر، وأيضا ثنائيو اللغة الذين تعرضوا لها في وقت متأخر سلوكا ونمط تنشيط عصبي متماثل أو مختلف أثناء المعالجة اللغوية؟ وهل يرتبط أي اختلاف بسن التعرض للغة عند ثنائييها؟ وهل للثنائية اللغوية مزايا؟

1. ماذا تعني الثنائية اللغوية؟

الأطفال متعلمون لغويون مرنون جدا. ينشأ الأطفال ثنائيو اللغة في ظروف مختلفة. فقد يولدون في أسر ثنائية اللغة، حيث يتحدث الوالدان لغات مختلفة، ويكون أحد الوالدين أو كلاهما ثنائي اللغة. يختار بعض الآباء الفرص التعليمية التي تعرض أطفالهم للغة ثانية، مثل توظيف مربية تتحدث لغة معينة أو تسجيل أطفالهم في برامج الانغماس اللغوي في المدرسة. كما ينشأ العديد من الأطفال في مجتمعات متعددة اللغات، حيث يتحدث الجميع تقريبا عدة لغات. قد تكون الهجرة أيضا سببا آخر شائعا لـثنائية اللغة في مرحلة الطفولة، وغالبا ما يتعلم الأطفال الذين ينتمون إلى الأسر المهاجرة لغة واحدة في المنزل ولغة أخرى خارج المنزل. وأخيرا، يكتسب بعض الأطفال ثلاث لغات أو أكثر والبعض الآخر، بدلا من تعلم لغات مختلفة، يتعرضون إلى صنفين ينتميان إلى نفس اللغة (Grosjean & Byers-Heinlein، 2018، ص. 14).

نميز كذلك في ثنائيي اللغة بين الأطفال الذين تعرضوا للغة في مرحلة مبكرة بعد الولادة والذين تعرضوا لها في مرحلة متأخرة (ثنائيو اللغة المبكرون) و(ثنائيو اللغة المتأخرون) من الأطفال و(ثنائيو اللغة البالغون). ويتحدد عمر الأطفال الصغار ثنائيي اللغة الذين تعرضوا لها مبكرا (من الولادة إلى سن 3 سنوات) مقارنة بالأطفال ثنائيي اللغة الذين تعرضوا لها لاحقا (من 4-6 سنوات) (Jasinska and Petitto، 2013، ص. 87) أو الذين تعلموا اللغة الثانية بعد تحقيق الكفاءة في لغتهم الأولى خلال مرحلة الطفولة المبكرة (4-7 سنوات) أو في مرحلة الطفولة المتأخرة (8-13 سنة)، كما جاء ذلك عند (Judit Navracsics، 2019، ص. 34). وعملية ونتائج اكتساب اللغة ومعالجتها تظهر بشكل مختلف إلى حد ما في هاتين المجموعتين (الأطفال والبالغون). وأحد الأسباب المهمة هو أن هناك أدلة كبيرة على وجود فترة حساسة لاكتساب اللغة، يتمكن الأطفال خلالها من إتقان اللغات بسهولة أكبر وبشكل كامل وهي مرحلة الطفولة المبكرة. وأحد الآثار المترتبة على ذلك هو أن بعض جوانب ثنائية اللغة في مرحلة الطفولة قد تكون مختلفة نوعيا عن ثنائية اللغة التي تبدأ في مرحلة البلوغ. ومن ناحية أخرى، وبغض النظر عن هذه المرحلة الحرجة لاكتساب اللغة،، يمكن للأفراد أن يصبحوا ثنائيي اللغة في أي مرحلة عمرية (Grosjean and Byers-Heinlein، 2018، ص. 18) فكيف يمكن تحديد الثنائية اللغوية؟

يعرف بلومفيلد Bloomfield (1933) الثنائية اللغوية باعتبارها التحكم في لغتين مثلما نتحكم في اللغة الأم. هاوجن (1969) Haugen أيضا، كان يدرك أن ثنائيي اللغة نادرا ما يكونون متساوين في إتقان لغتيهما بطلاقة، وأكد على إتقان اللغتين بتقييد أقل مما ذهب إليه بلومفيلد معتبرا أن الثنائية اللغوية تبدأ عند النقطة التي يمكن من خلالها لمتحدث إحدى اللغتين من أن ينتج كلاما تاما وهادفا في اللغة الأخرى. وإذا كان بعض الباحثين قد استمر في وصف ثنائيي اللغة من حيث الكفاءة اللغوية، فقد شدد البعض الآخر على عامل آخر هو استخدام اللغة. ومن ثمة عرّف وينريش (1953) Weinreich ثنائية اللغة على أنها ممارسة لغتين واستخدامهما بالتناوب، كما عرّفها ماكي (1962) Mackey، على أنها الاستخدام المتناوب للغتين أو أكثر عند الفرد نفسه. وهو التعريف نفسه الذي اعتمده معظم الباحثين، ومن بينهم جروجان (2013) Grosjean الذي عرّفها على أنها استخدام لغتين أو أكثر (أو لهجتين) في الحياة اليومية (Grosjean and Byers-Heinlein، 2018، ص. 5).

2. التغيرات البنيوية

2.1. سمك القشرة الدماغية (thickness Cortical) خلال الطفولة والمراهقة

بدأت الدراسات الحديثة في دراسة ثنائية اللغة، مثل ما جاء عند كاين وغيره وأرشيلا سويرت وغيره (Klein et al، 2014، Archila–Suerte et al، 2018) وآخرين، باستخدام السُمك القشري ومساحة المنطقة التي تقدم أدلة على أن هذه التقنيات يمكن توظيفها بنجاح في مجال ثنائية اللغة. ويعد سُمك القشرة الدماغية (Cortical thickness) مقياسا رئيسيا لبنية الدماغ فيما يتعلق بإتقان اللغة أو بالكفاءة اللغوية عند ثنائيي اللغة في مرحلة الطفولة. وربطت دراسات متعددة زيادة سمك القشرة بمستويات أعلى لنمو المهارة والتجربة. فحينما يبدأ شخص ما في تعلم لغة ثانية، تظهر تغيرات عصبية أولا في البنيات القشرية (cortical structures)، ثم في البنيات تحت القشرية (subcortical structures)، وأخيرا في مساحات المادة البيضاء (white matter). ويذهب عدد من الباحثين، أمثال فونا كيلي وغيره (2020) Vaughna Kelly إلى أن الأشخاص ثنائيي اللغة المبكرين لديهم قشرة دماغية أرق من الأشخاص أحاديي اللغة، وفي مرحلة المراهقة والبلوغ، يتغير النمط، حيث يصير لدى ثنائيي اللغة قشرة أكثر سمكا، خاصة في المناطق الجبهية والجدارية (frontal and parietal

regions) مقارنة بأحاديي اللغة المماثلين لهم في العمر. وقد فسر الباحثون هذه النتائج على أنها رقة قشرية متأخرة لدى المراهقين ثنائيي اللغة. وعند ثنائيي اللغة أيضا هناك بعض الأدلة على وجود علاقة بين سمك القشرة والمهارات اللغوية أثناء الطفولة. ففي عينة من الأطفال تتراوح أعمارهم ما بين 6 و13 عاما، لاحظ أرشيلا-سويرت وغيره (Archila-Suerte (2018 أن ثنائيي اللغة الإنجليزية والإسبانية من ذوي المهارات العالية في اللغة الإنجليزية لديهم قشرة أكثر سمكا في المناطق ذات الصلة باللغة في نصف الدماغ الأيسر (التلفيف الصدغي العلوي (superior temporal gyrus) والتلفيف الجبهي السفلي (inferior frontal gyrus) والتلفيف الجبهي الأوسط (middle frontal gyrus)، من العينة التي تضم ثنائيي اللغة الإسبانية والإنجليزية الذين لديهم مهارات أقل في الإنجليزية (Vaughna et al، 2021، ص. 1).

وفي دراسة طولية لفونا وغيره شملت عينة كبيرة من الأطفال (11 ,500 طفلا من 9 إلى 10 سنوات) بالولايات المتحدة ظهرت الاختلافات في سمك القشرة بين ثنائيي اللغة وأحاديي اللغة، مع الأخذ بعين الاعتبار التحكم في العمر، والجنس، وحالة البلوغ، ومعدل الذكاء غير اللفظي، ودخل الأسرة، وتعليم الوالدين، واستخدام إحدى اليدين. وكان لدى ثنائيي اللغة قشرة عصبية دماغية أرق من الأطفال أحاديي اللغة عبر شبكة واسعة من مناطق الدماغ. وكلما كانت لائحة مفردات الانحليزية غنية عند ثنائيي اللغة كانت القشرة أكثر سمكا (مثل أحاديي اللغة) في مناطق الدماغ اللغوية، بما في ذلك التلفيف الصدغي الجانبي العلوي (bilateral superior temporal gyri) والمناطق الجبهية اليسرى. وظهر عند ثنائيي اللغة الذين يستعملون قدرا كبيرا من الإنجليزية مع العائلة والأصدقاء، مقارنة بلغتهم الأخرى، سمك كبير في القشرة (مثل «أحاديي اللغة») في المناطق المرتبطة باللغة والتحكم المعرفي، بما في ذلك القشرة الحزامية الأمامية (anterior cingulate cortex)، والفصيص الجداري السفلي (inferior parietal lobule)، والتلفيف الجبهي العلوي (superior frontal gyrus). وهي نتائج تبرز أهمية فهم التشريح العصبي لثنائية اللغة من خلال التركيز على التباين عند ثنائيي اللغة بدلا من مجرد المقارنة بين ثنائيي اللغة وأحادييها (Vaughna et al، 2021، ص. 9). كما أظهر استخدام هؤلاء الأطفال المزيد من اللغة الإنجليزية، مقارنة بلغتهم الأخرى (الإسبانية)، مع العائلة والأصدقاء، قشرة أكثر سمكا في الفصيصات الجدارية السفلية في الجانبين (bilateral inferior parietal lobules) والقشرة الحزامية الأمامية اليسرى

(left caudal anterior cingulate cortex)، وفي التلفيف الجبهي العلوي (superior frontal gyrus)، والفصيص الجداري العلوي (superior parietal lobule) والتلفيف المركزي الأمامي الأيمن (right precentral gyrus) والتلفيف المجاور للحصين (parahippocampal gyrus) وعلى عكس ذلك، كان ارتفاع المفردات الإنجليزية لدى ثنائيي اللغة مرتبطا بقشرة أكثر سمكا في التلفيف الصدغي العلوي في الجانبين (bilateral superior temporal gyri)، والتلفيف الجبهي الأوسط الذيلي والمنقاري الأيسر (left caudal and rostral middle frontal gyrus)، وفي الجزء الوصادي (pars opercularis) (Vaughna et al، 2021، ص. 4)، بالإضافة إلى جزء من التلفيف الجبهي السفلي، والتلفيف المركزي الأمامي، والتلفيف الصدغي السفلي الأيمن، والتلفيف الصدغي الأوسط، والتلفيف فوق الهامشي (supramarginal gyrus) مع حجم أكبر لوحظ في التلفيف الصدغي العلوي الأيمن. ويزداد سمك القشرة في أول بضع سنوات من الحياة، ثم ينخفض بشكل مطرد اعتبارا من سن الخامسة أو السادسة تقريبا حتى مرحلة البلوغ، وهو ما قد يعكس انخفاضا في المادة الرمادية مدفوعا بموت الخلايا أو التشابك والتقليم، أو قد يكون مدفوعا بزيادة في المادة البيضاء. وهذا الانخفاض المستمر طوال فترة الطفولة والمراهقة والبلوغ يفسره نمو الدماغ، حيث قد تشير القشرة الرقيقة إلى نمو دماغي أكثر نضجا، وقد تعكس القشرة السميكة المرونة العصبية الممتدة (Vaughna et al، 2021، ص. 5). أما المراهقون ثنائيو اللغة فكانت لديهم قشرة أكثر سمكا من أحاديي اللغة في المناطق الجبهية والجدارية. وفي دراسة أخرى وجد دانلكيف وكرافنيك (2020) Danylkiv and Krafnick أن الأطفال ثنائيي اللغة الذين كانوا يستخدمون الإنجليزية أكثر من استخدامهم للغتهم الأخرى، مع عائلاتهم وأصدقائهم، لديهم قشرة أشد سمكا في المناطق الجبهية والجدارية. تتوافق هذه المناطق بشكل جيد مع شبكة مناطق الدماغ المشاركة في التحكم في اللغة والتحكم المعرفي، وتحديدا القشرة الحزامية الأمامية (anterior cingulate cortex)، والفصيص الجداري السفلي (inferior parietal lobule)، والتلفيف الجبهي العلوي. وهذه من الأدلة الأولى التي تشير إلى أن مناطق الدماغ هذه مرتبطة باستخدام اللغة عند ثنائي اللغة في مرحلة الطفولة. وهي تؤكد أيضا ما جاء في الدراسات السابقة. وبعبارة أخرى، ارتبط الاستخدام الأعلى للغة الإنجليزية والمفردات لدى ثنائيي اللغة بزيادة السمك القشري كما هو الحال عند «أحاديي اللغة» في مناطق الدماغ

المرتبطة باللغة ومناطق الدماغ المرتبطة بالتحكم. وعندما استعمل الأطفال ثنائيو اللغة في هذه العينة (عينة دانلكيف وكرافنيك) اللغة الإنجليزية وفهموها بصورة أكبر، ظهرت أدمغتهم مماثلة بشكل كبير للأطفال أحاديي اللغة الإنجليزية (Danylkiv and Krafnick، 2020، ص. 6).

2.2. علاقة سمك القشرة (cortical thickness) بعمر اكتساب اللغة الثانية

في دراسة لكلاين وغيره (Klein et al (2013. اهتم الباحثون بدراسة العلاقة بين بنية الدماغ وعمر اكتساب اللغة الثانية لدى المشاركين ثنائيي اللغة، وذلك باعتماد مراقبة العمر الزمني وإتقان اللغة وسنوات التعرض للغة الثانية. وانسجاما مع نتائج المقارنات بين المجموعات، كشف تحليلهم آثار عمر الاكتساب على سمك القشرة (cortical thickness). إن عمر اكتساب اللغة والسمك القشري يرتبطان بشكل إيجابي في التلفيف الجبهي السفلي الأيسر عند ثنائيي اللغة، وكلما كان اكتساب اللغة الثانية في مرحلة متأخرة بعد أن يكون الفرد قد أتقن لغته الأولى، كلما كان سمك القشرة لديه أكبر. كما أن هناك علاقة سلبية مهمة بعمر الاكتساب شوهدت أيضا في التلفيف الجبهي السفلي الأيمن عند ثنائيي اللغة؛ إذ كلما تعلموا اللغة الثانية في وقت متأخر، كلما أصبحت القشرة الجبهية اليمنى أرق. أما المنطقة الثانية الوحيدة التي تظهر ارتباطا كبيرا بعمر اكتساب اللغة الثانية فهي الفص الجداري العلوي الأيسر، حيث يزداد سمك القشرة كلما كان اكتساب اللغة الثانية متأخرا (Klein، 2013، ص. 5).

كما أظهرت هذه الدراسة حول أحاديي اللغة وثنائييها أن اكتساب لغتين مقارنة بلغة واحدة ليس له أي تأثير إضافي على نمو الدماغ عندما يكون اكتسابهما متزامنا. ومع ذلك، تعلم لغة ثانية بعد إتقان اللغة الأولى (اللغة الأم) يغير في بنية الدماغ. أما اكتساب اللغة الثانية في وقت متأخر من مرحلة الطفولة فيظهر زيادة في سمك القشرة الجبهية السفلية اليسرى في حين تكون القشرة الجبهية السفلى اليمنى أرق. وفي دراسة لـهول وفيد (Hull and Vaid (2007 بدا أن ثنائيي اللغة الذين اكتسبوا لغتين في سن السادسة، أظهروا مشاركة كلا نصفي الدماغ في كلتا اللغتين، في حين أن أولئك الذين اكتسبوا لغتهم الثانية بعد سن السادسة أظهروا تحكما لنصف الدماغ الأيسر على اللغتين، أما الأفراد الأقل إتقانا للغة الثانية التي اكتسبوها في وقت متأخر، فقد ارتفعت لديهم الجانبية الوظيفية في النصف الأيسر. وقد يحفز اكتساب اللغة الثانية، باعتبارها مهارة جديدة بعد مرحلة الطفولة، تغييرات بنيوية محددة في

مناطق الدماغ التي تتطلبها المهمة، وبالتحديد في المناطق الجبهية السفلية اليسرى والمنطقة الجدارية العلوية، وهو ما يحفز نموا عصبيا جديدا ووصلات عصبية كما هو الحال في اكتساب المهارات الحركية المعقدة الأخرى، مثل ألعاب الخفة. ومن غير المرجح أيضا أن يكون هناك أي اختلافات في النسبة بين الجنسين (Klein et al، 2013، ص. 5).

3. 2. تأثير عمر اكتساب لغة ثانية على بنية الدماغ

يرى كوفلمان وغيره (2008) أن اختلاف التنشيط بين ثنائيي اللغة وأحادييها يفتح باب التساؤل حول ما إذا كان هناك احتمال وجود «توقيع عصبي» (neural signature) للثنائية اللغوية. قد يوفر التنشيط المتباين كذلك نافذة على إمكانات المعالجة اللغوية التي لا توظف في أدمغة أحاديي اللغة والكشف عن الأهمية البيولوجية للبنية العصبية الكامنة وراء كل اللغات البشرية (Kovelman et al، 2008، ص. 1). كما تشير الأبحاث إلى تأثير العمر الذي تُكتسب فيه لغة ثانية على بنية الدماغ. وتحديدا، تشير نظريات مثل الفرضية الحسية الحركية (sensorimotor hypothesis) عند هيرناندیز ولي (2007) Hernandez and Li إلى أنه عندما تتعلم لغة ما في مرحلة الطفولة، فإنها تبدأ من مستوى المعلومات الحسية المنخفضة إلى الكلام المعقد، بنفس الطريقة التي يستخدم بها أي متكلم فطري لغته. وفي الدماغ، حينما تتعلم اللغات في وقت مبكر جدا، تكون مرتبطة في مرحلة مبكرة من النمو بمناطق، مثل البنيات تحت القشرية والقشرة السمعية الأولية. أما اللغات التي يتم تعلمها لاحقا، فقد ترتبط بدلا من ذلك بمناطق الدماغ التي تشارك في الوظائف المعرفية العليا، مثل الفص الجبهي (Vaughna، 2021، ص. 9). والسؤال: هل يشبه الدماغ ثنائي اللغة النامي بشكل أساسي الدماغ أحادي اللغة (فيما يتعلق مثلا بالموارد العصبية التي تدعم اللغة والإدراك)؟ أو هل أسهمت تجربة اللغة في الحياة المبكرة لثنائيي اللغة في تغيير أدمغتهم؟ إذا كان الأمر كذلك، فكيف يؤثر عمر التعرض ثنائي اللغة لأول مرة على التفعيل العصبي للغة؟

قام ياسينكا وبيتيتو Jasinskaa and Petitto بمقارنة كيف يقوم الأطفال ثنائيو اللغة وأحاديوها (الذين تتراوح أعمارهم بين 7 و10 سنوات) وأيضا البالغون بتوظيف مناطق الدماغ أثناء معالجة الجمل باستخدام الأشعة تحت الحمراء القريبة الوظيفية (functional Near Infrared Spectroscopy) للتصوير الطيفي (fNIRS) للدماغ.

وكان من بين المشاركين الأفراد ثنائيو اللغة الذين تعرضوا لها مبكرا (منذ الولادة) والأفراد الذين تعرضوا لها لاحقا (التعرض ثنائي اللغة بين الأعمار 4–6). أظهر كل من الأطفال والبالغين ثنائيي اللغة نشاطا عصبيا أكبر في النصف الأيسر من الدماغ في مناطق اللغة الكلاسيكية، بالإضافة إلى الجهة المماثلة في النصف الأيمن من الدماغ في التلفيف الصدغي العلوي الأيمن (Right Superior Temporal Gyrus)، والتلفيف الجبهي السفلي الأيمن (Right Inferior Frontal Gyrus) (Petitto and Jasinskaa، 2013، ص. 87).

إن إتقان اللغة يمكن أن يؤثر على المعالجة العصبية. ولقد وجد أيضا كل من **ياسينكا وبيتيتو** أن الأطفال ثنائيي اللغة الذين تعرضوا لها في وقت مبكر أظهروا نمطا مختلفا من التنشيط العصبي بالمقارنة مع الأطفال ثنائيي اللغة الذين تعرضوا لها لاحقا، والذين أظهروا توظيفا عصبيا أكبر في مناطق اللغة الكلاسيكية (منطقة بروكا في التلفيف الجبهي السفلي الأيسر، والتلفيف الصدغي العلوي الأيسر) ومناطق الإدراك العام (القشرة الجبهية الأمامية الظهرانية الجانبية) (DLPFC) مقارنة بثنائيي اللغة الذين تعرضوا لها في وقت مبكر، وفي المنطقة الجبهية القطبية (Frontopolar area) مقارنة بالأطفال أحاديي اللغة. أما البالغون ثنائيو اللغة فيظهرون نشاطا عصبيا أكثر قوة في النصف الأيسر (في التلفيف الجبهي السفلي والتلفيف الصدغي العلوي) وفي النصف الأيمن من الدماغ (في التلفيف الجبهي السفلي وفي الفصيص الجداري السفلي) مقارنة بالبالغين أحاديي اللغة. ولا يختلف البالغون ثنائيو اللغة عن أحادييها في نشاط الفص الجبهي (Jasinskaa and Petitto، 2013، ص. 95).

ويحدث التعرض المبكر للغة ثانية تغييرات جوهرية على مناطق اللغة الكلاسيكية، بدلا من التغييرات على مناطق الدماغ التي تحكم الوظائف التنفيذية المعرفية العليا (higher cognitive executive functions). ويبقى عمر التعرض المبكر للغة ثانية أمرا مهما. إن التعرض للغتين في وقت مبكر من الحياة يمكن أن يحدث تغييرات بنيوية في الدماغ (Mechelli et al، 2004) وتغيرات في أنماط التنشيط العصبي(Jasinskaa and Petitto، 2013، ص. 87) أثناء معالجة اللغة داخل المناطق اللغوية الكلاسيكية، في نصف الدماغ الأيسر والأيمن (التلفيف الجبهي السفلي الأيسر والتلفيف الصدغي العلوي الأيسر). وتحكم النصف الأيسر من الدماغ لا يعني أن النصف الأيمن لا يشارك في معالجة اللغة. فمثلا، النصف الأيمن يشارك في معالجة الجملة ودمج

للمعلومات الدلالية. وبينما يمر الدماغ بتغيرات نضجية (maturational) تدعم نمو اللغة، هل سيُظهر الأطفال أحاديو اللغة وثنائيو اللغة أنماطا متماثلة أو أنماطا مختلفة من السلوك والتنشيط العصبي عند معالجة اللغة؟ وهل يرتبط أي اختلاف بسن التعرض للغة عند ثنائييها؟ (Jasinskaa and Petitto، 2013، ص. 88). توصف الأعمار من 3 إلى 5 سنوات عموما بأنها «متأخرة»؛ وذلك لأن الاختلافات الدقيقة في مستويات اللغة (على سبيل المثال، الصوتية والنحوية) لوحظت عند التعرض للغة جديدة بعد هذه الأعمار. وبالتالي، فإن معايير العمر «المبكر» و«المتأخر» هي نتيجة من نتائج البحوث التي تحقق في توقيت النضج ومعالم اكتساب اللغة. إن التعرض للغة ثانية مبكرا يخلف تأثيرا على التنظيم العصبي والقدرة على معالجة اللغة البشرية، وهناك أدلة قوية على أن سن التعرض للغة ثانية له جوانب سلوكية وآثار عصبية ناتجة عن معالجة اللغة ونتائج عالية في القدرة اللغوية. كما تم اقتراح أن التعرض المتأخر للغة ثانية يؤدي إلى مظهر عصبي مختلف عن التعرض المبكر حيث يظهر لديهم توظيف عصبي أكبر للفص الجبهي في الجانبين. كما وجد أن مستوى الكفاءة اللغوية يؤثر على نمط النشاط العصبي عند ثنائيي اللغة. أما ثنائيو اللغة منخفضو الكفاءة فيظهرون انخفاضا في النشاط في التلفيف الجبهي السفلي الأيسر مقارنة بـثنائيي اللغة من ذوي الكفاءة العالية في خصائص المعالجة الفونولوجية والصرفية والنحوية (Jasinskaa and Petitto، 2013، ص. 88).

3. المسارات التشريحية لثنائيي اللغة ومناطق التداخل اللفظي بين اللغات

أنجز ميشيلي وغيره اختبارا حول الاختلافات في كثافة المادة الرمادية والمادة البيضاء بين ثنائيي اللغة وأحادييها، شمل 25 شخصا أحادي اللغة من الذين تعرضوا قليلا أو لم يتعرضوا للغة ثانية و25 طفلا من ثنائيي اللغة «المبكرين»، الذين تعلموا لغة أوروبية ثانية قبل سن 5 سنوات والذين مارسوا هذه اللغة بانتظام منذ ذلك الحين، و33 من ثنائيي اللغة «المتأخرين»، والذين تعلموا لغة أوروبية ثانية ممن تتراوح أعمارهم بين 10 و15 سنة ومارسوها بانتظام لمدة 5 سنوات على الأقل (من نفس العمر والمستوى التعليمي). وقد تم الكشف عن زيادة في كثافة المادة الرمادية في القشرة الجدارية السفلية اليسرى لدى ثنائيي اللغة مقارنة بأحادي اللغة، والتي تكون أكثر وضوحا لدى ثنائيي اللغة المبكرين بدلا من ثنائيي اللغة المتأخرين، وقد أظهروا

أن الكثافة في هذه المنطقة تزداد مع إتقان اللغة الثانية ولكنها تتناقص مع زيادة عمر الاكتساب. ويمكن أن تنتج هذه التأثيرات عن عامل وراثي. كما توصلوا إلى أن بنية الدماغ البشري تتغير من خلال تجربة اكتساب لغة ثانية. وتتوافق المنطقة الجدارية السفلية المرتبطة باكتساب اللغة الثانية مع المنطقة التي أظهر التصوير الوظيفي أنها تُنشط أثناء مهام الطلاقة اللفظية (Mechelli et al، 2004، ص. 757). وقد حددت لورنا جارسيا بيتون وغيرها García-Pentón et al. شبكتين فرعيتين من المناطق المترابطة بواسطة المسارات التشريحية التي ترتبط بقوة في الأشخاص الذين يتحدثون لغتين في وقت مبكر مقارنة بأولئك الذين يتحدثون لغتين في مرحلة متأخرة وأحاديي اللغة. تحتوي هذه الشبكات الفرعية على مناطق الدماغ الجبهية اليسرى والمناطق الجدارية الصدغية، وقد وصف معظمها في الأدبيات باعتبارها ذات صلة باللغة. والمناطق الست المترابطة اليسرى المشاركة في الشبكة الفرعية هي المنطقة العازلة (insula) والتلفيف الصدغي العلوي (superior temporal gyrus) والجزء المثلث من التلفيف الجبهي السفلي (pars triangularis of the inferior frontal gyrus) والتلفيف فوق الهامشي (supramarginal gyrus) والتلفيف الجبهي العلوي الوسطي (medial superior frontal gyrus) والجزء الوصادي من التلفيف الجبهي السفلي (pars opercularis of the inferior frontal gyrus). كما لوحظ أن القشرة العازلة اليسرى أكثر نشاطا عند ثنائيي اللغة مقارنة بأحادييها وأيضا بالنسبة إلى الكفاءة العالية وذوي الكفاءة المنخفضة ثنائيي اللغة عند أداء مهام لغوية. وبشكل عام، تشارك القشرة العازلة اليسرى في التخطيط الحركي المفصلي وفي إنتاج أصوات الكلام غير المألوفة (مثل الكلمات الزائفة (García-Pentón) pseudowords، 2014، ص. 500) مقارنة بأصوات الكلام المألوفة (الكلمات). وبالتالي، فمن المحتمل جدا أن تطور هذه المنطقة اتصالات أقوى وإضافية مع مناطق لغوية أخرى بسبب المتطلبات الأكبر لتخطيط الكلام المتمفصل للغتين عند ثنائي اللغة. كما أن منطقتي الجزء المثلث من التلفيف الجبهي السفلي (pars triangularis) والجزء الوصادي من التلفيف الجبهي السفلي هما منطقتان لغويتان أظهرت العديد من دراسات التصوير العصبي الوظيفي نشاطهما الكبير لدى ثنائيي اللغة مقارنة بأحاديي اللغة أثناء أداء المهام اللغوية. وقد ارتبطت هاتان المنطقتان في سياق ثنائية اللغة بالتداخل اللفظي بين اللغات (García-Pentón et al، 2014، ص. 501). وفي حالة التلفيف الجبهي العلوي، تعد هذه المنطقة

جزءا من قشرة الفص الجبهي الظهرانية الجانبية، وهي منطقة مشاركة في التحكم في اللغة ومهمة الاحتفاظ الرئيسي بالمعلومات التي لها علاقة بالذاكرة العاملة. وهذا أمر مهم، لأن ثنائيي اللغة يقومون بالتبديل في كثير من الأحيان بين لغتين. وعموما، تشير هذه النتائج إلى أن الدماغ يتكيف بنيويا لتلبية المتطلبات اللغوية المتزايدة والتحكم في استخدام لغتين. كما أن الوظائف المعرفية ذات المستوى العالي، مثل اللغة، قد تتطلب المزيد من توظيف شبكات فرعية متخصصة. وأخيرا، أكدت لورنا جارسيا بيتون وغيرها أن اكتساب أكثر من لغة في وقت مبكر يحفز مرونة الدماغ، وتعديل، إلى حد ما، التنظيم البنيوي لعمل شبكة الدماغ (García-Pentón et al، 2014، ص. 503).

4. المادة الرمادية والتحكم في إحدى اللغتين

من المعروف أن حجم المادة الرمادية يتغير بشكل ملحوظ من الطفولة إلى مرحلة البلوغ. فقد أظهرت دراسات التصوير العصبي الوظيفي تغيرات في كثافة المادة الرمادية (GM) خلال مرحلة الطفولة والمراهقة، وزيادة في هذه الكثافة قبل البلوغ تليها زيادة بعد البلوغ. وكثافة المادة الرمادية في التصوير بالرنين المغناطيسي هي مقياس غير مباشر لقياس بنية معقدة من الخلايا الدبقية والأوعية الدموية والخلايا العصبية ذات العمليات التغصنية (dendritic) والمشبكية (synaptic) (Gogtay، 2004، ص. 8174). ومن المثير للاهتمام، أن القشرة الجبهية والقشرة الجبهية الأمامية الظهرانية تنضجان بالتزامن مع نضوج النخاع (myelination) في وقت لاحق، مما يدل على أن تقليم النخاع قد يحدث في كثير من الأحيان بالتوازي معهما. وقد يكون لهذه النتائج آثار سريرية. ومثال ذلك، أن التوحد (autism) يبدأ بالظهور قبل سن 3 سنوات، حيث تظهر تشققات في القشرة المخية في أول سنتين من العمر وتضخم في نسيج حجم المادة الرمادية (GM hyperplasia) في القشرة الصدغية والجبهية في عمر 4 سنوات، يليها معدل نمو أبطأ في هذه المناطق في عمر 7 سنوات. كما يظهر الفصام (schizophrenia) في مرحلة الطفولة في متوسط عمر 10 سنوات تقريبا، ويرتبط بتأخر لافت وضعف في نضج المناطق الصدغية والجبهية، الذي يتطور خلال فترة المراهقة (Gogtay، 2004، ص. 8178). وارتباطا بالثنائية اللغوية، يذهب مشيلي وغيره إلى أن تعلم لغة ثانية يزيد من كثافة المادة الرمادية في القشرة الجدارية السفلية اليسرى مقارنة بأحاديي اللغة، وتكون أكثر وضوحا لدى ثنائيي اللغة المبكرين مقارنة

بثنائيي اللغة المتأخرين، وأن الكثافة في هذه المنطقة تزداد مع إتقان اللغة الثانية وتتناقص مع زيادة عمر الاكتساب، وأن درجة إعادة التنظيم البنيوي في هذه المنطقة يكون حسب الكفاءة المكتسبة والعمر عند الاكتساب. وهذه المنطقة الجدارية السفلية المرتبطة باكتساب لغة ثانية تتوافق بالضبط مع المنطقة التي أظهر التصوير الوظيفي أنها تصبح نشطة أثناء مهام الطلاقة اللفظية. وإعادة تنظيم المادة الرمادية في هذه المنطقة يرتبط بالتغيرات في الخلايا العصبية، أو حجمها، أو التشجر التغصني أو المحوري (dendritic or axonal arborization). ويأتي تغير البنية في هذا السياق بالنظر إلى وظيفة التعلم ويتسع إلى مجالات أخرى غير لغوية (Mechelli et al، 2004، ص. 757). وهذا نفسه ما ذهب اليه أيضا اشتاين وغيره، الذين أشاروا إلى دراسة مهمة حول التغييرات البنيوية المرتبطة باكتساب اللغة الثانية في وقت مبكر (أقل من 5 سنوات) أو متأخر (ما بين 10 و15 سنة) مقارنة بأحاديي اللغة الإنجليزية. اكتشفت هذه الدراسة أن كثافة المادة الرمادية كانت أعلى في القشرة الجدارية السفلية اليسرى عند ثنائيي اللغة مقارنة بأحادييها. وكانت هذه الزيادة أكثر وضوحا عند الأشخاص ثنائيي اللغة المبكرين مقارنة بثنائيي اللغة المتأخرين (Stein et al، 2014، ص. 2). أما تشوغ ومن معه (Schug and al، 2022) فيذهبون في دراستهم حول «الاختلافات في حجم المادة الرمادية بين ثنائيي اللغة وأحادييها» إلى أن الأطفال ثنائيي اللغة تظهر لديهم المادة الرمادية أقل من الأطفال أحاديي اللغة في بعض مناطق الدماغ، من بينها تلك المرتبطة باللغة (Schug et al، 2022، ص. 4828). وخلافا لما جاء في الدراسات السابقة حول البالغين، والتي كان يتوقع من خلالها أن تكون كثافة المادة الرمادية أكبر عند ثنائيي اللغة المبكرين، مقارنة بأحاديي اللغة، فقد وجد ميشيلي وغيره (Mechelli et al، 2004)، أن القشرة الجدارية السفلية اليسرى (التلفيف الزاوي (angular gyrus)، 39 BA) تحديدا، تضم كمية أكبر من المادة الرمادية لدى البالغين ثنائيي اللغة المبكرين، مقارنة بأحاديي اللغة والذين تحدثوها في مرحلة متأخرة. ومن المثير للدهشة أن تشوغ وغيره وجدوا خلاف ذلك. فقد كانت كثافة المادة الرمادية عند الأطفال ثنائيي اللغة أقل منها عند الأطفال أحاديي اللغة في العديد من مناطق الدماغ الأيسر، بما في ذلك القشرة الجدارية السفلية (والتلفيف فوق الهامشي والتلفيف الزاوي) والتي لها دور بارز في اللغة والقراءة. فهل هذه الاختلافات تعكس التجربة في حد ذاتها عند ثنائيي اللغة أو تعزى إلى متغيرات أخرى تختلف

فيها المجموعات ثنائية اللغة عن أحادية اللغة. من المعروف أن تشريح الدماغ في قشرة بيريسلفيان اليسرى يختلف بين الذكور والإناث، ويتأثر بالعمر، ولكن الجنسين (الذكور والإناث) والأعمار، كل ذلك كان متطابقا عند دراسة الأطفال ثنائيي اللغة وأحادي اللغة. كما ظهر أن مناطق بيرسلفيان هذه تكون فيها المادة الرمادية أقل عند أولئك الذين يعانون من صعوبات القراءة وعسر القراءة النمائي (developmental dyslexia)، ولكن في أطفال مجموعات الدراسة هاته لم تكن توجد أي حالة تعاني من عسر القراءة. فكيف يمكن تفسير حالة الأطفال ثنائيي اللغة المبكرين الذين لديهم كثافة للمادة الرمادية أقل في التلفيف فوق الهامشي (الذي يمتد إلى التلفيف الصدغي العلوي) والتلفيف الزاوي؟ أظهرت دراسات الرنين المغناطيسي الوظيفي أن ثنائيي اللغة المبكرين يميلون إلى إظهار نشاط في نفس المناطق القشرية لبيريسيلفيان الخاصة باللغتين، في حين يُظهر ثنائيو اللغة المتأخرون قدرا أقل من هذا النشاط فيما يتعلق باللغتين. ويفترض أن القشرة اللغوية التي تضم لغتين، في ثنائيي اللغة، تختلف من حيث الحجم عن تلك التي تضم لغة واحدة فقط، كما هو الحال في أحاديي اللغة، والتوقع سيكون أن كثافة المادة الرمادية ستكون أعظم إذا ضمت لغتين، وهو ما لا يتناسب مع النتائج التي حصلها تشوغ ومن معه (Schug and al، 2022). وتفسير ذلك ربما يعود إلى أن ثنائيي اللغة المتأخرين لديهم مفردات أقل في كلا اللغتين كما ذهب إلى ذلك بليوستيك ومن معه (Bialystok and al، 2010)، في حين أنه عند اجتماع المفردات في كلا اللغتين سيظهرها أكثر نشاطا مقارنة بمفردات أحاديي اللغة. ويرتبط حجم المفردات إيجابا بالمادة الرمادية في التلفيف فوق الهامشي الأيسر لأحاديي اللغة (كما ذهب إلى ذلك لي ومن معه (Lee et al، 2022). وهذا ما يفترض أن يكون حجم المادة الرمادية أكبر عند ثنائيي اللغة، وهو مخالف مرة أخرى لما وجد في دراسة تشوغ ومن معه، الذين يقولون إن ملاحظتهم لا تقتصر على الأطفال، حيث إن المقارنة بين ثنائيي اللغة وأحادييها عندما تم الجمع بين الأطفال والبالغين (التأثير الرئيسي على اللغة) كشفت عن وجود حجم للمادة الرمادية أقل عند ثنائيي اللغة في التلفيف الصدغي العلوي الأيسر الذي يمتد إلى التلفيف فوق الهامشي. وسوف تحتاج الدراسات المستقبلية لدراسة الاختلافات بين ثنائيي اللغة وأحاديي اللغة المبكرين والتنشيط أثناء مهام لغوية محددة لتسليط المزيد من الضوء على ما اكتشفوه. كما وجدوا أن الأطفال ثنائيي اللغة لديهم اختلافات في حجم المادة

الرمادية مقارنة بالأطفال أحاديي اللغة، وبشكل عام ظهر المزيد من حجم المادة الرمادية في مناطق نصف الدماغ الأيمن والقليل من حجم المادة الرمادية في مناطق نصف الدماغ الأيسر، بما في ذلك المنطقة المرتبطة باللغة (Schug et al، 2022، ص. 4828).

5. هل للثنائية اللغوية فوائد ؟

ازدادت وتنوعت في السنوات الأخيرة كمية الأبحاث التي تبحث في مسألة التأثير المحتمل لثنائية اللغة على الذهن والدماغ. وقد فحصت هذه الدراسات الأفراد في جميع مراحل العمر واستخدمت مجموعة متنوعة من الأساليب السلوكية والتصويرية. وبسبب اتساع نطاق البحث، ولفهم مسار هذه التأثيرات على مدى العمر أيضا، سيعمل الباحثون على عرض الأدلة بشكل منفصل حسب الفئة العمرية لفهم مسار هذه التأثيرات على مدى الحياة لكل من الأطفال، والبالغين. إن فكرة أن ثنائية اللغة يمكن أن يكون لها آثار معممة على القدرة الإدراكية غير اللفظية، نشأت في الأبحاث التي أجريت على الأطفال. وبعد الاعتقاد السائد بأن ثنائية اللغة كان ضارا بالذكاء (مراجعة في هاكوتا. Hakuta، 1986)، أفادت دراسة أجراها بيل ولامبرت Peal and Lambert (1962) عن أداء أفضل للأطفال ثنائيي اللغة مقارنة بالأطفال أحاديي اللغة في كل من المهام اللفظية والمهام غير اللفظية. وقدمت هذه الدراسة أول دليل على أنه بدلا من أن تكون الثنائية اللغوية قوة سلبية، فإنه قد يكون لها نتائج إيجابية كبيرة بدلا من ذلك. وعلى الرغم من أن هناك مشاكل في دراسة بيل ولامبرت (قد لا تكون المجموعات اللغوية متكافئة في الوضع الاجتماعي والاقتصادي أو الذكاء، وكانت المقاييس عبارة عن اختبارات ذكاء واسعة النطاق)، إلا أن النتائج أثارت الاهتمام بإمكانية أن الثنائية اللغوية يمكن أن تؤثر على الإدراك غير اللفظي وأن التأثير قد يكون إيجابيا. ومع ذلك، فقد كانت دراستهما مفيدة في تقديم هذه المسألة كمجال مهم للبحث والتنظير. وركزت الأبحاث الأولية التي تلت دراستهما إلى حد كبير على تطور الوعي اللغوي لدى الأطفال أحاديي اللغة وثنائييها، حيث أفادت معظم الدراسات عن تطور مبكر أكبر عند الأطفال ثنائيي اللغة. ومع ذلك، فإن التركيز في هذه المراجعة سينصب على السلبيات المعرفية (Bialystok، 2017، ص. 6).

وهناك اتجاه حديث في الدراسات حول آثار ثنائية اللغة شملت الأطفال الرضع الذين ينشؤون في بيئات تُسمَع فيها منذ الولادة لغة واحدة أو أكثر. وقد لوحظ أنه إلى غاية عمر 7 أشهر تقريبا، يكون جميع الرضع حساسين للفروق الصوتية ذات الصلة بجميع اللغات الطبيعية، لكن الأطفال الرضع في البيئات ثنائية اللغة يحافظون على هذه الحساسية العامة لفترة أطول (Bialystok، 2017، ص. 5). وفي دراسة حديثة أجراها كل من فيرجان راميريز، وراميريز، وكلارك، وتولو، وكوهل Ferjan Ramirez, Ramirez, Clarke, Taulu, and Kuhl استخدم كوهل تخطيط الدماغ المغناطيسي (MEG) لتوثيق كيف أن دماغ الرضيع ثنائي اللغة يبقى حساسا للفروق الصوتية من لغات متعددة. وتركز المناقشات الحالية على إمكانية أن يكون لهذه الاختلافات البيئية في مرحلة الطفولة آثار قابلة للقياس على النتائج غير اللفظية. وتلتقي ثلاثة أنواع من الأدلة الحديثة على استنتاج أنها كذلك. النوع الأول من الأدلة يفحص الانتباه البصري للوجوه باعتباره مصدرا للمعلومات اللغوية في السنة الأولى من العمر. وبالإضافة إلى الحفاظ على الانتباه إلى الفروق الصوتية، فإن الأطفال الرضع في البيئات ثنائية اللغة قادرون أيضا على استخدام الإشارات البصرية عندما يتحول المتحدث إلى التحدث بلغة مختلفة، حتى في غياب المعلومات السمعية. والرضع أحاديي اللغة يستمرون في اكتشاف مثل هذه التغييرات حتى عمر 7 أشهر تقريبا، لكن الأدلة المستقاة من الرضع الذين يشاهدون مقاطع الفيديو الصامتة تظهر أن الأطفال ثنائيي اللغة يستمرون في القدرة على ملاحظة تبديل المتحدث للغة حتى عمر سنة واحدة (Bialystok، 2017، ص. 7-6). وخلافا لذلك، يفشل الأطفال أحاديو اللغة في اكتشاف التبديل اللغوي خلال السنة بأكملها. وبالتالي، فإن الأطفال الرضع الذين يبنون أنظمة تمثيلية للغتين يتعلمون أيضا أنهما مختلفتان ويمكن التمييز بينهما. وتأكيدا لهذه النتائج، استخدم بونس وبوش وليوكوفيتش (2015) Pons, Bosch, and Lewkowicz تتبع العين لإظهار أنه ابتداء من عمر 8 أشهر إلى 12 شهرا، يولي الرضع ثنائيو اللغة اهتماما أكبر لفم الوجه الناطق أكثر من العينين، في حين أن الأطفال الذين تربوا على لغة واحدة يولون عموما اهتماما أكبر بالعينين. وبحلول عمر12 شهرا لا يصير هذا الاختلاف موجودا. وفي النوع الثاني من الأدلة أظهرت دراسة أجريت على أطفال رضع بعمر 6 أشهر تربوا في بيئات ثنائية اللغة وشاركوا في مهمة التعود البصري أظهروا ترميزا أفضل للمحفزات وذاكرة تمييز أفضل من نظرائهم الذين

تربوا في بيئة أحادية اللغة. ومثل هذه النتائج تشير إلى مرونة أفضل في الانتباه لدى الرضع ذوي الخبرة ثنائية اللغة. وليس من المستغرب في نظر بيوتساك (2017) أن تؤدي الثنائية اللغوية إلى تغيير التمثيلات اللغوية وبنية الدماغ التي تكمن وراء اكتساب اللغة أو معالجتها. ومع ذلك، فإن الدليل الحالي يتجاوز هذه الآثار اللغوية وتقترح أن التجربة ثنائية اللغة تؤدي إلى تعديلات ليس فقط في بنية الدماغ ووظائفه المرتبطة بمعالجة اللغة، ولكن أيضا في تلك المناطق والعمليات المرتبطة بالأداء المعرفي غير اللفظي. وبالتالي، فإن الحجة هي أن ثنائية اللغة هي تجربة ذات قدرة على تعديل الدماغ والأنظمة الإدراكية بشكل عام (Bialystok، 2017، ص. 3). وفيما يتعلق بالبالغين قام كلاين وكريستي وباركفال (2016) بفحص نسبة الإصابة بمرض الزهايمر في 93 دولة صنفت وقُيمت من حيث متوسط عدد اللغات التي يتحدث بها السكان. وقد وجدوا انخفاضا كبيرا في معدل الإصابة بمرض الزهايمر مع زيادة تعدد اللغات بين السكان (Bialystok، 2017، ص. 247). وعلى هذا النحو يبدو أن الثنائية اللغوية تسهم في الحماية من الشيخوخة. وهناك نظريات مختلفة حول كيفية تطور هذه الفوائد نفسها والمكاسب المقترحة لتعلم لغة ثانية والتي تقترن ببعض التحذيرات، ومن ذلك مثلا، أن عمر اكتساب اللغة له دور قوي في التغيرات المعرفية والدماغية المرتبطة بالثنائية اللغوية والانغماس في اللغة المتعلمة، مما قد يؤدي إلى التغيرات البنيوية التي قد تلاحظ في الدماغ. ومع ذلك، لا توجد دراسات للأطفال تظهر أن بنيات الدماغ تتأثر بتجربة الثنائية اللغوية المبكرة وأن اللغتين تؤديان دورا رئيسيا فيما يتعلق بالنمو الأكاديمي والاجتماعي (Danylkiv and Krafnick، 2020، ص. 1). وقد نوقشت فوائد تعلم لغات متعددة بشكل مطول في (Bialystok، 2017) وأيضا أنطونيو (2019) Antoniou الذي ناقش موضوعات تشمل الفوائد المعرفية العامة، وتعزيز المرونة العصبية، ورأى أنه من المقبول أن تغير ثنائية اللغة الدماغ. وهذه التغيرات في الدماغ تشير إلى اللدونة المعتمدة على الخبرة والتي تكون لها آثار على وظائف الدماغ في المستقبل؛ إذ تتأثر العديد من البنى والشبكات الدماغية، بما في ذلك البنى والشبكات الحيوية للوظائف التنفيذية والمناطق الدماغية التي تخدم التحكم الإدراكي، والتي من بينها التلفيف الجبهي السفلي الأيسر، والقشرة الحزامية الأمامية، والفص الجداري السفلي، والعقد القاعدية، وخاصة البوتامين، والنواة المذنبة اليسرى، والمخيخ. كما يظهر ثنائيو اللغة كثافة أكبر للمادة الرمادية (أجسام

الخلايا والخلايا العصبية). وترتبط الكثافة الكبيرة بالقدرات والمهارات المختلفة عند ثنائيي اللغة مقارنة بأحاديي اللغة في العديد من شبكات الدماغ بما في ذلك الفصيص الجداري السفلي الأيسر (الذي يتغير حسب عمر الاكتساب والإتقان). كما يتمتع ثنائيو اللغة أيضا بسلامة أعلى للمادة البيضاء (حزم الألياف العصبية التي تربط مناطق الدماغ) أكثر من أحادي اللغة (Antoniou، 2019، ص. 403).

خاتمة

تناولنا في هذه الورقة ما جاء في مجموعة من الدراسات والأبحاث حول الثنائية اللغوية والفرق بينها وبين الأحادية اللغوية وآثار تعلم لغة ثانية على بنية الدماغ. وأظهرت نتائج هذه الأبحاث أن تعلم لغة ثانية بعد إتقان اللغة الأولى يعدل بنية الدماغ اعتمادا على العمر، والتجربة في حين أن اكتساب لغتين في وقت واحد ليس له أي تأثير إضافي على نمو الدماغ. وتوفر دراسات الأفراد الذين يختلفون من حيث تعلم لغة واحدة أو لغتين ومن حيث العمر فرصة فريدة لاستكشاف التأثير المحتمل للتنوع في الخبرة اللغوية المبكرة على تشكيل وظيفة وبنية الدماغ وقدرته على اللدونة. ويأتي القلق من عدم تجانس العينات في دراسات ثنائية اللغة والدماغ بسبب مجموعة من العوامل مثل سن الاكتساب وكيفية تعلم اللغة الثانية؛ إذ قد يؤدي التباين في اختيار العينات والمنهجية إلى عدم إمكانية تعميم النتائج في الدراسات. أما الدراسات التي تستخدم حجم المادة الرمادية وسمك الدماغ باعتبارهما أداتين للبحث في التشريح العصبي للثنائية اللغوية فقد ظهر فيما بينها الاختلاف حول كثافة أو قلة المادة الرمادية عند ثنائيي اللغة مقارنة بأحادييها. وبشكل عام، أدى هذا التباين بالإضافة إلى عدم تجانس عينات الدراسة ومنهجيتها إلى نقص دعم تشريحي واضح للنظريات الكبرى. كما تناولنا بعض الجوانب الإيجابية والسلبية التي وردت في بعض الأبحاث حول الثنائية اللغوية أو التعدد اللغوي وأثره على بنية الدماغ.

المصادر والمراجع

- Antoniou Mark. (2019). The Advantages of Bilingualism Debate. Annu. Rev. Linguist. 5: 395–415.
- Bialystok Ellen. (2017). The Bilingual Adaptation: How Minds Accommodate Experience. Psychol Bull. 143 (3): 233–262.
- Brendan Stuart, Jubin Abutalebi, Henry Ka-Fung Mak, Linda Zhang. (2018). Effect of monolingualism and bilingualism in the anterior cingulate cortex: a proton magnetic resonance spectroscopy study in two centers. Let. Hoje, v. 53, n. 1, p. 5-12.
- Brignoni-Pérez Edith| Anna A. Matejko | Nasheed I. Jamal | Guinevere F. Eden. 2021. Functional neuroanatomy of arithmetic in monolingual and bilingual adults and children. Hum Brain Mapp/ 42: 4880–4895.
- Danylkiv A and Krafnick AJ (2020) A Meta-Analysis of Gray Matter Differences Between Bilinguals and Monolinguals. Front. Hum. Neurosci. 14:146.
- García-Pentón Lorna, Alejandro Pérez Fernández, Yasser Iturria-Medina, Margaret Gillon-Dowens, Manuel Carreiras. (2014). Anatomical connectivity changes in the bilingual brain. NeuroImage 84/ 495- 504.
- Grosjean, F., & Byers-Heinlein, K. (2018). Bilingual adults and children: A short introduction. In F. Grosjean & K. Byers-Heinlein (Eds.), The listening bilingual: Speech perception, comprehension, and bilingualism (pp. 4–24). Hoboken, NJ: John Wiley & Sons.
- Gogtay Nitin, Jay N. Giedd, Leslie Lusk, Kiralee M. Hayashi, Deanna Greenstein, A. Catherine Vaituzis, Tom F. Nugent III, David H. Herman, Liv S. Clasen, Arthur W. Toga, Judith L. Rapoport, and Paul M. Thompson. 2004. Dynamic mapping of human cortical development during childhood through early adulthood. Proceedings

of the National Academy of Sciences, vol. 101- no. 21, pp. 8174–8179.

- Jasinskaa K.K., L.A. Petitto. (2013). How age of bilingual exposure can change the neural systems for language in the developing brain: A functional near infrared spectroscopy investigation of syntactic processing in monolingual and bilingual children. Developmental cognitive neuroscience: 6, 87- 101.
- Klein Denise, Kelvin Mok, Jen-Kai Chen, Kate E. Watkins. (2013). Age of language learning shapes brain structure: A cortical thickness study of bilingual and monolingual individuals. Brain & Language. p.1-5
- Kovelman Ioulia, Baker Stephanie A., and Petitto Laura-Ann. (2008). Bilingual and Monolingual Brains Compared: A Functional Magnetic Resonance Imaging Investigation of Syntactic Processing and a Possible "Neural Signature" of Bilingualism. J Cogn Neurosci; 20 (1): 153–169.
- Luk, Gigi. (2014). "Who Are the Bilinguals (and Monolinguals)?" Bilingualism: Language and Cognition 18 (01) (October 14): 35–36.
- Mechelli Andrea, J. Crinion, Uta Noppeney, John P O'Doherty. (2024). Structural plasticity in the bilingual brain: Proficiency in a second language and age at acquisition affect grey-matter density; Neurolinguistics: Structural plasticity in the bilingual brain; brief communications arising online ◗ www.nature.com/bca.
- Midrigan-Ciochina Ludmila, Kayla P. Vodacek, Srinija Balabhadra and David P. Corina. (2023). A comparison of structural brain differences in monolingual and highly proficient multilingual speakers Cambridge University Press.
- Midrigan-Ciochina, L., Vodacek, K.P., Balabhadra, S., & Corina, D.P.

(2024). A comparison of structural brain differences in monolingual and highly proficient multilingual speakers. Bilingualism: Language and Cognition, 27, 117–127.

- Navracsics Judit. (2019). How are the words of two languages stored in the bilingual brain? Annual Review of the Faculty of Philosophy, Novi Sad, Volume XLIV-1.
- Oiwi Parker Jones, David W. Green, Alice Grogan, Christos Pliatsikas, Konstantinos Filippopolitis, Nilufa Ali, Hwee Ling Lee, Sue Ramsden, Karine Gazarian, Susan Prejawa, Mohamed L. Seghier and Cathy J. Price. (2011). Where, When and Why Brain Activation Differs for Bilinguals and Monolinguals during Picture Naming and Reading Aloud. Published by Oxford University Press.
- Palomar-García María-Ángeles, Elisenda Bueichekú, César Ávila, Ana Sanjuán, Kristof Strijkers, Noelia Ventura-Campos, Albert Costa. (2015). Do bilinguals show neural differences with monolinguals when processing their native language? / Brain & Language 142: 36–44.
- Schug Alison K., Edith Brignoni-Pérez, Nasheed I. Jamal, Guinevere F. Eden. (2022). Gray matter volume differences between early bilinguals and monolinguals: A study of children and adults. Hum Brain Mapp. (2022); 43: 4817–4834.
- Stein Maria, Carmen Winkler, Anelis Kaiser, and Thomas Dierks. 2014. Structural brain changes related to bilingualism: does immersion make a difference? Frontiers in psychology, Volume 5, Article 1116: 1-7.
- Vaughna Kelly A., My V.H. Nguyenb, Juliana Ronderos, Arturo E. Hernandez. (2021). Cortical Thickness in bilingual and monolingual children: Relationships to language use and language skill. NeuroImage 243, 118560, p.1-11.

مسالك التركيب واندماج الأفضية

في نصوص مختارة من ديوان «ظمأ أزرق» لحوراء الهميلي

مقاربة نقدية في ضوء النحو الإدراكي

أ. د. عبدالرحمن حسن البارقي

جامعة الملك خالد - أبها - السعودية

ahalbargi@kku.edu.sa

https://orcid.org/0009-0004-4444-644X

الملخّص

تعد هذه الدراسة مواصلة لاشتغالنا بالمنحى الإدراكي، وروز أدواته التحليلية في مقاربة النصوص نقديًّا، وكنا قد أفدنا في بحث سابق (البارقي، 3202) من معطيات الدلالة الإدراكية في تحليل نص مسرحي، وأفدنا في بحث تال (يعد هذا الجزء مكملًا له) من معطيات النحو الإدراكي في مقاربة العنوان الرئيس لديوان ظمأ أزرق وعناوين قصائده (البارقي، 4202)، ونستكمل النظر في هذه الدراسة في نصوص الديوان نفسها وفق منظور النحو الإدراكي، وما يمدنا به من أدوات كاشفة يمكن الإفادة منها نقديًا؛ لمفاتشة النصوص وتحليلها، على اعتبار أن هذه النصوص شفرات نفك من خلالها التصورات الذهنية وسيرورات بنيتها.

وسنذكّر في بداية الدراسة بالإطار النظري للدراسة الذي تناولنا جانبًا منه في الدراستين السابقتين المشار إليهما، ونختزل الحديث عنه منهما، مع إضافة ما تجاوزنا الإلماح إليه فيهما كلما اقتضى الأمر لك.

الكلمات المفاتيح: اللسانيات الإدراكية- الدلالة الإدراكية- النحو الإدراكي- الفضاءات الذهنية - ظمأ أزرق.

COMPOSITIONAL PATHS AND BLENDING SPACES

IN SELECTED TEXTS OF THE COLLECTION OF POEMS: ZAMA'UN AZRAQ BY HAWRAA AL-HUMAILI

Prof. Abdulrahman Hassan Albariqi
King Khalid University – Abha – Kingdom of Saudia Arabia
ahalbargi@kku.edu.sa
https://orcid.org/0009-0004-4444-644X

ABSTRACT

This study can be regarded as a continuation of our work on the cognitive aspect, dealing with its analytical tools in approaching texts critically. We had previously benefited from the givens of cognitive semantics in analyzing a theatrical text in a preceding study, and we had benefited in another study (this study may be considered as a complement to it) from the givens of cognitive grammar to analyze the main title of the poetry collection, "Zama'un Azraq" by Hawraa Al-Humaili, and the titles of its poems. Further, the study will continue to examine the texts of the collection themselves in accordance with the perspective of cognitive grammar. This study can also approach what this poetry collection provides us with in terms of revealing tools that can be used critically, examining and analyzing the texts, considering these texts as codes through which we can decipher mental concepts, and process their structuration. At the beginning of the study, we will remind readers of the theoretical framework of the study, which we discussed in part in the two previous studies we referred to. Lastly, we will summarize the discussion, adding what we have not alluded to in these studies whenever necessary.

Keywords: Cognitive linguistics- cognitive semantics- cognitive grammar- mental spaces- Zama'un Azraq.

1. المقدمة، والإطار النظري:

كنا قد عمدنا في الجزء السابق من هذا العمل إلى تقديم إطار نظري ضابط للعمل والأدوات التي يجري بها تحليل عناوين ديوان «ظمأ أزرق»، وسنستعين بالأدوات نفسها التي كنا قد ألمحنا إليها هناك، وسنعيد في هذا الجزء التذكير بالنحو الإدراكي، والتذكير بتلك الأدوات بقدر الحاجة، مع إضافة مالم يتسع له المجال هناك. ثم ندلف بعدها إلى تحليل نماذج من نصوص الديوان.

تحدثنا في البارقي (2023) أنّه يمكن استثمار اللسانيات الإدراكية في الجانب الأدبي النقدي، وذلك لما تمتلكه من أدوات تحليلية علمية ربما لا تتوافر لغيرها بالقدر نفسه، واشتغلنا هناك على مسرحية (الرجل والسلاح) لبرنارد شو (Shaw Bernard)، وحاولنا مقاربتها وفقًا لمعطيات الدلالة الإدراكية وبخاصة أعمال روش(Rosch) وليكوف (Lakoff) وجونسون (Johnson)، فيما يتعلق بالمقْولة، والاستعارة المفهومية. وفي سبيل مزيد من الإفادة والاستثمار تناولنا في البارقي (2024) موضوعًا شعريّا بأدوات لسانية إدراكية في منحى النحو الإدراكي على وجه التحديد، وكان موضوع التحليل هو عناوين ديوان (ظمأ أزرق) للشاعرة حوراء الهميلي، محاولين استثمار أهم أدوات النحو الإدراكي كما ظهرت لدى أعلامه، وبخاصة تالمي (Talmy) وفوكونييه (Fauconnier) وتورنر (Turner)، واستعان التحليل حينئذ بمفاهيم النحو الإدراكي من مثل: الأفضية الذهنية واندماجها، والتخصيص، والتبئير، والبروز، والمنظور، وما تستتبعه من مفاهيم أخرى كالشكل والخلفية (Talmy، 2000، ص. 311) أو الأمامية والخلفية (لانقاكر، 2018، ص. 103) وما إلى ذلك، وفي سبيل تعميق النظر واختبار الأدوات النحوية الإدراكية تُقارِبُ هذه الدراسة نصوصًا مكتملة من الديوان نفسه.

ولعلنا بهذه المحاولة نبتعد بعض الشيء عن الجمل المفردة والمعزولة التي جرت العادة على تحليل طرائق انبناءاتها التصورية، واقتربنا من النصوص المكتملة التي نتوقع أن تضيف شيئًا إلى فهمنا لسيرورات بنينة التصورات التي هي اهتمام مركزي في الإدراكيات بوجه عام.

1-2- النحو الإدراكي (grammar Cognitive):

تتسع الدلالة الإدراكية لتستوعب النحو الإدراكي، فليس النحو معزولا ضمن التصور الإدراكي، بل هو منضوٍ في الدلالة الإدراكية، ومن ثم نجد لانقاكر

(Langacker) يشير إلى هذا المعنى غير مرة، وفي غير كتاب من كتبه عبر استدعاء البعد الدلالي الإدراكي (Langacker، 2009، لانقاكر، 2018). بل إنه يقول: «لوصف وجهة نظر النحو الإدراكي بالتفصيل للتركيبات النحوية، لابدّ أولاً من تقديم بعض المفاهيم الأساسية المتعلقة بالبنية الدلالية» (Langacker، 2009، ص. 6)، ويقول في مكان آخر إنّ قدرتنا على توصيف النحو مرهونة بتصورنا للمعنى؛ وذلك لأنّ النحو ذو معنى «فهو، عوض أن يكون مستقلاً بذاته، يكمن في القوالب الخطاطية المجرّدة للتنضيد المفهومي وللترميز. ولهذا السبب، نكون في حاجة إلى **علم دلالة مفهوميّة. فلا يمكننا أن نصف النحو بطريقة كاشفة دون أن توصف الأبنية المفهومية** التي يتضمنها توصيفا محكوما بالمبادئ وجليا إلى حد معقول» (لانقاكر، 2018، ص. 57).

وسنجد في المقابل استدعاء لبعض المفاهيم النحوية الإدراكية كمفهوم الفضاء والمزج مثلا (ليكوف وجونسون، 2018، ص ص. 269–272). إذن نحن أمام علاقة تفاعلية بين الحقلين، بما يعني أن العزل التام بينهما غير متصور، وإنْ استقل كل حقل بجملة من الاهتمامات، والعدة المصطلحية عن الآخر، إلا أن مركزية سؤال المعنى في الحقلين يظل يشد أحدهما إلى الآخر، وفي هذا المنحى يعرض لانقاكر جملة من الأسئلة الأساسية في النحو الإدراكي، وهي أسئلة كما نلاحظ تدور على المعنى وانبنائه نحويًا، وسنعرض لها في النقاط التالية على نحو موجز؛ إذْ كنا قد عرضنا لها قبلًا في البارقي (2024).

1–2–1: أسئلة أساسية في النحو الإدراكي[1]:

أسئلة النحو الإدراكي هي أسئلة معنى، وسؤال المعنى سؤال قديم قدم الفلسفة، لكن الذي يحاول أن يتمفصل به النحو الإدراكي هو طريقة الإجابة عن أسئلة المعنى هذه، وفي ما يلي أهم الأسئلة كما عرضها لانقاكر:

1–2–1–1: أين يمكن العثور على المعاني؟

بوجه عام ثمة احتمالان: إما أن تكون المعاني داخل الذهن، وإما أن تكون خارج الذهن، ومن المعلوم أن الإدراكيات أقل تصلدًا من الأفكار المحاقلة التي قد تفضّل أحد الخيارين بشكل صارم ونهائي، ولأن الإدراكيات كذلك، فهي تفسح مجالًا لاحتمال التداخل بين الأمرين، ومن ثَم افترقتْ عن التوليدية (مع إيمانها بالذهنية) وأقامت اعتبارًا لما هو خارج الذهن، فاعترفت بالتجربة الجسدية، واعترفت

(1) نوجز تلك الأسئلة من لانقاكر (2018)، (ص ص. 57–91).

بالاستعمال الوظيفي للغة (Green and Evans، 2006، ص. 758)، بمعنى أنها كسرت فكرة الثنائية، وتمفصل الذهن عن الجسد، وأتاحت فرصة لوجود جدلية بينهما وتفاعل من شأنه بنْيَنَة الأنساق التصورية؛ فالمعنى وإن يكون موجودًا في الذهن فهو ليس معزولًا عن تجربة الإنسان الجسدية، وليس معزولًا تمامًا في الذهن الفردي، بل هو منفتح كذلك على الذهن الجمعي (على أنّ المعرفة الجمعية في المحصلة هي معارف أفراد)، وللسياقات الخارجية تأثيرها في بناء المعنى وتسويته؛ فنحن نستجيب ونتفاعل وفقًا لمعطيات سياقية معينة تشكّل هذا المعنى أو ذاك!

ويتصل بما نحن فيه سؤال إستاتيكية المعنى وديناميكيته، وهنا يحضر مصطلح المَفْهَمَة (conceptualization) عند لانقاكر؛ ليحرك ما عساه أن يكون سكونية في المفاهيم (لانقاكر، 2018، ص. 61)، وليجيب به عن سؤال أين تكمن المعان؟ بأنها تكمن في المَفْهمة (لانقاكر، 2018، ص. 80)، ويتحدث فيها عن السكونية/ الحركية، والتخييلية بما فيها «الاستعارة، والمزج، والتخيلية، وبناء الفضاء الذهني» (لانقاكر، 2018، ص. 80).

وخلاصة القول إن منظور النحو الإدراكي لا يُقرّ تلك المفاصلة الحادة بين المحلّية والتوزّعية، والسكونية والحركية، والذاتية والموضوعية، وما شاكل هذه الثنائيات التي تثار حين يُدرس المعنى، بل نراه ينحو نحو النسبية، وهو منظور مهم (فيما نرى)؛ لأنه يدرك طبيعة اللغة ويعترف بروافدها، ويتقبّل احتمالاتها المختلفة.

1-2-1-2: مم تتكون المعاني؟ (لانقاكر، 2018، ص ص. 62-70)

حاول لانقاكر كما رأينا في النقطة السابقة أن يستعين بالمفهمة؛ ليجيب عن سؤال (أين تكمن المعاني؟)، ولمحاولة إعادة الصياغة لقضية المعنى (2018، ص. 62). لكنّ المقلق في الأمر أن المفهمة ذاتها يجللها الغموض إذا ما ووجهت بأسئلة من مثل: «ما هي طبيعتها العامة وخصائصها المميزة؟ وأيّ منهج نتبع في البحث في شأنها؟ وكيف نصفها؟» (لانقاكر، 2018، ص. 62)، ومن ثم يحيلنا لانقاكر على الأمل بأن التقدم المطرد في دراسات النحو الإدراكي سيفضي إلى تصور منسجم ومقبول لها (لانقاكر، 2018، ص. 62). وإلى أن يتحقق ما يأمله لانقاكر يلوذ البحث الإدراكي بافتراضات ومقترحات قد يثبت البحث العصبي خطأها أو صحتها أو نسبيتها، ومهما يكن الأمر فإن لانقاكر يقترح في هذا الصدد «أنّ أيّ ترتيب مفهومي، أو اهتداء ذهنيّ متتابع **يقتضي** ترتيباً تسلسليًا في **المعالجة** التي تكوّنه» (لانقاكر، 2018، ص. 63)،

ويضرب لذلك مثالًا بالألفبائية، حيث يكون المرور على الحروف بشكل متتابع، وكأنّ كل حرف يُهيّئ للحرف الذي يليه، أوينبئ عنه، والعمليات العصبية الذهنية المعالِجة هي التي هيأت لهذا التسلسل على هذا النحو المنسجم.

وكأن لانقاكر من خلال هذا المثال يريد أن يبرز جانب التراتبية الزمنية، بمعنى أنّ العمليات العصبية لا تنشط في وقت واحد عندما يُراد سرد الألفبائية، وإنما تنشط كل عملية في وقتها، وبعد سابقتها (2018، ص. 63). ويسوِّغ فكرته هذه من خلال معالجة الجمل التي تأتلف من الكلمات ذاتها، لكن المعنى يختلف باختلاف ترتيب تلك الكلمات في جمل، ويعطي مثالًا موضِّحًا بالجملتين أدناه (لانقاكر، 2018، ص. 64).

أ- يمتدّ صفٌّ من الأشجار من الطريق السيّارة إلى النهر.

ب- يمتدّ صفٌّ من الأشجار من النهر إلى الطريق السيارة.

والجملتان كما نرى تتكونان من الكلمات ذاتها، ومع ذلك فلهما معالجتان ذهنيتان مختلفتان، أي أن لهما تصورين مختلفين، ومن ثَم فلهما معنيان مختلفان! (ليكوف وجونسون، 2018، ص. 154)

ويميل لانقاكر (غير منكر لأهميتها) عن الخطاطات التي اقترحها لايكوف مثل: الحاوية، والكل والجزء، والربط والمصدر،والمسلك الهدف... (1987، ص ص. 271-275) وعوَضَ ذلك يقدم لانقاكر الأفكار الأساسية التالية التي يراها مفيدة في توصيف الأبنية المعقدة على النحو أدناه: (لانقاكر، 2018، ص. 66).

1- المفاهيم الدنيا، وهي متصلة بالتجربة المخصوصة، ويضرب لها أمثلة بالخط، والزاوية، والألوان، والتراتب الزمني.

2- المفاهيم التشكلية، وليست متصلة بالتجربة المخصوصة (وإنْ كانت في نظره مفاهيم دنيا) ويضرب لها أمثلة بالتباين، والتضمن، والفصل...

3- النماذج البدئية، ويصفها بأنها «مفاهيم متجذرة في التجربة وهي على غاية من التواتر والأساسية في حياتنا اليومية...» (لانقاكر، 2018، ص. 66)، ويضرب لها أمثلة من قبيل: جسد بشري، وشيء مادي، وشيء متنقّل...

ويبدو لنا وجود تداخل ظاهر في التقسيم لدى لانقاكر، بين القسمين الأول والثاني، حيث يرى أنّ الثاني هو أيضًا مفاهيم دنيا!! وكان الأولى (فيما نرى) أن يجعل (1) و(2) قسمًا واحدًا من شقين وفقًا لتصوره هذا بدلًا من جعلها قسمين مستقلين متداخلين!

وكذلك يبدو الخلط مجددًا بين (1) و(3) من جهة؛ فكلاهما متصلان بالتجربة، وهنا إرباك للتقسيم مجددًا، وبين (2) و(3) من جهة أخرى! وقد نصّ على أنّ الأفكار في (3) خطاطية ولكنها أقل خطاطية بكثير من المفاهيم التشكلية. وبعضها يتضمنه بعضها الآخر مكوناتٍ له» (لانقاكر، 2018، ص. 66).

ولا ندري ما الذي دفع لانقاكر إلى هذا التقسيم الثلاثي المختلط، والعزوف عن تقسيم لايكوف الذي يبدو أكثر وضوحًا ومعقولية، وبخاصة أنّ لانقاكر نفسه أدرك هذا الخلط والتداخل، واعترف بأن هذا التمييز ليس بيّن الحدود! (لانقاكر، 2018، ص. 67) وفيما نرى فإنه إذا لم تكن الحدود بيّنة فنحن لا نتحدث عن (**تمييز**) بقدر ما نتحدث عن أمر آخر.

ومهما يكن من أمر فإنّ لانقاكر كان يروم اقتراح نحو إدراكي بشأن بعض المفاهيم النحوية كالاسم، والفعل والفاعل والمفعول والإضافة...وهو مقترح ذو أجزاء (لانقاكر، 2018، ص ص. 67-68):

أ- القدرة على توصيف الأفكار باعتماد طراز وخطاطة...

ب- المعنى الخطاطي ممثّل في نموذج بدئي متجذر في تجربة...

ت- المعنى الخطاطي كامن في قدرة إدراكية متصلة بالمجال...

ث- توجد القدرات الأساسية في نماذج بدئية مناسبة، وتمكّن تلك القدرات للتجربة من الحدوث أولا...

ح- بالنمو تتوسع القدرات، وتشمل مجالات أخرى من التجربة...

1-2-1-3: أين يتوقف المعنى؟

ويمكن أن يكون السؤال (فيما نرى) أين يتوقف انبناء المعنى ويبدو أن الإدراكية لاتضع حدودًا نهائية في هذا الأمر؛ وذلك لإفساحها المجال لتعدد روافد بناء المعنى، ومن ثم بروز المعنى الموسوعي، عوض المعنى القاموسي، أو مضافًا إليه، وحتى لا تقود فكرة تناسل المعنى على هذا النحو إلى نوع من الفوضى يقترح لانقاكر أن الأمر خاضع لضابطين (لانقاكر، 2018، ص. 71):

أ- تجذّر المعاني في أذهان الأفراد.

ب- البعد التواضعي عند أفراد مجموعة لغوة معينة.

1-2-1-4: كيف ينبني المعنى؟ (لانقاكر، 2018، ص. 81)

ينبني المضمون المفهومي وفق طريقة معينة، ويُحال على المضمون في النحو

الإدراكي عبر: المجالات (domains)، ذلك أن عبارةً ما قد تستحضر مجموعة من المجالات الإدراكية كأساس لمعناها (لانقاكر، 2018، ص. 81).

1-2-2: مفاهيم أساسية في النحو الإدراكي:

سنورد في النقاط التالية حديثًا موجزًا عن عدد من المفاهيم التي نراها أساسية في النحو الإدراكي، وسنستعين بها عند تحليل نصوص المدونة، وهي (التخصيص، والتبئير، ومسلك التركب[1]، والبروز، والمنظور، والمجال، والفضاء الذهني)

1-2-2-1: التخصيص (specification)

ثمة صفتان متقابلتان إحداهما الخطاطية (schematic) والثانية التخصيص، حيث تبدو الخطاطية عامة أشبه بالمقولة (لانقاكر، 2018، ص. 103)، ويندرج تحتها عناصر متعددة، ومن ثم يأتي التخصيص ليجعل العبارة أكثر تحديدًا. ويناقش لانقاكر هذه الفكرة من منحى معجمي، ويمثل لها بمفردة (قريب) بوصفها خطاطة، وتخصيصها (عمّة)، وسنسحب من جهتنا هذه الفكرة من المعجم إلى التركيب، وفكرة المحددات معروفة في المعالجات النحوية على أية حال.

1-2-2-2: التبئير (focusing):

يشير لانقاكر إلى أن التبئير بُعدٌ انبنائي، يقوم بعملية «انتقاء المضمون المفهومي الذي يُعد للعرض اللغوي، كما يشتمل على تنظيمه في كل ما يمكن أن يوصف وصفًا استعاريًا عامًا بكونه الأمامية مقابل الخلفية» (2018، ص. 104)

1-2-2-3: مسلك التركب (path compositional):

ويعرفه لانقاكر بأنه «الكيفية التي بها يرتبط معنى عبارة مركبة بمعاني مكوناتها (في مستويات التنضيد المتعاقبة)» (2018، ص. 110).

1-2-2-4: البروز (prominence):

تحت عنصر البروز يتحدث لانقاكر عن المَعْلَم (landmark) والمتنقل (trajector)، حيث يرى أنّ العبارة إما أن تعرض **شيئًا** أو **علاقة** (2018، ص. 119). ويضرب أمثلة لذلك بالعبارتين التاليتين (2018، ص. 126):

- المصباح فوق الطاولة.
- الطاولة تحت المصباح.

(1) ومسلك التركب مدرج في التبئير عند لانقاكر، وآثرنا إفراده بعنوان؛ لأهميته في التحليل.

حيث يمثل (المصباح) في العبارة الأولى (المتنقل)، وتمثل الطاولة (المعلم)، وأما في العبارة الثانية فيمثل المصباح (المعلم)، وتمثل الطاولة (المتنقل).

على أنّ الذي يحدد صواب العبارة هو السؤال (إذا كانت هاتان الجملتان جوابًا لسؤال)، فإن كان السؤال: أين المصباح؟ فالجملة الأولى صائبة، والثانية لاحنة وفقًا للانقاكر (لانقاكر، 2018، ص. 126).

ويلفت لانقاكر النظر في هذا الصدد إلى أنه ليس بالضرورة أن يكون (المتنقل) منتقلًا (2018، ص. 126)؛ إذ يمكن أن يصف علاقة ثابتة كعلاقة البنوّة (بالنسبة إلى الأب)، والأبوّة (بالنسبة إلى الابن) في مثل (لانقاكر، 2018، ص. 126):

- هذا ذو والد (عندما نشير إلى الطفل)
- هذا ذو ولد (عندما نشير إلى الأب)

ومما يجري تناوله تحت البروز الزمن، والجهة (aspect)[1]، ومحوّرات الفعل بوجه عام (لانقاكر، 2018، ص. 121؛ البارقي، 2013)، سواء كانت محوّرات زمنية، أو محوّرات حدَثية...

ويذكر لانقاكر أن «بعض أنواع البروز (مثل العرض) يمكن تصورها على أنها حالات قصوى من التبئير/ الأمامية» (2018، ص. 153).

1-2-2-5: المنظور(perspective):

المنظور ثالث ثلاثة عوامل[2] لضبط البؤرة (Evans، 2007، ص. 157)، **وتتم بوساطته مجموعة من العمليات:**

- في المنظور تتم عملية **توزيع الرؤية** على مشهد ما، «وتحت تسمية المنظور أعتبر كذلك الحركية في صلتها بالكيفية التي تتنامى بها المفْهَمة خلال زمن المعالجة» (لانقاكر، 2018، ص. 129).
- وتحت المنظور كذلك تجري مراقبة الظروف المكانية؛ لتحديد موقع المنتقل (لانقاكر، 2018، ص ص. 130-131) بوصفه زاوية نظر في المجال البصري، على أنّ قيمته التحليلية تتعدى ذلك إلى مجالات أخرى غير المجال البصري، مثل مجال الزمن (لانقاكر، 2018، ص. 133)؛ ذلك أنّ «المفهمة في صميمها

(1) تترجم (aspect) في اللغة العربية إلى عدد من الترجمات أشهرها: الجهة، والمظهر... راجع: (بعلبكي، 1990، ص. 58)، و(الفاسي الفهري، 2009، ص. 24).

(2) والعاملان الآخران هما: الانتقاء (selection) والتجريد (abstraction).

حركية[...] تكمن في المعالجة الذهنية (أو النشاط العصبي)، وتبعًا لذلك تجري خلال الزمن، وعندما يُنظر إلى الزمن من زاوية هذه القدرة من حيث هو وسيط حامل للصور يحال عليه بكونه زمن المعالجة» (لانقاكر، 2018، ص. 136)، حيث يسير التعاقب الذي تظهر فيه العبارات المكونة لعبارة أكبر بشكل متناغم مع الترتيب الذي كان في عمليات المفْهمَة ذاتها التي نجمت عنها تلك العبارة (لانقاكر، 2018، ص ص. 138–139)، وعند تحليل الأفعال وفق المنظور، ومحاولة فهم خطاطتها الإدراكية يجري مراقبة أمرين فيها: الأول: إدراك العلاقات، والثاني: متابعة تلك العلاقات عبر الزمن (لانقاكر، 2018، ص. 179).

- ويناقَش كذلك تحت عنوان المنظور مسألة الذاتية، في مقابل الموضوعية (لانقاكر، 2018، ص. 134).

1-2-2-5: المجال (domain)

إذا كان المجال يشير في النحو الإدراكي «إلى كل نوع من التصور أو التجربة» (لانقاكر، 2018، ص. 82) فهذا يعني أننا أمام تعريف عام جدًا (البارقي، 2024، ص. 296)، على أن المجالات تُقَسَّم إدراكيًا إلى أساسية وغير أساسية، فالأساسية هي التي لا تكون منشطرة من مجالات أخرى، ولا قابلة للاختزال (لانقاكر، 2018، ص. 83)؛ فهي «عبارة عن تمثيلات للأفضية البسطى، أو الحقول المفهومية المفردة التي لا تقبل القسمة أو التقسيم عرفنيًّا» (الزناد، 2010، ص. 245) وغير الأساسية هي الأكثر، مثل الإحساس بالبلل بالنسبة إلى السائل، أو الخوف، أو اللون الأحمر... (لانقاكر، 2018، ص ص. 83–84) ويتصل بالحديث عن المجالات سؤالان: كيف تُستدعى؟ وكيف ترتبط؟ (لانقاكر، 2018، ص ص. 86–90).

1-2-2-6: الفضاءات الذهنية (spaces Mental):

يبدو الأمر معقدًا عند إرادة تعريف الفضاءات الذهنية، ومن ثم رأى لانقاكر أن تعريف فوكونيي (1997) واسع جدًا حيث عرفها بأنها «أبنية جزئية تتكاثر عندما نفكر ونتكلم، تسمح بأن يتوزع خطابنا وأبنية معارفنا توزعًا جزئيًا مفصلًا» (لانقاكر، 2018، ص. 91).

ويستشكل لانقاكر (بحق) هذا التعريف الذي يحيل إلى المجال (domain) أيضًا!! فهل نحن نتحدث عن مصطلحين لمفهومين اثنين أو نتحدث عن مصطلحين لمفهوم واحد؟

وقد حاول لانقاكر أن يفرق بينهما انطلاقًا من زاوية النظر إليهما (2018، ص. 92)، فإن نظر إليهما من زاوية (الإحالة)، فلا فرق، ولكن إن نظر إليهما من زاوية

البنية المفهومية فهناك فرق في الاشتغال التحليلي لكلا المصطلحين، حيث يشتغل (المجال) في «تسمية التصورات القائمة في علاقتها بالمعاني المعجمية، ومقابل ذلك يُبرز [فضاء ذهني][1] التقطّعات المفهومية، أي تنوع البنية المفهومية إلى جهات شبه مستقلة بذاتها» (لانقاكر، 2018، ص. 92)

ولا يبدو لنا تفريق لانقاكر أوفر حظًّا من تعريف فوكونيي؛ فالغموض مازال يحفّ المصطلحين!

ونجد براندت (Brandt) يحوم حول فكرة لانقاكر ذاتها عندما قال: «الفضاءات الذهنية متجذرة في المجالات الدلالية المختلفة وتنتج تكاملات أو مزيجًا مفاهيميًا أكثر أو أقل استقرارًا» (Brandt، 2004، ص. 47).

وكثيرًا ما نجد الأدبيات عِوَضَ أنْ تضع تعريفًا واضحًا خاليا من الإبهام تتجه إلى التمثيل، أو ذكْر الوظيفة الإدراكية، فعند فوكونيي وتورنر»الفضاءات الذهنية عبارة عن حزم مفاهيمية صغيرة يتم إنشاؤها أثناء التفكير والتحدث، لأغراض الفهم...» كما في شبكة الراهب البوذي (Fauconnier and Turner، 2002، ص. 40).

ومهما يكن الأمر، ففي الفضاءات الذهنية يجري الحديث عن فضاء مصدر، وفضاء هدف، وفضاء مزيج، وروابط، وبناة الفضاء (Fauconnier، 1994، ص ص. 16-21).

1-2-2-6-1: الفضاء المدمج[2]:

في محاضرة مشتركة بين كل من فوكونيي ومارك تورنر عام 1993م اقترحا إطار العمل الأول للفضاء المدمج، وطوّرا الفكرة تباعًا عام 1994م و2002م (تورنر، 2011، ص ص. 4-9).

---

(1) هكذا في المصدر.

(2) كثيرا ما تترجم blended space إلى الفضاء المزيج، وهي ترجمة صحيحة لاريب فيها، إلا أننا نخشى أن تُفهم كلمة المزج هنا على ما هو شأنها في الكيمياء، حيث تعبر هناك عن ضم «مكونات منفصلة على نحو لا يمكن معه تمييز أحدها من الآخر، أو تبيّن خط الفصل بينها» مجمع اللغة العربية بدمشق (2014)، معجم مصطلحات الكيمياء، (ص. 58). ومن ثَم (ربما لهذا السبب أو لغيره) نجد تورنر قد استخدم مصطلح الدمج (integration) في أحد المواضع؛ إذْ قال في أحد العناوين الجانبية: «الدمج المفهومي، وهو المعروف بالمزج» تورنر(2011)، ص11. وقد أشارت غنيم (2019) إلى ذلك، ورجحت أنّ مصطلحي الدمج والمزج جاءا باعتبارين، أولهما أن مصطلح الدمج قد استخدمه ستيفان ميثن؛ ولذا بقي في اصطلاحات الرجلين، والاعتبار الآخر أنّ ستيفان ميثن قد استخدم مصطلح «السيولة العرفانية، والسيولة بطبيعة الحال خاصية للسوائل والامتزاج أليق بها (ص ص. 45-50).

لقد كان عمل فوكونيي وتورنر مدفوعًا بسؤالين كبيرين (تورنر، 2011، ص. 4) أولهما: ما سرّ هذه القدرة اللغوية البشرية على التجديد والابتكار؟ وتأسيسًا على فكرة الخطاطات المفهومية (schemata) حاولتْ نظرية دمج الأفضية تقديم تفسير لهذه القدرة اللغوية البشرية. وتَأَسَّسَ على فكرة دمج الأفضية السؤال الثاني: عن المبادئ والعمليات النظامية الكامنة في ذلك الدمج للأفضية (تورنر، 2011، ص. 8).

إن دمج الأفضية ليس أمرًا نادر الحدوث كما قد يُتوهّم، بل هو أمر اعتيادي ويومي، ينجزه البشر بشكل طبيعي ولا واع ربما (تورنر، 2011، ص. 6).

ويرى تورنر أن الدمج ينهض بدور ترقيع ذهني؛ فهو «يعمل بسرعة شديدة في أغلب الحالات، وبشكل غير مرئي فوق ذلك، فالمزج، ذلك المرقع الذهني الذي نشأ بفضل التطور البيولوجي» (تورنر، 2011، ص. 12) وهو «يشتغل على ما هو حاصل فيما نعرفه بأن يجمّع بين الأشياء بوجوه جديدة يكون لها نشوء بنية جديدة لا تتأتى تأتيًا مخصوصًا مما يكون تجميعه من العناصر» (تورنر، 2011، ص ص. 12–13).

ويقسَّم الدمج عند تورنر وفوكونيي إلى ما سمياه: «المزج الدوّامة» و«المزج ثنائي المدى» (تورنر، 2011، ص ص. 11–12)، والشبكات الدوامة، والشبكات المرآة (تورنر، 2011، ص ص. 17–19). كما نشير إلى أنّ تورنر أورد فكرة سماها «الذهن الأدبي» (تورنر، 2011، ص. 13) وهو ليس خاصًّا بالأدباء بطبيعة الحال، وإنما يتمتع به البشر جميعًا، وبه يبتكرون ويجددون في لغتهم.

على أنّ الأمر يحتاج إلى مزيد تأمّل، فالذهن الأدبي وإن يكن مشتركًا في حده الأدنى بين بني البشر إلا أننا نزعم أنّ البشر يتفاوتون فيه، ويبدو لنا أنّ الأدباء عامة والشعراء على وجه الخصوص يتمتعون بميزة إضافية في هذا الجانب؛ ولهذا يستطيعون خلق فضاءات مدمجة جديدة، ومدهشة لغيرهم (ولهم بطبيعة الحال عندما يعودون إليها بعد حين)!

إنّ مزيد تأمّل وفق معطيات النحو الإدراكي، وما يمدنا به من أدوات تحليل تشمل الأفضية، والأفضية المدمجة، ومسالك التركيب...يظهر أنّ الشعراء يتميزون بشكل واضح في بنْينة تصوراتهم، وتركيب لغتهم الكاشفة لتلك التصورات وفقًا لتلكم الأدوات والتقنيات حتى وإن كانت تنسرب إليهم بطريقة غير واعية...

1-2-2-6-1: أهم الفرضيات العامة في نظرية الدمج التصوري[1]:

1-2-2-6-1-1: فرضية المعين الواحد (غنيم، 2019، ص ص. 44-50):

ثمة افتراض مفاده أن ملكة الدمج التصوري هي الفيصل بين مرحلتين مر بهما تاريخ البشرية الطويل، ففي ما قبل هذه الملكة لم يكن يتمايز البشر عن غيرهم كبير تمايز، أما بعدها فقد تحول البشر إلى كائنات إبداعية خلاقة، هيمنت على الكرة الأرضية جمعاء حتى في ظل وجود كائنات أقوى وأكبر منها كثيرًا...

وإذا صح هذا الافتراض فالبشرية جمعاء إذن تنهل من منهل واحد هو هذه الملكة، التي تدير بها أنشطتها الذهنية كافة، سواء كانت هذه الأنشطة صغيرة أو كبيرة، أو واعية أولا واعية، وتدين لهذه الملكة شتى العلوم والفنون التي عرفها البشر؛ حيث تلتقي الفيزياء والرياضيات والطب على بساط واحد مع الآداب والموسيقا والنحت...

لقد برزت فكرة هذا الأصل المشترك أو المعين على ما يبدو بزمن قبل تبلورها وانتشارها على يد فوكونيي وتورنر، فقد أشارت أميرة غنيم (2019، ص ص. 48-49) إلى ورودها عند كوستلر في كتابه «عمل الخلق» وهو الذي نقل عنه فوكونيي(Fauconnier) وتورنر(Turner) أحجية الراهب البوذي، وربما نقَلا شطرًا من تحليلها؛ حيث اقترح كوستلر وجود مصفوفتين ذهنيتين لا اتصال بينهما في الأصل، وينتظمان ضمن مصفوفة ثالثة جديدة عن طريق أدوات معينة كالاستعارة والمجاز، وهذا ما سماه فوكونيي بالروابط، وربما كانت فكرة الأركيولوجي ستيفان ميثن فيما سماه بالسيولة الإدراكية أو المرونة الإدراكية رافدًا آخر لفرضية المعين الواحد (غنيم، 2019، ص. 49)، بل إنه صرح (بحسب أميرة غنيم (2019) بفكرة الدمج ذاتها؛ لتفسير القدرات الذهنية بالغة التطور لدى البشر، ويفسر الأمر بكونه «دمجًا بين مجالات عرفانية مختلفة كان الإنسان الأول قد اكتسبها شيئا فشيئا على امتداد تاريخ التطور دون أن يخطر بباله إمكانية استعمالها مندمجة وممتزجة» (غنيم، 2019، ص. 49).

ويضرب ستيفان ميثن مثالا لذلك التمرحل الذي مر به الذهن البشري بالكنيسة الكبيرة، التي تحوي حجرات متعددة، لكن هذه الحجرات مصمتة الجدران تمامًا، معزول بعضها عن بعض، ومن ثم لا تنفذ أية حجرة إلى أخرى، وعليه فقد بقيت كل حجرة محتفظة بمحتوياتها وحسب، ولمّا تمكن الذهن البشري في مراحل لاحقة من فتح منافذ بينها وبين بعضها حصل تداول المحتوى وربط بعضه ببعض ومن ثم حصل الدمج والتلاقح بينها (غنيم، 2019، ص. 50).

(1) اعتمدنا في عرض هذه الفرضيات على استخلاصات (غنيم، 2019، ص ص. 43-70).

1-2-2-6-1-2: فرضية المثلث الذهني (غنيم، 2019، ص ص. 51-55):

لوكان للذهن عين لترى لكان له ثلاث أعين: هي الهوية (identity)، والدمج (integration)، والخيال (imagination) هكذا يبدو الأمر لفوكونيي وتورنر (غنيم، 2019، ص. 51).

واللافت أن الخيال الذي عول عليه فوكونيي وتورنر في (مَفْهمة) الهوية قد تركاه دون تحديد أو تعريف، وأخلدا إلى التمثيل لوجوده في الحياة اليومية (غنيم، 2019، ص. 53)، وعلى هذا «فقد ظل للخيال وجود فلسفي مفارق أوشبه مفارق ضمن العدة التفسيرية لنظرية المزج وظل أمرا ميتافيزيقيا [...] مستعصيا على التناول العلمي لا نعرف عنه سوى أنه ضروري عند كل دمج تصوري حتى لنكاد نتساءل إن لم يكن هو والدمج شيئا واحدا» (غنيم، 2019، ص. 53).

1-2-2-6-1-3: الأشكال الجوفاء (غنيم، 2019، ص ص. 55-57):

هكذا عنونت أميرة غنيم لهذه الفرضية التي يرتبك صاحبا نظرية الدمج في تقديمها مجددا كما كان الأمر مع سابقتها. وقد شغلت قضية اللفظ والمعنى والعلاقة بينهما الدراسات اللغوية الغربية والعربية زمنًا، ليس فيما يتعلق بالتفاضل بينهما كما نوقش الأمر في الدراسات البلاغية، ولكن فيما يتعلق بسؤال مفاده: ما الذي تخفيه الألفاظ وراءها؟ هل هي الوجه المحسوس للمعاني اللامحسوسة؟ أو هي مرشد إليها؟ أو هي مجرد أيقونات، أو رموز يعْبُر من خلالها الذهن إلى المعاني؟ أما فوكونيي وتورنر فيبدو أنهما اختارا طريق السخرية (النظرية) من كل من يرى أنّ الألفاظ/ الأشكال تغلف المعاني، وشبّها الأمر بحصان طروادة الشهير، ولم يستثنيا من سخريتهما فريغة، ولا ليفي شتراوس ولا تشومسكي ولا غيرهم ممن حاول البحث عن المعاني وراء الألفاظ... (غنيم، 2019، ص. 55) لكنّ هذه السخرية لم تتجاوز المستوى النظري على ما يبدو، إذْ عادا ووقعا فيما سخرا منه! (غنيم، 2019، ص ص. 55-56) وبقيا يرددان فعلًا واحدًا في الإنجليزية هو(prompt) ليبحثا في المعاني التي يخفيها وراءه! (غنيم، 2019، ص. 56).

1-2-2-6-1-4: فرضية (سُلّم الدمج) (غنيم، 2019، ص ص. 61-63):

يتحدث مارك تورنر عما أسماه الدمج المتقدم (blending advanced) (Turner، 2014، ص. 29) وذكر بأنه تم استدعاء هذا الاسم من بين عدد من الأسماء من مثل: الدمج الدوامة، والدمج ثنائي الحد، على أنه يقرّ بأمرين: الأول أن هذه الأسماء

مترادفات، والثاني أنها غير مرضية له، وهو في بحث مستمر للوصول إلى اسم آخر أكثر دقة وتعبيرًا أو لنقل للوصول إلى مصطلح جامع... (تورنر، 2014، ص. 29) ومهما يكن الأمر فالمقصود بسلّم الدمج تفاوت درجات القدرة الدمج، من درجات دنيا (نجدها حتى عند غير البشر (تورنر، 2014، ص ص. 54–55) إلى درجات عليا متقدم يتفرد بها بنو البشر (تورنر، 2014، ص. 143).

ولأنه سبق الإلماع إلى مصطلحات: الدمج الدوامة، والدمج ثنائي الحد، أو ثنائي المدى، والشبكة الدوامة، والشبكة المرآة فليس ثَم ما يدعو إلى إعادة الحديث عنها؛ لأن مارك تورنر لا يقصد شيئا آخر بتسمية الدمج المتقدم إلا تلك المصطلحات الآنفة الذكر.

ربما الجديد الذي لحظناه في (تورنر، 2014) وهو يتحدث عن هذا الأمر أنه تحدث عن القدرة الذهنية لخاصية الدمج على صنع بنية منظمة من أشياء تبدو متناقضة، لكنها تقدم أشياء مركزية في عملية الدمج، وما ينتجه ذلك الدمج من بنى جديدة إبداعية ومدهشة (ص. 29)، ويضرب لهذا مثالا بـ:

لوكنتُ صهري لكنتُ تعيسا!

"miserable be would I law,–in–brother my were I If"

وهو بهذا المثال يريد أن يبين مدى الاختلاف بين الفضاءين المتناقضين تمامًا على مستوى: النوايا، والتفضيلات، والعواطف، والهوية... (تورنر، 2014، ص. 29)، على أنّ هذه العمليات المعقدة التي ينجزها الذهن عبر خاصية الدمج تتم بشكل اعتيادي وروتيني يقول تورنر: «والمزج يكثف بوجه روتيني شبكات مفهومية واسعة قد يصعب الجمع بينها في مفاهيم مزيج تكون من سلم الذهن البشري ومواتية لتمثلاتنا، ونتيجة لذلك لا يكون لبني البشر، خلافا لأي من سائر الحيوان، القدرة على اكتساب التكيف فقط، وإنما لهم القدرة على اكتساب طبيعة من نوع آخر فنحن قادرون على أخذ أشياء ليست من سلمنا البشري وجعلها طيعة كما لو كانت من سلمنا مثل القراءة» (تورنر، 2013، ص. 22).

1–2–2–6–1–5: فرضية التعبئة والتفريغ[1]:

يجري الحديث هنا عن التعبئة والتفريغ (unpacking and packing) كما وردت في تورنر (2013)، وهي التي أعيدَ مراجعتها في تورنر(2014)؛ ليجري الحديث

(1) عنونته أميرة غنيم بالضم والنشر (2019، ص 63).

بدلا من ذلك عن ضغط الأفكار وتوسيعها (expanding and compressing) (تورنر، 2014، ص. 43). ويعدّ تورنر هذه الفرضية سمة مركزية في خاصية الدمج (تورنر، 2013، ص. 22).

يرى تورنر أنّ اللغة البشرية ولّادة؛ بفعل ما توافر لها من قدرة على التعبئة والتفريغ، تجعلها قادرة على الوفاء بكل احتياجات البشر في المناسبات المختلفة، والمقامات المتنوعة؛ فهي قادرة على ملء القوالب الأساسية وتفريغها، وإعادة تعبئتها من جديد (2013، ص. 25)، وكل ذلك بفعل خاصية الدمج الدوامة؛ «ففي التفكيك[1] نبني شبكات من الدمج، ثم من شبكات الدمج تلك نعيد تعبئة قوالب مكثفة نحملها معنا. وبعبارة استعارية ليست اللغة من حيث تصوَّرناها مؤسسة كبيرة بجميع محتوياتها، حقيبة سفر معبأة مكثفة ذات عجلات مملوءة بالأغراض نحملها حيثما ذهبنا، [ولا هي][2] حقيبة سفر خفيفة محمولة معبأة مكثفة ذات عجلات مملوءة بالأغراض نفتحها لتلبية حاجاتنا في وضعيات نجد أنفسنا فيها ثم نعيد تعبئتها بعد ذلك وهذا هو أساس التغير في اللغة» (تورنر، 2013، ص. 25).

ويطرح تورنر موازنة بين طريقة التفكير هذه وطريقة أخرى غيرها، تنظر إلى اللغة بأنها مخزن أو مستودع كبير يتم استدعاء الأدوات منه حسب الحاجة والدواعي الاستعمالية، وإذا لم نحتج إليها فهي موجودة في الحجرة بطبيعة الحال! ويرى أن أغلب النظريات اللسانية التي تحاول تفسير القدرة اللغوية تنحو هذا المنحى (تورنر، 2013، ص. 25)، على حين يتبنى تورنر طريقة أخرى ترى أن اللغة عبارة عن قوالب أساسية تتم تعبئتها وتفريغها مرات متتالية (2013، ص. 26).

لقد أطال تورنر في هذه الفرضية بعض الشيء (2013، ص ص. 25–36)، وضرب عددًا من الأمثلة لتوضيح فكرته، وربما للبرهنة عليها، أو تقريبها على الأقل، ومن ذلك بالإضافة إلى مثال الحقيبتين الثقيلة والخفيفة، يضرب مثالا بالساعة الشمسية، حينما

(1) ما سميناه التفريغ.

(2) هكذا في المصدر، ويبدو أنها (بل هي)؛ لتستقيم العبارة. وآية كلامنا هذا أنه أورد المثال ذاته مرة أخرى ص 27 قائلا: «اللغات متغيرة. وتتمثل المعرفة بلغة من اللغات، في استخدام حقيبة صغيرة ذات عجلات معبأة بأبنية صغيرة يمكن أن تنشيطها في وضعيّة بوجه نبني بها شبكة مزج صالحة لتلك الوضعيّة. ولكن كلّما بنينا الشبكة، لا نحافظ عليها. فتتلاشي. نترك كل شيء يتلاشى من تلك الشبكات ولكن بناء الشبكة يمكن أن يغيّر العناصر التي دخلت الشبكة فيمكننا أن نصنع شبكة قادرة على أن تغيّر المعرفة التي نحملها معنا».

يغيب عنها الضوء لسبب أو لآخر، فتبدو غير ذات جدوى للتوقيت على وجه التحديد، ولن تعدو أن تكون مجرد شيء للزينة، أو التأمل، أوما شاكل ذلك... ويتساءل تورنر من أين للساعة بالظل وهي لا تملكه، ولا تحمله أصلا! تماما مثلما أنّ الذات المدركة كذلك لا تملك الظل وإنما يقع الظل من المحيط (2013، ص. 26)، فأما ما تحمله الذات المدركة فلا يعدو أن يكون معرفة أو خبرة معينة في قراءة التوقيت عبر الساعة الشمسية، وعندما تتهيأ الظروف المناسبة لحصول الظل نستخدم ساعتئذ خبرتنا، وما تزودنا به تجربتنا، ونستخدم خاصية الدمج لإسقاط التوقيت على حركة الظل من خلال إدراكنا لهذه العلامة التي تكونت من الشمس والظل والساعة، ونحن «نعرف كيف نفكك ما نعرفه لنبني شبكات الدمج في ذلك الحقل» (تورنر، 2013، ص. 26)، ويتساءل تورنر مجددًا ما إذا كان قد وجد الظل دون الساعة الشمسية؟ أو هل كان الظل مخبوءًا فيها؟ والجواب لا، وغاية ما هنالك أن أذهاننا تفرغ ما كانت عرفته عن الساعات الشمسية ثم تربطه بالعالم الذي نعرفه وفي ضوء كل ذلك يكون بناء المعنى(تورنر، 2013، ص. 26)، «وقد نغادر ذلك المكان بمعرفة معبأة تختلف اختلافًا طفيفًا عما كان لنا قبل ذلك» (تورنر، 2013، ص. 26)، ويضرب تورنر أمثلة أخرى ويحللها مثل عبارات «في السنة الكبيسة نزيد يومًا في شهر فيفري» (2013، ص. 27)، و«اطرد العادة» (2013، ص. 30)، و«وكيل أسفارك في انتظارك» (2013، ص. 30)...

2. قراءة إدراكية تطبيقية في ديوان ظمأ أزرق:

2- 1- وصف الديوان:

صدر ديوان ظمأ أزرق عن دار الانتشار العربي في مئة وتسع وثلاثين صفحة، من القطع المتوسط، وحوى ثلاث ثيمات كبرى تندرج تحت كل واحدة مجموعة من القصائد، وهي: **تأويل على وجه المرايا**، وتحتها أربعة عشر نصا، و**مَنْ شدّ خاصرة الحنين؟** وتحتها ستة عشر نصا، و**نبوءة يد**، وتحتها سبعة نصوص[1]

2-2- نماذج محللة من نصوص الديوان:

بعد أن عرّجنا على عدد من عنوانات نصوص الديوان، عنوان الديوان نفسه في البارقي (24)، سوف نفرد فيما يلي مجالًا للحديث عن القصائد ذاتها، وننظمها في

(1) للمزيد من الوصف للديوان راجع البارقي (2024)، ص. 301.

عدد من النقاط الجامعة كمسلك التركب، والأفضية الذهنية، واندماجها، والمجال، والتخصيص، والتبئير، والبروز، والمنظور، وسوف يحويها التحليل معًا دون إفراد كل منها في عنوان مستقل. وقبل بدء التحليل نقترح توسيع مفهوم (مسلك التركيب) على النحو أدناه:

2-2-1: مسلك التركب الموسّع:

كنا قد تحدثنا أعلاه عن مسلك التركب من وجهة نظر لانقاكر، ونرى أنْ نوسّع النظر في مسالك التركب، لتشمل النص بأكمله، ولا تكون مقتصرة على عبارة واحدة وحسب، وهو في تصورنا أدعى إلى الوقوف على عمليات المفهمة التي ينعكس عنها النص بأكمله، بل إننا سنجول بين الحين والآخر في الديوان بأكمله؛ ذلك أننا نقارب النصوص من منطلق إدراكي، وفقًا لمفهمتها ذهنيًّا، وهي مفهمة (فيما نزعم) إن لم تكن أقرب إلى الثبات في طريقة البناء، فلا نظنها ستختلف كثيرًا في كل مرة... ولا نظنّ أن لانقاكر نفسه أراد قصْر مسالك التركب على العبارات القصيرة، والمعزولة من سياقاتها النصية، ولكن ربما أنّ دواعي التحليل لعبارات محددة هي اللي حدتْ به إلى الاقتصار عليها، وبخاصة أنه يناقش الأمور من وجهة نظرية، وليست تطبيقية مباشرة على النصوص.

ومهما يكن من أمر فإنّ المساحة المخصصة لهذه الدراسة بدورها لا يمكنها استيعاب تحليل نصوص ديوان (ظمأ أزرق) كافة، ومن ثم فسوف نلجأ إلى الانتقاء من نصوص الديوان للمعالجة والتحليل (كما فعلنا ذلك مع عنوانات النصوص التي حللناها في البارقي (24))، وسننتقي نصوصًا لم نحلل عنواناتها هناك؛ ليتاح لنا ربط تحليل النص بالعنوان إذا احتجنا إلى ذلك، دون أن نقع في مصيدة التكرار، وسوف نحلل القصيدة كاملة على اعتبارها نصًّا واحدًا منسجمًا، ومتصلًا على مستوى أفكاره، وشعوره، ويحيل بعضه على بعض. وسوف نبتدئ التحليل بنص كان عنوانه/ ثيمته: (فستان على مسرح التجلي) على النحو أدناه:

2-2-2: قصيدة: (فستان على مسرح التجلي)

أغار على فمي من أغنياتي
إذا عزفت مقاطع ذكرياتي
إذا مرّ الشريطُ أمام عيني
ولا حلمٌ يرقّعُ لي شتاتي

يبدو عنوان النص ثيمة تنتظم مشاهده، وصوره المختلفة؛ إذ يرسم العنوان صورة سكونية تتألف من (فستان) مطروح(على) (مسرح التجلي)، والعنوان هنا كما هو حال العنوانات التي سبق أنْ حللناها مجهَض الخبر، والمبتدأ نكرة مخصصة بأوصافها، وفي عبارة (مسرح التجلي) اندماج بين فضاءين حسيّ يمثله المسرح، ومعنوي يمثله التجلي، ويمثل الفستان الأمامية، على حين يمثل (مسرح التجلي) الخلفية، ويشير حرف الجر (على) إلى زاوية النظر، فالصورة رُسمت من منظور ثلاثي الأبعاد تترتب فيه أجزاء الصورة المرمّز لها بالكلمات وفق ترتبها في عملية المفْهمة، فأول ما يبرز وفق هذا المنظور هو الفستان، ثم يليه البعد (أعلى/ أسفل) حيث يتموقع هذا الفستان (= المنتقل) فوق (مسرح التجلي = المعلم) الذي يأتي ثالثًا في سلسلة المفْهَمة، ومن ثَم التكوين اللغوي الذي يسير بشكل متتالٍ على نحو ما تمتْ مَفْهمته.

ثم يبتدئ النص بالفعل (أغار) حيث تلعب الذات، وملابساتها دورَين متعاكسين؛ فالذات تغار على الذات من بعض ملابسات الذات! كالأغنيات، ذلك أنّ الأغنيات (التي هي من ملابسات الذات بفعل إضافتها إلى ياء المتكلم) سوف تعزف مقاطع معينة لا تروق للذات، ربما، أو أنها تتسبب في إيذاء مشاعرها، وبناء عليه فكأنها وقفت موقف المغاير المختلف مع الذات!

وقد اختار مسلك التركب أنْ يسير وفق منظورٍ معين تَقَدّم فيه (المُغار عليه) على مصدر الغيرة، وكان من المحتمل أن يقدَّم مصدر الغيرة لتكون المَفْهَمة (أغار من أغنياتي على فمي)، ويبدو أنّ الذات اعتبرت المكوّنَ للجسد مقدَّمًا على ملابسات ذلك الجسد كالأغنيات؛ فالمنظور الذي انطلق منه مسار التركب في الأبيات كان من الذات، وعبر الذات وصولًا إلى الأغنيات التي وإنْ تلبّست بالذات إلا أنها قادمة في أصلها من الخارج، واستقرّت لاحقًا في الذاكرة؛ لتكون منغّصًا للذات، التي تحاول أنْ تدرأ تكديرها بصيانة (الفم) عنها عبر تسييجه بالغيرة التي تستدعي الحميّة، وإقصاء مشاركة الغير.

ومهما يكن الأمر، فإنّ هذه الغيرة هي غيرة مقيدة، ومحيّنة ظرفيًّا ب(إذا)؛ إذْ لا تنهض هذه الغيرة إلا عندما تعبث، أو تعابث هذه الأغنيات الذاكرة؛ لأنها حينئذ ستُنشّط الذكريات، وستفعل الذكريات فعلها، وتستبدّ بالذات في حين وَحْدة، وانفراد من (الحلم)، الذي لوكان لكان جامعًا لشتات تلكم الذات وتشظيها! على أنّ الذاكرة بدورها ليست حليفًا جيدًا للذات، فقد تكررت في الديوان تارة في العنونة

مثل: (تمرد على حدود الذاكرة)، و(ذاكرة لليل مهترئ)، وتارة في نسيج النصوص مثل:(أجهضت ذاكرة الطفولة) (الهميلي، 2020، ص. 95)، و(أوَ كلما رقّعتُ ذاكرة الأسى)، و(في الليل تلفظني خطاي على حدود الذاكرة) (الهميلي، 2020، ص. 63)؛ فالذاكرة قد تكون حليفًا للقيد فهي ذات حدود، وقد تكون حليفًا للأسى، إلا أنها ليست كذلك بالنسبة إلى الذات التي تروم الانعتاق منها.

وهنا ينهض فضاء موازٍ لفضاء الواقع، ففضاء الواقع هو أنّ الذات مشتتة دون حلم، والفضاء المتخيل هو أنّ الذات المشتتة بجانبها حلم لا يسمح باستمرار شتاتها؛ فكلما تشظت الذات لَمْلَمها، ورأب صدعها! وجسّر الهوة الواقعة بين تلك الأشلاء، ولقد اندمج هذان الفضاءان، وساهم في اندماجهما أداة الشرط (إذا) التي هي رابطة من روابط الأفضية[1].

ولا تفوتنا الإشارة إلى مفردة (يرقّع) التي تستدعي مجال (اللباس)؛ فالثياب الممزقة هي التي تحتاج إلى ترقيع، وقد أسقطتها العبارة على الذات بوصفها مصدرًا للصورة، ويلاحظ كذلك أنّ هذا الاستدعاء ذو صلة بعنوان النص الذي زعمنا أنه ثيمة تنتظم النص بأكمله، فالترقيع للباس/ للثوب/ للفستان، وربما كان ذلك الفستان هو الفستان ذاته الذي تموقع على مسرح التجلي. وفي مواضع أخرى من الديوان يحضر الفستان عنوانًا في بعضها مثل: (فستان الهوى العشبي) (الهميلي، 2020، ص. 102)، ومتمازجًا مع نصوص داخلية أخرى نحو: (فستاني الممزق فوق أكتافي أرقعه) (الهميلي، 2020، ص. 97)، و(قطن نديف فوق فستان المساء) (الهميلي، 2020، ص. 114)، وهو على هذا لا يستقر على حالة واحدة، فتارة يكون (أمامية)، وتارة يكون (خلفية) (كما في العنوان الأخير).

وتتهادى بقية أبيات القصيدة:

إذا التفتَ الصدى من خلف صوتي
يناديه..
شتاء تنهداتي
فأنصت ربما عانقت نجوى
على أعتاب باب تجليات
بما في العمر

(1) عن روابط الأفضية، راجع البارقي (2024)، ومصادره، ص296.

من وجع قديم
أؤرْشِفُهُ لفهرس أمنياتي

تستمرّ الأبيات في تقييد الغيرة وتحيينها، ليكون القيد هذه المرة هو التفاتة الصدى، الذي يتموقع خلف صوت الذات، والذي يناديه شتاء التنهدات... ويظهر في المشهد (صدى) مُدْبر، ويفصل بينه وبين الذات (=الصوت الأصلي)، ليقوم بالالتفات.

الصوت الذي قد يكون هو الأغنيات، أوقد يكون صوتًا آخر خفيًّا غير مفصح عنه، والصدى الذي قد يكون هو الذكريات، أوقد يكون الأغنيات (بوصفها المغاير للذات المصادم لها، والواقف ضد رغباتها بفعل استدعاءاته لمنغصات معينة تعكّر صفوها).

ويبدو المشهد كما لوكان الصوت يقف وكأنه حاجز بين الذات والصدى، ومن جهة أخرى فالصدى يقف خلفه في مشهد يؤكد منظورَه الأفقي الظرفُ (**خلف**).

على أن الظرف (خلف) يوحي بعدد من الأمور من حيث الجذر (root) (خ ل ف)؛ إذ ترد مجموعة من المعاني للكلمة حال كونها فعلًا، مثل الإخلاف (بالموعد)، والذكر في حال عدم وجود المذكور(كالغيبة مثلا)، والتخلف، والخيانة(الضرب من الخلف)، وقطع الثوب مع ضم طرفيه، والفساد (خلَف الطعامُ)[1]، كما أنّ الظرف نفسه يوحي بالمغافلة، والخداع، والتربص، والغدر[2]، ومن ثم فوقوف الصدى (خلف) الصوت، وليس في (مواجهته) مثلًا يوحي بهذه المعاني السلبية...

ويأتي الضمير في (يناديه) غامضًا ملبسًا، فمَن المنادى يا ترى؟ الصوت أم الصدى؟ لكن إن استعنا بمعطيات النحو العربي فهي تفضل أن يكون عود الضمير على أقرب مذكور (الفارضي، 2018، 1/ 156)، وبالتالي نفترض أن يعود الضمير على (الصوت)، فيكون مسلك التركب آنئذ: ينادي [صوتي] شتاء تنهداتي...

وتتركب عبارة (شتاء تنهداتي) بدورها من دمج بين مجالين اثنين: مجال ظاهرة طبيعية مناخية (تتمثل في الفصول الأربعة والشّتاء منها على التحديد) ومجال الصوت، على أنّ فصل الشتاء غير مقصود لذاته، وإنما المقصود إيحاءاته بالبرود؛

(1) انظر: هذه المعاني وغيرها في معجم المعاني:
https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%AE%D984%%D981%/
تمت مراجعة الرابط في 17/ 9/ 2023م.

(2) وقد يوحي في بعض الاستعمالات بالدعم والمساندة كما إذا قيل هذا الرأي يقف خلفه تجربة مثلا.

فيستعار لوصف فتور العلاقة، وجمودها، وإذن فالذات تحتاج إلى هذا الصوت لكسر الجمود الذي يحيط بها، وتغذيه الذكريات، والتنهدات...

أما الذات التي تندمج مع الصوت حينًا، وتنفصل عنه حينًا، فترى في ذلك الصوت (حال انفصلت عنه) أملًا، ومنقذًا؛ فتصغي إليه بغيةَ العثور على نجوى تائهة في لحظة تجلّ ما. ويلاحظ أنّ الصوت يبحث عن أمل في صوت (نجوى) أيضًا، لكنه لا يريده مجرد رجع صدى، بل يريده صوتًا حقيقيًّا فاعلًا.

وتصطنع الذات فضاء خياليًّا منسوجًا عبر (ربما) التي تفيد الاحتمال (وسيبويه يرى أنها تدل على الاحتمال بكثرة (1988، 2/ 161)، وغيره يرى أنها تدل على الاحتمال بقلّة) (أبوحيان، 1997، 11/ 85)، وعلى أية حال فالمقصود بالنسبة إلينا أنّ ثَم فضاءً خياليًّا تظهر فيه الذات وهي تعانق نجوى (وهنا تظهر جسدنة النجوى) على (أعتاب باب تجليات)، وينقل حرف الجر (على) منظور المشهد ليكون من أعلى إلى أسفل، وكان المتوقع وقوع ظرف يبقي أبعاد المشهد أفقية مثل الظرف (عند)[1]، لكنّ النص آثر حرف الجر الذي يؤدي دور تحديد المكان كما هو الحال في (عند)، ويحافظ على الوزن الشعري، ويزيد شيئًا ثالثًا وهو تغيير أبعاد المشهد، حيث يظهر المشهد من أعلى لذات تعانق نجوى (مجسدنة) على عتبة باب [بيت] التجليات، وعلاقة الإضافة بين (باب) و(تجليات) تفيد واحدًا من احتمالين: إمّا باب للتجليات، أو باب من التجليات، مع احتمال سقوط مضاف، وكون التركيب: باب بيت تجليات، ثم سقطت كلمة (بيت)؛ لأنها مفهومة من ملابساتها التي ذُكرت (الأعتاب، الباب)، وعلى هذا فالتجليات مستقرة في مكانها (بيتها)، والذات هي التي تسعى إليها وليس العكس؛ ذلك أنّ الذات هي المشتتة، والمنفية، وهي التي تبحث عمن يلمّ شعثها، ويذيب جمودها، والتجليات المستقرة الآمنة/ الدافئة هي التي ستفعل ذلك... على أنّ هذا المشهد الذي سيكون في فضاء متخيل يقابله فضاء واقعي، ما تزال فيه الذات مشتتة، ولا يوجد مَن يجمع شتاتها، ويوقف تشظياتها.

وتأتي عبارة (بما في العمر من وجع قديم) لتؤكد هذه (الباء) على استمرارية الفضاء المتخيل والاستغراق فيه؛ فهذه الذات سوف تنصت بكل ما في العمر من وجع، أو

(1) ندرك جيدًا أن (عند) لو وضعت مكان (على) وبقي التركيب كما هو فسينكسر البيت، وإنما الذي أردناه أن التصور المبنين لو كان أفقيًا لاستُخدمت أداة لغوية تفيد ذلك مع إعادة بناء التركيب ليلتزم بالوزن العروضي.

أنها سوف تعانق النجوى المفترضة بكل ما في العمر! والاحتمالان واردان بطبيعة الحال. لكنّ هذا الفضاء المتخيل سوف يضاف إلى أرشيف الأمنيات (والأمنيات فضاءات موازية تربت على أكتافنا من أوجاع العمر، لكنها لا تتحقق بالضرورة؛ فهي تتخلق في فضاء متخيل، تعيش فيه، وتموت فيه).

مضيت بشارع النسيان وحدي
وخلفي الشمس
تسند لي ثباتي
ملامحها تجاعيد
لظل يشيخ سرابه
ملْء الفلاة
أنا والشمس
مفردة احتراق
أشيّع ذاتها التعْبى بذاتي

ويبدو أنّ الذات استفاقتْ من أحلامها، وأمنياتها؛ لتدرك حقيقة وحدتها، وشتاتها، وهذا هو الفضاء الواقعي المقابل للفضاء المتخيل الذي انسلخت منه الذات، لتفطن لوحدتها، وانتقال كل من حولها عنها؛ لتمضي وحيدة في مسار قُدَّ من (النسيان)، ومفردة (مضيت) تستدعي الابتعاد، وانقضاء الزمن، أو عدم الاهتمام له، ويبدو لنا أنّ هذا واحدًا من الفروق بين (مضى) و(ذهب) ففي (مضى) إيحاء بالإخلاص في الابتعاد، مع عدم الاهتمام لما يدور من بعد فعل المضيّ، والفعل (ذهب) لا يوحي بذلك، وربما لأنّ الفعل (مضى) يوحي كذلك بأنّ الفاعل يترك كل شيء خلفه، ولذا قارن العسكري بين المضي، والاستقبال عند محاولته التفريق بين الفعل (مضى) والفعل (ذهب) (العسكري، (د.ت)، ص. 306). ويبدو لنا أنه قد جرت مفْهَمة هذه العبارة على هذا النحو الذي زعمناه، وآية ذلك مجيء الظرف (خلف)، حيث تقف الشمس خلف الذات مساندة لها ومؤازرة، وهذا يعني أيضًا أنّ زمن المضي كان نهارًا، على أنّ الشمس تبدو مسانِدة، ومسانَدة في الآن ذاته، حيث يندمج فضاء الذات مع فضاء الشمس؛ ليشكلا معًا فضاء واحدًا، له ملامح مجعّدة لشمس، وظِلّ لذات أطال الوقوف زمنًا طويلًا حتى شاخت أمنياته (السراب)... وهنا يتم رسم هذا المشهد بشكل ثلاثي الأبعاد، تظهر في بعده الرأسي الشمس المرتطمة بحاجز

الذات؛ ليتشكل ظل، وهذا الظل بدوره ينتشر بشكل أفقي؛ ليملأ الصحراء! وهنا حالة اندماج جديدة بين فضاء المسار الذي مضت فيه الذات، وكان شارع نسيان، ليستحيل مع تقدم تركب العبارات إلى صحراء قاحلة، لا تجد ما يُظلها سوى ذات قد شاخت أحلامها، وتيبّست علاقاتها... وفي هذا المشهد تظهر ثلاثة عناصر: الذات، والشمس، والفلاة، وقد اندمج الثلاثة معًا.

لم تفصح العبارات عن توقيت معين لحالة المضي إلا أنه كان ساعةً من نهار، وقد يرمز هذا إلى أنّ المضي كان بعد حالة انكشاف، ووضوح؛ فذلك هو ما يناسب النهار، لكن هل كان التوقيت شروقًا، أو غروبًا، أو منتصف النهار؟ ذلك ما لا تفصح عنه العبارة، على أننا قد نرجّح أنه أحد طرفَي النهار اتكاء على فكرة تمدد الظلال، لتغمر الفلاة بأكملها! ويترجح منهما حالة الغروب؛ فهي الأليق بحال اليأس، والانكفاء، والاكتفاء التي تعتري الذات!

ويبدو أنّ الذات تحاول لأيًا التخَفُّفَ من العلاقات، فحتى الفلاة ستسقط بدورها (ربما لأنها كغيرها تتبدل أحوالها بين الحرارة، والبرودة بحسب الظروف)؛ ولذا لم تسْتَبْقِ الذاتُ علاقة قارّة إلا مع الشمس؛ لأنها تشاكل الذات في (احتراقها)، ووضوحها؛ ومن ثم تشكلان معًا وَحدة واحدة هي مفردة للاحتراق، أو من الاحتراق، كلاهما متعبتان، وكلاهما محترقتان، وكلاهما سيكونان كُلًّا واحدًا متجانسًا.

تعرّي الريح فستاني
لأني عرجت به فضاء تأملاتي
وطأت العرش
فارتدت سمائي
نسيج الكون حور لي جهاتي!
سقطت هناك
لكن
كنت أطفو
وأكتشف الخرائط بانفلاتي

تعود الذات إلى فستانها (الذي كان ثيمة العنوان، وحضر في مقطع ولا حلمٌ يرقّعُ لي شتاتي)، ليكون الملبوسُ هو اللابس، والساترُ هو المستور هذه المرة! فإذا كان اللباس يستر الجسد، فإنه هو الآخر بحاجة إلى ما يستره؛ حيث يبرز الفعل (تعرّي)

الذي يستدعي موسوعيًّا: الانكشاف، والنزع، والسلب... وهو فعل نشاط (active) ووضع في صيغة (يفعّل)، وليس (يعْرى) على صيغة (يفْعَل)، حيث تفيد الصيغة الثانية أنّ الفاعل قد عمد إلى الفعل بذاته، أما الصيغة الأولى التي اختارتها العبارة فتفيد السببية (causative) أو الجعلية، بمعنى أنّ الذي كان منفّذًا في الصيغة الثانية هو ضحية في الصيغة الأولى، وعلى هذا فقد حُوّر معنى الفعل، وخرج عن حياده إلى هذا المعنى الجديد، وهو يفيد بالإضافة إلى معنى الجعلية معنى التكثير (البارقي، 2013، ص ص. 120–139)، ففعل التعرية للضحية/ الفستان لم يكن مرة واحدة، بل إنه تكرر مرارًا، والمنفذ (Actor) (اللحياني، 2010، ص. 160) لهذا الفعل هو (الريح) (لايكوف وجونسون، 2018، ص. 104)، وربما كانت الفلاة مساهمة في منح الريح فرصة لهذا الأذى؛ ولذلك نَفَتْها الذاتُ، واستبقت الشمسَ في المقطع السابق!

الفستان إذن يتعرض للتعرية من قبل الريح، فيستعير الساترُ دورَ المستور في مشهد ديناميكي ذي منظور أفقي، قبل أن ينتقل المشهد إلى منظور عمودي، حيث تعلل الذات سلوك الريح مع فستانها الذي بدا في هيئة عقاب أنه سلوك مبني على موقف الريح من الذات، التي زاحتمها (ربما في العروج إلى الفضاء!)، على أنّ الفضاء الذي قصدته الذات هو فضاء خاص بالذات نفسها مقصور على تأملاتها، أي أنه فضاء متخيل، ولكن الريح بدت كالمستكثر على الذات هذا العروج؛ فسلبت فستانها (وهو أداة عروجها كما تفيد الباء في «به» التي تسمى في النحو العربي باء الاستعانة[1] (لايكوف وجونسون، 2018، ص. 161)، حيث يكون ما بعدها أداة لما قبلها) أهمَّ خصائصِه لتحيله من ساتر إلى مستور! وتتبدى هذه العلاقة المتوترة مع الريح في غير ما موضوع من الديوان كما في قصيدة: (أبيع تذاكر الأحلام) حينما بدت الريح كالمتغابي عن فهم مقاصد الذات (كأنّ الريح لم تفهم مداري)! (الهميلي، 2020، ص. 79)

وتستكمل الذات رواية المشهد (من منظور ذاتي بطبيعة الحال) (لايكوف وجونسون، 2018، ص. 207) ليتلو ذلك العروجَ في فضاء الأمنيات الوصولُ إلى عرش مملكتها، واسترداد سماء الذات، على أن كلمة (ارتدتْ) توحي بالتراجع والتقهقر، لكنْ أهو تقهقر أمام الذات التي لا تريد أن تحدها الأمنيات؟ إن الفاء في (فارتدت) تحتمل أن تكون عاطفة لتفيد التعاقب بين الارتداد، واعتلاء عرش

(1) وربما يتصل هذا باستعارة (الأداة رفيق)، التي تحدث عنها لايكوف وجونسون ومثلا لها نحويًّا في اللغة الإنجليزية بالأداة (with).

الأمنيات، وقد تفيد التعليل، أي أنّ استرداد سماء الذات نجم عن اعتلاء العرش، وتبرز مفردة (الكون) التي تتكرر في الديوان؛ لتعيد للذات توازنها، وترسم لها جهاتها المختلفة محوّرة بما يناسبها هي دون غيرها؛ فالتحوير كان لها هي وحدها وبالذات!

ويظهر في المشهد مراقبة الذات من الخارج، فالذات تراقب ذاتها حال سقوطها، لكنه سقوط إلى أعلى في فضاء مبهم (هناك)، هو أشبه بالبحر الذي تطفو فوقه الذات، ولا تغرق فيه! سقوط (عليم) يتيح للذات أن تكتشف ما حولها من عوالم. ويبدو البحر أقرب كثيرًا للذات، وأكثر فهمًا لها، والتصاقًا بها، وليس أمره كأمر الريح، وإن يكن ورد هنا ببعض ملابساته، فقد ورد صريحًا في مواضع عديدة في الديوان حينًا في العنونة مثل: (رعشة البحر الأبدية) (الهميلي، 2020، ص. 55)، وحينًا في نسيج النصوص مثل: (البحر يفهمهم دومًا ويفهمني) (الهميلي، 2020، ص. 55)، (صوتي انهمار كهمس البحر) (الهميلي، 2020، ص. 66)، وقد يكون في العبارة الأخيرة (كهمس البحر) ما يفسر سرّ العلاقة المتوترة للذات مع الريح! فالريح توتِّر البحر، وتهيّجه، وتخرجه عن سمْته الذي تحبه الذات وتهامسه، ويفهم كل منهما الآخر! بل وأدمن كل منهما الآخر: (أنفاسك البحر الذي أدمنته) (الهميلي، 2020، ص. 101)، فالريح منفّذ والبحر ضحية.

صعدتُّ لعالم الملكوت
علّي
أراوغ بالممات رؤى الحياة
نبوءة عرشي العاجيّ
شكّ المرايا
في انعكاس تساؤلاتي
غيابي/ نشوتي العظمى
مصير
يلاحقني
ويخشى من فواتي!

تعود الذات لتفسر السقوط وفق منظورها بأنه صعود إلى عالم نقيّ، ملائكيّ، تَعرض فيه إشكالات الحياة على حقيقة الموت، وتثبت للمرايا المخاتلة، التي لا تعكس الذات كما هي بل تتدخل بالشكّ، وبناء على شكها قد تُحوّر في الانعكاس، ما

يعني أنها لا تعكس بحياد، ولا تنقل الأمور كما هي! وتبدو الذات في مشهد ديناميكي أخير في هذا النص وهي في حالة انشطار بين الغياب والنشوة من جهة، والركض الهارب من مطاردة مصير حريص على اللحاق بها من جهة أخرى.

نلاحظ هنا أنّ هذا الفضاء المتخيل قد بُني دون استعانة بأدوات نحوية معتادة فيما يعرف ببناة الأفضية[1]، ونؤسس على هذا فكرة نحوية إدراكية مفادها أنها (بناة الأفضية) قد تكون حاضرة في الخطاب (كما هو المعتاد) وقد تكون غير حاضرة، ومع ذلك يُبنى الفضاء حتى دون أداة أو مركب نحويّ معين، اتكاء على أعراف سياقية، وتداولية تقوم بدور تلك المركبات النحوية التي كان يُنتظر أن تكون حاضرة في الخطاب.

2-2-3: قصيدة: (شكلتُ لي جسدًا)

عنّي تَقررَ للحياة مجيئي
وقّعْتُ في المنفى قرارَ لجوئي
ما كان لي فيه الخيار لأنه
لوكان...
لم أختر مصير نشوئي
ونُفيت في الإنسان
كيف سكنْتُه عمرًا
كطفلٍ خائفٍ مخبوءِ

عنوان النص (شَكلتُ لي جسدًا) مكوّن من فعل، ومنفّذ، وضحية، والمنفّذ والضحية(Patient) أو المستفيد(Beneficiary) هما شيء واحد، إنها الذات! وذلك لوجود شبه الجملة (لي)، ولولم تكن موجودة لاحتمل التأويل أن تكون الذات قد شكلت الجسد لغيرها!

الفعل شكّل جاء في صيغة جهة التمام(aspect perfective)، فالجسد قد شُكل وانتهى أمره. ولذا يبدو المشهد سكونيًا، ولوكان (أُشكِّل) مثلا لبدتْ فيه الديناميكية،

(1) يعرفها الأزهر الزناد (2010)، بأنها: « آليات يستعملها المتكلم ليجر سامعه إلى تأسيس فضاء ذهني جديد. وهي العبارات المتحققة في الخطاب (مركبات أو وحدات نحوية) تؤسس فضاء ابنًا لفضاء أساس يترابطان بوجه ما» (ص ص. 207- 209)، سواء كانت تلك المركبات النحوية أسماء أو صفات أو ظروف زمانية أو مكانية أو عبارات الظن والاعتقاد والتمني والترجي والالتماس والشرط والتخيير...

إلا أنها ديناميكية لن تخدم النص بطبيعة الحال، وإنما الذي يخدمه، ويوصل رسالته هو هذه السكونية، التي تليق بالاستسلام، وربما الندم من نوع ما!

ومن ثم يباشر البيت التالي الإفصاح عن سرّ هذه السكونية، والاستسلام فهناك قرار ينعكس على الذات نُفِّذ دون اختيار منها! والأمر يتصل فيما يبدو بأسئلة وجودية تعتري الذات، ونجد أمارتها متفرقة في الديوان تارة، وملتئمة تارة أخرى، فالذات تشعر بالشتات[1] (الهميلي، 2020)، والشرود[2] (الهميلي، 2020)، وأنّ الذاكرة قيد، والجسد كذلك قيد، وتحضر مفردتا الغيب، والكون بشكل جيد في نسيج نصوص الديوان؛ مما يشي بحضور الأسئلة الوجودية الملحة على الذات وعلى عمليات المفهمة والسلوك اللغوي بالتالي.

ومهما يكن الأمر فقد ابتدأت العبارة بشبه الجملة (الجار والمجرور)، وتأخر الفعل (تقرر)، وذلك يعني أنّ (البروز) كان لصالح شبه الجملة، وحرف الجر (عن) يفيد (المجاوزة)، إذن فقد تقرر مجيء الذات للحياة بالنيابة عنها، ودون اختيارها، أو أخذ موافقتها، إلا أنها ترضخ وتنفّذ هي (التوقيع)، الذي بمقتضاه تكون لاجئة في عالم (المنفى)، ويبدو أن القصد هو أنّ الحياة منفى (للروح)، وأنّ الجسد هو قيدها، وبالتالي فالذات هي التي ستسهم في تشكيل ذلك القيد/ الجسد وفق كيفية معينة (ستأتي مع توالي أبيات النص). لقد حضرت مفردة (المنفى) في الديوان في مواضع عدة، ومن ذلك (وأحمل في يدي تأشيرة المنفى وحلم مهاجرة) (الهميلي، 2020، ص. 97)، و(حفظت خرائط المنفى بقلبي) (الهميلي، 2020، ص. 137)، وغيرها.

ويأتي الجار والجرور (للحياة) لتخصيص هذا المجيء الذي كان رغمًا عن الذات لصالح الحياة، ثم يكمل البيت التالي رسم فضاء متخيل، عبر الأداة (ل)، وهو الفضاء الذي كانت ستلوذ به الذات حال كان لها حق الاختيار، فأما فضاء الواقع فهو يتمثل في وجود هذه الذات وحياتها داخل المنفى/ القيد/ الجسد، وأما الفضاء المتخيل فهو انعدام هذا الوجود للذات من الأصل! ربما لأنّ حالة العدم هذه هي حالة الانعتاق، وحالة الانعتاق هذه هي التي ستُلحّ على الذات في أكثر من موضع مثل: (من رحْم أرض الحيارى جئت باحثة... عن انعتاق الأنا في العالم الرحب)

(1) مثلا: (روّضت فيّ الكبرياء مخبئًا..ضعفي..شتاتي.. غربتي.. وتعرجات البوح في صوتي)، (ص ص. 93، 94).

(2) مثلا: (عذرا إذا أحببت فيك شرودي). (ص. 87).

(الهميلي، 2020، ص. 38)، وتتضح هذه الثنائية أكثر في نص آخر بعنوان: (نصفي رماد) (الهميلي، 2020، ص ص. 19–23)، جاءت فيه الثنائية على النحو التالي: (إنما الموت ضفة من يقينٍ– كاشف الحجب – والحياة الستارُ.. كل بحث عن الذوات انعتاق.. للكمالات ملؤها الانبهارُ) (الهميلي، 2020، ص ص. 22–23).

شكلتُ لي جسدًا قطعتُ نتوءَهُ
ما إنْ خُلقتُ
نَمَتْ رؤوسُ نتوءِ

إذن فقد حاولت الذات التدخل في ذلك القيد/ الجسد؛ لتقوم بتشكيله على الأقل بما يناسب الروح ويلائمها (بما أنها هي المنفية) لكنّ النتوءات التي حاولت التخلص منها، عادت لتنمو من جديد متناسلة!

والمنظور المهيمن في القصيدة بأكملها هو منظور ذاتي، فالذات وحدها تحكي، وتتأمل وتشكو.

ويلاحظ في القصيدة غلبة هذه السردية الواصفة، وهي بوجه عام تمثل الخلفية بحسب لانقاكر؛ حيث يرى أنه من المنحى السردي فإنّ الوصف السكوني يقوم بدور الخلفية في النص (لانقاكر، 2018، ص. 106)، وهكذا سارت القصيدة على هذا النحو السارد:

وقطفت أعشاب الخلود ألوكها
ما خلت أنّ الموت
شجّ مريئي
إيقاع عمري ساعة رملية
قلّبتها في سرعة وهدوءِ

وتستحضر حالة السرد هذه واقعة قطف أعشاب الخلود وقد عبرت عنها بجهة (التمام)، وكان المتوقع أن تكمل الوصف من هذه الجهة (aspect)، لكنها بدلا من ذلك اختارت أن تقدم وصف أكل تلك الأعشاب في صيغة (أفعل) وجِهة اللاتمام(aspect imperfective)؛ لتستحضر الواقعة وكأنها الآن، بل كأنها بدأت ولم تنتهِ بعدُ! ما يعني أن جهة (اللاتمام) هنا ستقوم بدور **الأمامية** على حين قامت جهة (التمام) بدور **الخلفية**، وهذا هو الفرق بين عبارة النص، وبين عبارة أخرى مفترضة أو متوقعة مثل: (وقطفت أعشاب الخلود ولُكتها) مثلًا، وهي عبارة مقبولة من حيث

من حيث الوزن الشعري، ومن حيث اتساق الزمن وجهة التمام، لكنها تفتقد إلى الديناميكية من جهة، وإلى حضور الصورة بأمامية وخلفية من جهة أخرى!

إنّ التركيب الإضافي في (أعشاب الخلود) يستدعي خلفية ثقافية ودينية، تمثل قاسمًا مشتركًا بين طرفي الخطاب؛ فهي تستدعي واقعة أكل آدم وحواء من الشجرة طلبًا للخلود! فهل كان الاستدعاء في النص لأجل التذكير بتلك الخطيئة أو لتسويغها؟ أو لتسويغ تكرراتها في الحياة/ المنفى/ القيد؟ وعن أيّ خلود كانت تبحث الذات يا ترى؟ أهو خلود مغاير للخلود/ الانعتاق الذي كانت ترومه لولم تحبس في الجسد أم أنه هو هو؟!

وبالمقابل عن أي موت شجّ مريئها تتحدث الذات؟ أهو الموت الذي هو نقيض الحياة؟ وكيف يستقيم هذا والذات ترى الحياة منفى وقيدًا؟ أم هو الحياة ذاتها؛ إذْ تشكل حالة موات للذات عبر حبسها وتقييدها؟ ويبدو لنا أن الخيار الثاني أقرب مع الحالة التصورية والشعورية في النص.

ومهما يكن من أمر فإن الفعل (خِلْت) يمثل واحدًا من بناة الأفضية؛ فهو يدمج فضاءين مختلفين أحدهما: شجّ الموت للمريء، والثاني نفي وقوع هذا الحدث، كما أن حرف النفي (ما) يشكل العبارة التي ستقوم برمتها بدور **الأمامية**، وأما **الخلفية** فافتراض أن الجملة مثبتة قبل أن يطرأ عليها النفي؛ ذلك أنّ «النفي يستحضر التصور المثبت لما يجري رفضه من حيث كان خلفية له» (لانقاكر، 2018، ص. 107).

وتستمر السردية الواصفة إلى أن يتخلص منها النص عبر طرح أسئلة، والأسئلة بطبيعتها تقتضي مشاركًا ربما ينظر للأمور من منظور مغاير غير ذلك الذي تبنته الذات:

هل جرأة تكفي
لتخلق دهشة فينا
كموت صادم وجريءِ؟
هل وجهي الكوني يذكر شكلهُ؟
فالطين أوغل فيّ منذ مجيئي!

بعد أن اشتغل السرد الواصف من عنوان النص إلى هذه الجزئية عارضًا لخيارات التكوين، والموت، والحياة، والمنفى، والانعتاق... يطرح سؤال الجرأة، وهو سؤال قد يبدو غريبًا إلا إذا ربطناه بسياق النص، حيث يحتاج سؤال الانعتاق إلى جرأة، وتحتاج مغادرة المنفى إلى جرأة، ويحتاج كسر القيد إلى جرأة كذلك! على أنّ الجرأة

معللة بخلق الدهشة! وكأنّ المنفى الذي لا حياة فيه، بل هو محض قيد ليس موطنًا للدهشة، وإنما الدهشة موطنها الحرية والانعتاق، والحرية والانعتاق يمثلهما الموت حيث تنعتق الروح من الجسد!

وهنا يجري صنع فضاءين يتبادلان الأدوار، حيث يلبس الموت لباس الحياة بما هو انعتاق وحرية للروح، وتلبس الحياة لباس الموت بما هي قيد ومنفى وحبس للروح في الجسد!

ويختتم النص مساره بالسؤال الثاني في سياق الحرية والانعتاق من جهة، والقيد والمنفى من جهة أخرى، ويساوق بين ثلاثة أفضية: فضاء الروح قبل أن تنفى وتحبس في الجسد، وفضاء الروح وهي مقيدة في الجسد وبه، وفضاء الانعتاق مرة أخرى بعد أن تنعتق من الجسد بفعل جرأة الموت! وهل الوجه الذي كان في الفضاء الأول سيحتفظ بملامحه بعد تجربته في الفضاء الثاني، ليعود في الفضاء الثالث كما كان في الأول؟ أم تجربة المنفى في الطين/ الجسد قد تكون تركت أثرها وفعلت فعلها فيه؟!

2-2-4: قصيدة: (للحب ذاكرة المكان)

يبدو هذا العنوان مكتمل العناصر على عكس عدد من العنوانات الأخرى، ويرد في جملة خبرية تقريرية تبدو كلافتة ذات بعد أفقي، سار فيه مسلك التركب من الحب إلى المكان مرورًا بالذاكرة بطبيعة الحال، وهي التي أسلفنا أنها تحضر في الديوان بشكل لافت.

لما وعدتك
والتزمتُ حدودي
مرّ الحنين مخالفًا
لوعودي
هو مدرك ضعفي أمامك
حينها
يجترّ ذاكرتي
لنبش لحودي

هنا مشهد مكون من خلفية تتمثل زمنيًا في وعد سبق وكان، وأمامية تتمثل زمنيًا كذلك في مرور الحنين، والحنين على ما يبدو سيكون حليفًا للريح، وللذاكرة في مصادمة الذات. كما تبرز فكرة القيود مجددًا لكنها هذه المرة قيود اصطنعتها الذات

لتقييد اندفاعها، وكبح جموحها إلى المخاطب، ويبدو أنّ الوعد كان البعد والنسيان، لكن الذاكرة والحنين يتحالفان مجددًا لخذلان الذات؛ لتنقض العهد والوعد الذي كان!

ويتجسدن الحنين في ذات مدركة تعابث الذات الحاكية، ويأتي الظرف (أمام) ليرسم أفقية المنظور، وهو ظرف بعكس (خلف) الذي تناولناه في نص سابق يدل على المواجهة، والوضوح، والانكشاف، وذلك اتكاء على تكوين تجربة الجسد البشري؛ حيث تكون العينان في الأمام، ومن ثم فكل ما هو(أمام) فهو في موضع المرئي والمنظور إليه، وكل من وقف (أمام) فهو في موقف الصادق والشفاف والشجاع أيضًا؛ لأن الجبن والغدر والمخاتلة لا تأتي إلا من (خلف)؛ لمغافلة الأعين!

ويلاحظ في النص حضور المنظور الذاتي، وحضور ضمير المتكلم بشكل كبير (13 مرة) فضلًا عن ضمير الفاعل...

جنّدتُّ عقلي والشعور؛
أقاوم الأشواق
فانقلبت عليّ
جنودي

ويظهر انشطار الذات الواحدة إلى ذوات يتآمر بعضها على بعض، ويقاوم بعضها بعضًا، حتى لتستحيل الذات نفسها إلى ساحة معركة لهذه الانشطارات وتضارب رغباتها، ومن ثم تحضر استعارة مركزية: (الحب=حرب)، وتحضر معها مفردات التجنيد، والمقاومة، والجنود، والانقلاب.

أمشي على غصص المسافة
دمعة ضاقت
بجفن متعب
وشريد

وهنا تبرز جهة (اللاتمام) في الفعل (أمشي) مقابلة لأغلب الأفعال منذ طلع النص التي وردت بصيغة (التمام)، لتنقل مشهد المشي إلى الأمامية كما صنع الفعل (يجتر) في المقطع الأول، وفي التركيب الإضافي (غصص المسافة) دمج بين فضاءين، الغصة التي تعترض في الحلق لتعيق عبور الهواء، أو الماء، وما شاكل ذلك، وهو فضاء مرتبط بالجسد، وفضاء المسافة وهو فضاء مكاني يفصل بين هدفين مكانيين، لينجم من ذلك فضاء ثالث متخيل تتمثل فيه مسافة ذات غصص!

ولا تفصح الأبيات عن طبيعة هذه المسافة، ولا المسار، ولا المصدر، ولا الهدف

بل تتوقف العبارة التالية كخلفية لأنها عبارة سرد واصفة ليس فيها حدث جديد، بل فيها وصف يستدعي مجددًا فكرة القيد والحرية، المنفى والانعتاق، حيث يبدو الجفن قيدًا يحتجز الدمعة، إلا أنها تضيق به، وتتمرد عليه لتفيض، وتتنسم رائحة الحرية!

حررتني بالحب حين وجدتني
الحب يقتل
لو مشى بقيود
الله أكبر
من عقوبة عاشق
ملقى
على سكك الحنين
طريد
الله أكبر
من خطيئة قبلة فرت
بلحظة
رعشة التنهيد
ما سر
هذا الحب يكبر داخلي
كالكون متسع
بغير حدود
تتأمل الأشياء
فتنة بعضها
عذرا
إذا أحببت فيك شرودي
أنفاسك الولهى
عروج آخر
أنا ما اكتفيت
فهل لنا بمزيد؟!

الحب حرية لا يستقيم حاله مع القيود، وفيضان الدمعة حرية ولا يستقيم حبسها

في الجفن، وقد تحررت الذات بالحب، وكسرت قيود المنفى، وتبني (لو) فضاء متخيلا يستحيل فيه الحب قاتلًا إذا كُبّل بالقيود، أما الفضاء الواقعي فهو أن الحب محرِّر لأنه في ذاته حُرّ من القيود.

وتلاحظ جهة (اللاتمام) في (يقتل) لإحضار اللقطة إلى الأمامية لتتضح بشاعتها بشكل أقرب! والأمر ذاته مع (يكبر) وكلاهما يدل على الاستمرار والتدرج.

وعلى مستوى القيد والانعتاق تظهر (القبلة)؛ لتعطي معنى مغايرًا للحرية، فإذا كانت حرية الذات انفلاتها من المنفى، وحرية الدمعة فرارها من قيد الجفن، فإنّ فرار (القبلة) خطيئة! لأن فضيلتها تعني تحيينها، وتقييدها للحظة، وليس في اللحظة! وبالتالي ستنضاف القبلة إلى قائمة المناوئين للذات؛ إذْ كان في وسعها أنْ تُقيّد اللحظة، لكنها لم تفعل ولاذت بالهرب! إذن القيد في حدّ ذاته ليس مشكلة وفق هذا المنظور الذاتي، فالمهم أن لا يتعلق هذا القيد بالذات، فأما إن كان هذا القيد سيعمل لصالح الذات فلا بأس، حتى ولو كان فيه اعتقال للحظة ما! ويبدو أنّ المنظور سيختلف إلى الأمر ذاته من ظرف/ نص إلى ظرف / نص آخر، فها هو الكون (وتكررت مفردة الكون في الديوان عددا من المرات) هنا يبدو حرّا من القيود، لكنه في ظرف/ نص آخر سيستحيل إلى معتقل كبير (والكون ليس سوى قيد ومعتقلِ)! (الهميلي، 2020، ص. 75)

3. الخاتمة:

سار هذا البحث في جانبين كبيرين، مثل أولهما الإطار النظري، وجرى فيه التعريف بأدوات التحليل المتبعة في البحث ضمن معطيات النحو الإدراكي، وتم هناك التعريف به، وبملابسات اشتباكه مع الدلالة الإدراكية، كما تعرض البحث لأهم أسئلة البحث النحوي الإدراكي، وتناول كذلك عدداً من فرضياته الرئيسة، وهناك جرى التعريف بمفهوم الأفضية، ومفهوم اندماج الأفضية، وذكر أبرز الأفكار ذات الصلة، وأما الجانب الآخر فكان تطبيقيًا، وقد رام اختبار الأدوات التحليلية للنحو الإدراكي عبر تحليل ثلاث قصائد، اختيرتْ بشكل عشوائي لا يحدها إلا قيد واحد، وهو ألا تكون عنواناتها قد حللت ضمن المسار الأول.

وقد خلص البحث إلى نتيجة كبرى نراها مهمة البحث وغايته، وهي أن النحو الإدراكي يقدم أدوات ناجعة للتحليل، ومقاربة النصوص كافة، والبحث وإن يكن قارب نصًا شعريًّا إلا أن الأدوات النحوية الإدراكية صالحة لمقاربة أي نص مهما يكن

نوعه؛ ذلك أنّ من فرضيات النحو الإدراكي الأساسية ما يسمى ب(الذهن الأدبي) أو خاصية الدمج، وهي خاصية تتميز بها الخطابات كافة؛ لأنها ميزة بشرية، يمتلكها البشر كافة، ويديرون بها حياتهم وحواراتهم اليومية، ونتاجاتهم الكتابية المختلفة.

المصادر والمراجع

باللغة العربية:

- البارقي، عبد الرحمن. (2013). *طبيعة معنى الحدث في العربية*، درا الكتاب الجديد المتحدة.
- البارقي، عبدالرحمن. (2023). *الإدراكيات مدخلا نقديا: الثيمة والبنى التصورية في مسرحية السلاح والرجل نموذجا*، مجلة عجمان للدراسات والبحوث، *2*، (1)، 264–274.
- البارقي، عبدالرحمن. (2024، شتنبر). *مسالك التركب واندماج الأفضية في عنوانات ديوان ظمأ أزرق لحوراء الهميلي: مقاربة نقدية في ضوء النحو الإدراكي*، مجلة جامعة تبوك للعلوم الإنسانية، 4، (3)، ج1، 289– 314.
- بعلبكي، رمزي. (1990). معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين.
- تورنر، مارك (2011)، مدخل في نظرية المزج، ترجمة: الأزهر الزناد، نسخة pdf
- أبوحيان. (1997). *التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل* (حسن هنداوي، تحقيق.). دار القلم: دمشق؛ وكنوز إشبيليا: الرياض.
- الزناد، الأزهر. (2010). *نظريات لسانية عرفنية*. الدار العربية للعلوم ناشرون؛ دار محمد علي للنشر؛ منشورات الاختلاف.
- سيبويه. (1988). *الكتاب* (ط3). (عبد السلام هارون، تحقيق.). الخانجي.
- العسكري، أبوهلال. (د.ت). *الفروق اللغوية* (عليه محمد إبراهيم سليم، تحقيق.). دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع: القاهرة.
- غنيم، أميرة. (2019). *المزج التصوري النظرية وتطبيقاتها في العربية مسكيلياني*.
- الفارضي. (2018). *شرح الفارضي على ألفية ابن مالك*، (محمد مصطفى الخطيب، تحقيق.). دار الكتب العلمية – بيروت.
- الفهري، عبد القادر الفاسي.، ونادية، العمري. (2009). *معجم المصطلحات اللسانية*، الكتاب الجديد المتحدة.
- لانقاكر. (2018). *مدخل إلى النحو العرفني*، (الزناد، ترجمة.). (الحبيب عبد

السلام، مراجعة)، معهد تونس للترجمة، دار قريش سيناترا.
- لايكوف، وجونسون. (2018). *الاستعارات التي نحيا بها*. (عبدالمجيد جحفة، ترجمة.). دار توبقال.
- اللحياني، سرور. (2010). *خصائص الرأس الفعلي وظواهر من انتظام المعجم*. منشورات كلية الآداب والفنون، والإنسانيات - منوبة.
- مجمع اللغة العربية بدمشق. (2014). *معجم مصطلحات الكيمياء*.
- الهميلي، حوراء. (2020). *ظمأ أزرق*. دار الانتشار العربي.

باللغة الإنجليزية:

- Brandt, P. A. (2004). Spaces , Domains , and Meaning: Essays in Cognitive Semiotics , Peter Lang.
- Evans, V. (2007). A Glossary of Cognitive Linguistics. Edinburgh University Press.
- Evans, V., and Green, M. (2006). Cognitive linguistics an introduction. Edinburgh University Press.
- Fauconnier, G., and Turner. (2002). The Way we Think: Conceptual Blending and the Mind's Hidden Complexities. A Member of the Perseus Books Group.
- Fauconnier, G. (1994) mental spaces: Aspects of Meaning Construction in Natural. Cambridge University press.
- Lakoff, G. (1987). Women, Fire, and Dangerous Things What Categories Reveal about the Mind. The University of Chicago Press
- Langacker, R. (2009). Investigations in Cognitive Grammar. Walter de Gruyter GmbH & Co. KG, D-10785 Berlin.
- Talmy, L. (2000). Toward A Cognitive Semantics (VOLUME I: CONCEPT STRUCTURING SYSTEMS) , A Bradford Book The MIT Press Cambridge, Massachusetts London, England.
- Turner, M. (2014). The Origin Of Ideas Blending, Creativity, and the Human Spark. Oxford University press.

المواقع الإلكترونية:

- معجم المعاني: https://www.almaany.com

المعرفة المعجمية وتحقيق الكفاية التواصلية

د. عثمان احمياني
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
جامعة محمد الخامس، الرباط
othman.ahmiani@flsh.um5.ac.ma
https://orcid.org/0009-0005-7336-4192

د. حميد دغوج
معهد الدراسات والأبحاث للتعريب،
جامعة محمد الخامس، الرباط
hamid.daghouj@um5.ac.ma
https://orcid.org/0009-0006-3699-9428

الملخّص

يعد المعجم أحد المكونات الرئيسة والأساسية في بناء اللغة وتنظيمها وتنميتها، وقد يؤدي ضعف المعجم ومحدوديته عند المتعلمين إلى إحباط واضح في كفايتهم المعرفية والتواصلية والاستراتيجية..

ولتطوير هذه القدرات، يفترض أن نمكن المتعلم من استبطان كم وافر ومفهوم من الوحدات المعجمية المقرونه بمعانيها المتنوعة والمختلفة، لأن الافتقار للمعرفة المعجمية يصبح عاملا كابحا لتطور الكفايات...

نفترض أن تسهم هذه المشاركة في إثارة بعض الأسئلة في هذا الخصوص، بالقدر الذي ستعمل على إبراز بعض مظاهر قصور تعليم المعجم بالشكل التقليدي، وما يترتب من قصور في مهارة القراءة والكتابة والمحادثة والاستماع، ونقترح بدل ذلك بعض الحلول لتطوير تعليم المعجم، اعتمادا على النتائج التي توصلت إليها النظريات الحديثة للسانيات المعرفية، على وجه التحديد، بخصوص مقاربات تدريس المعجم.

الكلمات المفاتيح: المعجم، الوحدات المعجمية، القاموس، الكلمة، المفردة، الكفاية المعجمية، الكفاية التواصلية، المعرفة المعجمية.

LEXICAL KNOWLEDGE AND THE ACHIEVEMENT OF COMMUNICATIVE COMPETENCE

Dr. Otman Ahmiani
Faculty of Arts and Humanities,
Mohammed V University,
Rabat, Morocco
othman.ahmiani@flsh.um5.ac.ma
https://orcid.org/0009-0005-7336-4192

Dr. Hamid Daghouj
Arabic Linguistics at the Institute of
Studies and Research for Arabization,
Mohammed V University, Rabat, Morocco
hamid.daghouj@um5.ac.ma
https://orcid.org/0009-0006-3699-9428

ABSTRACT

The lexicon is one essential components in building, organizing, and developing the language. The weakness and limitations of the lexicon may lead to clear frustration in the cognitive communication and strategic competence... for learners.

In order to develop these lexical abilities along with another, it is assumed that the learner has to internalized previously a sufficient and understandable amount of lexical units, coupled with their various and different meanings; because the lack of lexical knowledge becomes a factor inhibiting the development of many others cognitive competencies...

We assume that this participation will contribute to raising some questions in this regard, to the extent that it will highlight some aspects of the shortcomings of teaching the lexicon in the traditional way, and the consequent shortcomings in the skill of reading, writing, speaking and listening, and we suggest instead some solutions to develop the teaching of the lexicon. This is based on the findings of modern cognitive linguistics theories in particular.

Keywords: lexis - lexical units - lexical competence- lexical knowledge - volume and depth of lexical knowledge, cognitive adequacy - strategic sufficiency.

مقدمة

يشكل اعتماد المعجم في تدريس اللغات الثانية وتعليمها أهمية قصوى في الدراسات اللسانية المعاصرة، خاصة، بعد أن لقي هذا الجانب من اللغة تهميشا من مطوري المناهج الدراسية والباحثين فيها؛ حيث قل الاهتمام به لسنوات عديدة، وبعد أن تفطن الباحثون إلى دور هذا المكون اللغوي في تعلم اللغة وتدريسها، وفي عمليات معرفية متعددة. أنتجت نقاشاتهم العلمية «قدرا كبيرا من الدراسات النظرية والتجريبية حول هذا المكون» (Lee، 2012، ص. 853)، فظهرت بخصوصه مجموعة واسعة من المفاهيم والمصطلحات.

إن المعجم عنصر أساسي في اكتساب اللغة، يشعر النقص به عند المتعلم إلى إحباط كبير لدى المتعلمين يحول دون تحقيق كفايتهم التواصلية، فلا يستطيعون نقل ما يريدون التعبير عنه عند المحادثة أو الكتابة في وضعية الإنتاج والاستقبال، وفي هذا الصدد، يشير فولس (Folse، 2004) إلى أنه «مع ضعف المعرفة بالمعجم، يكون التواصل مقيدًا إلى حد كبير؛ إذ يمكن التواصل بدون قواعد نحوية، ولكن لا يمكن التواصل بدون وحدات معجمية» (ص. 2).

لكل ذلك نسخر هذا البحث لتحديد دور المعجم وأهميته في دعم تعلم اللغات، ونستهل الأمر بحصر مجموعة من الاستعمالات المصطلحية المتصلة بهذا المجال المعرفي وتوضيحها، من قبيل: القاموس؛ والمعجم الذهني. ثم ربطهما بظاهرتي الاكتساب والتعلم، لننتهي في الأخير إلى بعض الأدبيات اللسانية التي تروم تأكيد دور المقاربة المعجمية في تحقيق الكفايات التواصلية باللغات.

حول حدود القاموس والمعجم الذهني

يقابل مفهوم «القاموس»، في بعض الأدبيات مفهوم «المفردات اللغوية/ الملفَظة» (الفاسي الفهري، 2019)، وتعرّفه بعض القواميس الإلكترونية بأنه: «الكلمات التي تتكون منها اللغة؛ أو كل الكلمات التي يعرفها الشخص ويستخدمها؛ أو كلمات مرتبطة بموضوع معين» (Merriam، 2015). في حين يصف معجم كامبريدج (2016) Campridge «القاموس» بأنه: «الكلمات التي يعرفها أو يستخدمها شخص معين، أو تلك المستخدمة في لغة أو موضوع ما»، ويعرف ماكاميلان (2009– 2016)

Macmillan «القاموس» أيضًا بأنه: «كل الكلمات التي يعرفها الشخص، أو كل الكلمات في لغة معينة» (Mendinueta and Caro، 2017).

تتقاطع التعريفات المذكورة أعلاه مع العديد مما قدمه بعض العلماء في مجال اللسانيات النظرية والتطبيقية؛ فعلى سبيل المثال أكد لاينز ونونان (Nunan and Linse، 2005) أن: «القاموس هو مجموع الكلمات التي يعرفها الفرد»، ويتفق كل من ريتشاردز وشميدت (Schmidt and Rchards، 2010) على أن: «القاموس هو مجموعة من الليكسيمات/ المفردات، بما في ذلك الكلمات غير المركبة، والكلمات المركبة، والتعابير المسكوكة». كما أوضح كامل وهيبرت (2005) أن «القاموس عمومًا هو معرفة معاني الكلمات».

وقد تم مؤخرا تقديم مصطلح القاموس واستخدامه تبادليا مع مصطلح المعجم؛ ويشرح باركروفت وسندرمان وشميت (Schmidt، 2011) الأمر على النحو التالي:

يشير مصطلح lexis، في اليونانية القديمة إلى الـ «كلمة»، ويحيل على جميع الكلمات والمفردات في اللغة، وقد تحدث أفلاطون وأرسطو عن القاموس وربطاه بكيفية استخدام كلمات اللغة بشكل فعال (Mendinueta and Caro، 2017، ص. 206). ويقترح جاكسون وأمفيلا (Amvela and jacksen، 2000) «أن القاموس lexis والمعجم lexicon والمفردات اللغوية vocabulary مصطلحات مترادفة تحيل على المخزون الكلي لكلمات لغة معينة، مع افتراض وجود تنظيم داخلي للوحدات المعجمية» (ص ص. 11–12). ودعم ذلك كل من لارسن وفريمان وديكاريكو (Decarrico and Freeman Larsen، 2010) باعتبارهم القاموس/ lexis أو الوحدات المعجمية يشمل «...ليس فقط التركيب والصرف ولكن أيضًا الصوتيات والصواتة والدلالات والمعجم» (Caro and Mendinueta، 2017، ، ص. 206).

تدل لفظة القاموس، عموما، على كتاب يضم بين دفتيه لائحة من اللكسيمات الخاصة بلغة معينة، تنتظم ألفبائيا أو صوتيا أو دلاليا، وتضم معلومات حول تعريف هذه الوحدات المعجمية، وتاريخ استعمالها (إتيمولوجيا الكلمة)، وطريقة تهجيتها، فهو مرجع معجمي يوضح العلاقات الداخلية بين المفردات. وقد تتعدد القواميس حسب مرجعيتها وأهدافها بين العامة والخاصة الموجهة لفئات مجتمعية معينة وأهداف بعينها، تكون أحادية اللغة أو متعددة اللغات...

وفي مقابل ذلك، نتحدث عن مصطلح المعجم الذهني باعتباره مخزون الكلمات

الإنساني المتسم بالتجدد والتطور والدينامية، عكس القاموس المتميز بكونه لائحة محدودة ونهائية موسومة بالثبات. ويعود أول استعمال لمصطلح المعجم الذهني إلى آن تريسمان (Triesman، 1961).

وقريبا من هذا الطرح يرى شومسكي أن المعجم عبارة عن قائمة من الوحدات اللغوية التي لا تتبع مبادئ (النحو الكلي) في بنائه، فيشكل بذلك مصدر تباين بين اللغات (النحو الخاص)، بحيث يغطي هذا الأخير مظاهر فنولوجية ومرفولوجية واختيارات ذريعية وأشياء أخرى تدخل ضمن اختلاف اللغات (Chomsky، 1955، ص. 216).

وأعمق من ذلك يصور فودور (Fodor، 2002) المعجم الذهني على أنه خطاطات ذهنية في شكل عجر مترابطة، وكأنه آلة حاسوبية تجمع العلاقات التعريفية للوحدة المعجمية. في حين يفترض بينكر (Pinker، 1998) أن المعجم الذهني مسألة متصلة بامتلاك الإنسان لآلية نفسية مصممة لمعالجة الوحدات المعجمية وربطها بالنحو الذهني، فيعملان معا على التأليف بين الكلمات، وذاك ما عبر عنه أيضا أولمان وآخرون (Olman and all، 2005)، الذين اعتبروا المعجم الذهني ثنائية مخزنة في الذهن، تربط الصوت بالمعنى، وتعبر عن الكلمات في السياق والكلمات العارية عنه والمسكوكات، فتعمل في تناسق تام مع النحو الذهني بهدف التأليف، وقد عبر جاكندوف عن هذه الفكرة بشكل أوضح معتبرا المعجم قالبا مخزنا في الذاكرة البعيدة المدى للإنسان، التي يبني منها النحو والجمل والعبارات (دوسوسا وآخرون، 2020)... فالكلمة بحسبه مركب من البنيات الصواتية والتركيبية والدلالية؛ ويسمى هذا المخزون عادة معجما (جاكندوف، 2007، ص. 140).

وفي طرح آخر يرى روكس (Roux، 2013) بشكل أعمق، أن المعجم الذهني تمثيل جماعي للكلمات في الذهن؛ يراعي في العموم الأبعاد الشخصية والاجتماعية المشتركة والسياقية للكلمة ومعناها، مما يساهم في اكتساب اللغة وحفظها واستدعائها كلما دعت الضرورة إلى ذلك (أليونيا، 2020، ص. 91).

وتطرح مسألة استدعاء الوحدات المعجمية مركزية الاختلاف بين القاموس والمعجم الذهني؛ فإذا كانا معا يتماثلان في حفظهما للوحدات المعجمية؛ فإن القاموس يظل ثابتا منذ تاريخ نشره واعتماده، فهو ببساطة متن من المعلومات عن المفردة، لهذا يتطلب استدعاء أي وحدة من القاموس بالضرورة معرفتك بطريقة

ترتيبه، والوعي بالمعايير المعتمدة للبحث فيه، وطبيعة المداخل، فيتطلب النفاذ إلى المطلوب جهدا وزمنا ليس بالهين، بينما استدعاء نفس الوحدة من المعجم الذهني وإن كان لا يستغرق منا إلا هنيهات للنفاذ إلى المطلوب، فإن هذه السرعة مشروطة بتواتر الاستعمال والمعرفة التامة بسياقات التوظيف الممكنة والقدرة على التخيل، فالمعجم الذهني على هذه الصورة، مزيج بين مدركات لغوية وأخرى غير لغوية عبارة عن تمثيلات تصورية غالبا ما تكون مستمدة من تجربة الإنسان الواقعية، سمته الأساس الموسوعية والتطور والتحديث.

وإذا كانت حدود المصطلحين، المعجم الذهني والقاموس، قد أصبحت واضحة من خلال ما سبق، فإن هذا التمييز يكون تقنيا في إطار تحديد المداخل المتعلقة بكل مصطلح على حدة، أما في الاستعمال فإن الاصطلاحين ممتدان يطال إطلاق أحدهما للدلالة على الآخر. وأمام هذا التوضيح يمكن الانتقال إلى فحص أطروحة البحث المتجلية في كيفية اكتساب الإنسان للوحدات المعجمية وتعلمها، ودورها في تقوية كفايته التواصلية وتعزيزها.

كيفية اكتساب المعجم وتعلمه

اكتساب المعجم

يعد اكتساب الأفراد للكلمات أمرا عفويا، يتم بشكل غير واع ولا إرادي وغير مقصود وبدون مجهود يذكر، فتجد أن الذهن يستبطن عددا كبيرا من الوحدات المعجمية التي استقرت في ذاكرته القريبة أو البعيدة المدى حسب شدة تواترها واستعمالها، يستدعيها الاستعمال بعد أن تسللت إلى هذه المواقع من الذاكرة عبر منافذها الحسية على العالم الخارجي، واستقبالها عبر الأعضاء الأحيائية المسؤولة عن ذلك، وحوسبتها في الذهن عبر عمليات معقدة لم يصورنها العلم بعد، فترسخت بالذاكرة عبر الاحتكاك بالتجربة اللغوية المجتمعية (الإغماس)، بما تحمله هذه التجربة من مداخل لغوية وغير لغوية تصورية وتخييلية وثقافية اجتماعية بالأساس.

فيساعد هذا الوعي المعجمي الطبيعي الأفراد على تطوير قدراتهم على استعمال اللغة قصد ترميز المعنى، من جهة، وبلوغ تواصل واضح وبناءٍ حقيقي من جهة ثانية.

كشفت بعض الدراسات أن سعة المعجم الذي يمكّن أن يتحصّل عليه مكتسبو اللغة الأم قد يتراوح بين 50.000 و150.000 وحدة لغوية كما جاء على التوالي في

آيتشسن 1987 وناسيون 1990 و2001، لكن حقيقة هذه الأرقام تبقى تخمينات وليست حقيقة علمية قطعية.

عموما يوازي الاكتساب عمليات تخزين وبناء المعجم الذهني بشكل مفتوح على ما تستقبله أنساق الدخل من معلومات الوحدات المعجمية غير المقيدة سياقيا، وحتى في سياقاتها الممكنة، وما يمكن أن تنسجه من علاقات ذهنية مع وحدات معجمية من نفس الحقل الدلالي والمرادفة أو المضادة... بينما يبقى القاموس وسيلة بيداغوجية يُرجع إليها لإرساء التعلمات وبنائها.

تعلم القاموس:

مما لا شك فيه أن الحديث عن التعلم هو حديث عن اللغة الثانية التي يقتضي الحديث عن ضبطها وإتقانها الوعي بكل كفايات تحقق التعلم المتصلة بمهارات القراءة والاستماع والكتابة والمحادثة، وهي مستويات تعليمية لا يمكن استقامتها خارج تعلمنا لقاموس اللغات المتعلمة، وتمَكُّنُنا من عدد مهم منها، يسعفنا على استيعاب المقروء والمكتوب والمسموع من دوال تحمل تصورات دقيقة، نفعلها ونستثمرها في محادثاتنا أيضا. فالقاموس على هذا الأساس يمثل قطب الرحى في العملية التعليمية التعلمية للغة بشكل عام.

وفي هذا الصدد يقدر أندرسون (1984) أن متعلمي اللغة الثانية المتميزين يتحصلون على 10.000 كلمة من تلك اللغة، ويدفع هذا الاختلاف في الأرقام مقارنة بعدد المفردات اللغوية الموجودة في اللغات إلى الانتهاء من الخوض في هذا الجدال، خاصة مع عدم وجود اختبارات واضحة تمكن من الاهتداء إلى نتائج دقيقة ونهائية.

وعلى الرغم مما يمكن أن يقال بشأن عدد المفردات المشروطة لتحديد مستوى تمكن الفرد من اللغة الثانية، فإن التحصل على عدد كبير من الوحدات المعجمية وغنى الرصيد المعجمي سيبقى سمة فارقة في الحديث عن الكفاية التواصلية.

بين الكفاية المعجمية والكفاية التواصلية

تقتضي موازاة بعض الأدبيات اللسانية بين الكفاية المعجمية والكفاية التواصلية في تعلم اللغات، ضرورة، بسط المفهومين؛ ففي عام 1980، نشر كانال وسوين Swain and Canale (1980) مقالًا مؤثرًا تطرقا فيه إلى أن القدرة على التواصل تتطلب أربع كفايات فرعية مختلفة:

- الكفاية النحوية (القدرة على إنشاء أقوال صحيحة نحويًا)؛
- الكفاية السوسيولسانية (القدرة على إنتاج أقوال مناسبة للمحيط اللغوي الاجتماعي الذي تنتج فيه)؛
- الكفاية الخِطابية (القدرة على إنتاج أقوال منسجمة ومتماسكة تشكل نصا)؛
- الكفاية الإستراتيجية (القدرة على حل مشاكل الاتصال فور ظهورها).

ما يلاحظ على كانال وسوين في تحديدهما للكفاية التواصلية هو تغييبهما للمادة الأساسية التي تنسج منها هذه الكفايات الفرعية، إنها **الكفاية المعجمية** أو ذلك المظهر من الكفاية التواصلية الذي يتعامل مع معرفة المعجم أو المفردات ومعانيها والقدرة على استخدامها بشكل مناسب في سياقات تواصلية مختلفة، ولكي يحصل التواصل وتنجح عملياته لابد من توفر ذخيرة ليكسيمية قائمة على مجموع الكلمات الواضحة المعنى دلاليا ونحويا.

إلا أن هناك من الباحثين من يفضل تعليم القواعد النحوية أولا ويعتبر المعجم مستوى ثانويا في تعلم المهارة التواصلية واكتسابها، ومن بين الأعمال التي تفند هذا الطرح نجد فولس (2002؛ 2004ب) الذي دحض مجموعة من الآراء التي همشت دور المعجم في بناء الكفاية التواصلية، فجمعها في ثماني فرضيات سماها أساطيرا لضعف حجيتها وابتعادها عن المنطق، مبرزا ضعفها من خلال معطيات تجريبية ونظرية تثمن دور المعجم في تعليم اللغات الأجنبية بشكل عام دون أي استثناء للقواعد النحوية. فما هي هذه الفرضيات؟ وما هي تجليات الأسطورة فيها؟

فرضيات وطرائق تعلم اللغات المهملة لدور المعجم

تبعا لفولز تتحدد المقاربات التعليمية المهملة لدور المعجم في عملية تعليم اللغات في ثماني فرضيات للتعلم تعبر عنها الإحالة (14) في التوثيق ونعيدها بتفصيل بعد فولز في الآتي:

(1) المفردات ليست مهمة في تعلم لغة أجنبية مثل القواعد النحوية أو المستويات اللغوية الأخرى.

(2) ليس من الجيد استخدام لوائح الكلمات عند تعلم اللغة.

(3) يُتعلَم المعجم عبر تقديم الوحدات المعجمية في حقول دلالية.

(4) استخدام الترجمات وسيلة سيئة لتعلم وحدات معجمية جديدة.

(5) يعد حدس معاني الكلمات من السياق مثمرًا لمتعلمي اللغة الأجنبية كما هي الحال بالنسبة إلى متعلمي اللغة الأولى.
(6) يسلك أفضل متعلمي المفردات من واحدة أو اثنتين فقط من مجموع استراتيجيات تعلم الوحدات المعجمية الفعالة.
(7) يجب على متعلمي اللغة الأجنبية استخدام قاموس أحادي اللغة.
(8) تُغطَّى الوحدات المعجمية بشكل كاف في المناهج التعليمية.

يقتضي كشف البعد الأسطوري في هذه الفرضيات بسط هذه الأطروحات (الأسطورات)، والتي من خلالها قد نصل إلى اقتراح السبيل الأنسب لتعلم معجم اللغة الثانية، وكيفية تحقيق الكفاية التواصلية به ومن خلاله.

يتعلق الطرح الأول حول تعليم لغة ثانية؛ بالتركيز على القواعد النحوية بشكل أساسي، بدل التركيز على المعجم: وهذا تصور غير سليم مادام نقص المعرفة بالقواعد النحوية يكون أقل ضررًا في اكتساب اللغة الثانية من نقص المعرفة المعجمية، ويرجع ترجيح المعرفة المعجمية عن المعرفة بالقواعد النحوية، إلى دور المدخلات المعجمية المفهومة في مساعدة المتعلمين على فهم الطريقة التي تشتغل بها اللغة، فإذا كان معجم اللغة التي يسمعها المتعلم أو يقرؤها غير معروفة ولا مفهومة، فإنه لن يستوعب معناها، وبالتالي لا يمكن تمثلها داخليا، أي: أنه بدون معرفة معجمية، لن تكون المدخلات مفهومة. فيصبح التعلم محنة لا يقوى المتعلم على تحملها، ومن هنا تبدو الحاجة ملحة إلى تعلم المفردات المعجمية باعتبارها التحدي الأكبر عند المتعلمين.

تعد القراءة والكتابة من أهم المهارات التي ترقي مستوى المتعلم، ولكنهما بدون معجم يبقيا مجرد عناوين؛ لأن المعجم هو الوسيط الأهم الذي يمكن المتعلم من خوض غمارهما سواء في اللغة الأولى أو اللغة الثانية.

ويوضح هوكين وبلوش (Bloch & Huckin، 1993)، أن «نقص المعرفة بالمفردات هو أكبر عقبة أمام قراء اللغة الثانية ينبغي التغلب عليها، وقد أظهرت الأبحاث أن قراء اللغة الثانية يعتمدون بشكل كبير على معرفة المفردات» (ص. 154)

وبين هاينز وبيكر (Baker and Haynes، 1993) أن العقبة الرئيسة أمام قراء اللغة الثانية، لا تكمن في الافتقار إلى استراتيجيات القراءة؛ ولكن بالأحرى في عدم كفاية معرفتهم بالمفردات المعجمية ومدلولاتها في اللغة المتعلَّمة، ويوضح لوفر وسيم

(Sim & Laufer، 1985) هذه المجالات حسب أهميتها في القدرة على القراءة في اللغة الثانية، فيضع معرفة المفردات أولا، ويتبعها بنص الموضوع، ثم علامات تنظيم الخطاب[1]، ويرتب في الأخير البنية التركيبية.

باختصار، وجد الباحثان، لوفر وسيم، أن المفردات المعجمية هي الأكثر أهمية من القواعد النحوية، وبموازاة دورها في قراءة اللغة الثانية، يمكن أن يكون لمخزون مفردات اللغة الثانية تأثير كبير على مهارات الكتابة لدى المتعلمين حسب لوفر (1998) وفي مهام الاستماع والتحدث تبعا لـ جو (1995).

ورغم أن العلاقة التبادلية بين المعجم ومهارة الكتابة والاستماع لا تعني السببية، فقد أظهرت الدراسات التجريبية أن من يمتلك ذخيرة معجمية مهمة من المتعلمين في اللغة الثانية، هم الذين يقرؤون ويكتبون ويتحدثون ويستمعون بطريقة جيدة.

ولفترة طويلة جدًا، ظل التركيز في تعليم اللغة الثانية بشكل خاطئ على القواعد النحوية، رغم أن المتعلم يمكنه التعبير عن نفسه مع ضعفه في ضبط هاته القواعد، فكلما ضعف المعجم صار التواصل مقيدا ومحدودا إلى حد كبير؛ فقد يقدر المتعلم على التواصل بدون ضبط القواعد النحوية؛ ولكنه لا يستطيع التواصل بدون معجم.

وتنص **الطريقة الثانية** على تفنيد الأطروحة القائمة على أن «استخدام لائحة المفردات عند تعلم معجم لغة ما طريقة غير مجدية»، بطبيعة الحال، قد يكون استخدام اللوائح مملًا لبعض المتعلمين، ولكن لا يوجد دليل يثبت غياب الاستفادة الجيدة من اللوائح، وأن من لا يخزن لوائح من الكلمات لا يكون أفضل حالًا ممن يمتلكها، ذلك أن بعض المتعلمين يفضلون التعلم بحفظ أساليب التواصل عن ظهر قلب؛ وهو تفضيل يرجع إلى خلفية تعليمية تقليدية تعتمد هذا الأسلوب بشكل كبير، وقد يعود ذلك إلى الاختلافات الفردية بين المتعلمين، ورغم كل هذا فإن للوائح دورا مهما في تعليم معجم اللغة.

ولأن اللائحة قد تكون فعالة؛ فإن ذلك لا يعني أن تعطى للمتعلمين ونطالبهم بحفظها واستظهارها، لأن محتواها هو الهدف، ويبقى للمدرس اختيار الطريقة التي يقدم بها أجزاء من اللائحة للمتعلمين بطرق شيقة وذات مغزى، مع تقديم أنشطة التطبيقات الشفهية والمكتوبة المرتبطة بأجزاء تلك اللائحة.

(1) واسمات الخطاب، هي كلمات وعبارات تستخدم لمراقبة وتنظيم بنية الخطاب؛ بواسطتها تترابط الجمل دون تغيير المعنى العام لما يقال. تُعرف واسمات الخطاب أيضًا باسم كلمات أو مركبات الربط، أو موصلات الجملة.

تقترح **الأطروحة الثالثة** أنه يجب تعلم المفردات ضمن مجموعات دلالية: فالتنظيم الشائع الاستخدام للكلمات في مجموعات دلالية ليس أسلوبًا جيدًا؛ لأنه يربك المتعلمين ويمكن أن يكبح الاحتفاظ بالمفردات في الذاكرة، ورغم ذلك ما يزال مستمرا لأنه من الأسهل بكثير على مؤلفي المناهج والمعلمين تقديم المفردات في مجموعات دلالية، من قبيل: أفراد الأسرة، أو الحيوانات، أو أيام الأسبوع، بدلاً من تصميم نصوص قصيرة قادرة على استيعاب جميع الكلمات ضمن لائحة المفردات؛ وفي مقابل ذلك تظهر الأبحاث أن النتيجة النهائية هي أن المتعلمين يتذكرون المفردات بسهولة أكبر عندما تُقدم في نصوص موضوعاتية، مثل توزيع الكلمات من المجموعات الدلالية لأفراد الأسرة والحيوانات وأيام الأسبوع في المجموعة الموضوعية لنص رحلة إلى الشاطئ:

«يوم السبت الماضي ذهبت إلى الشاطئ مع أخي وابن عمي. أراد أخي أن يأخذ طائره المدلل معنا، لكن ابن عمي وأنا تحدثنا معه عن هذه الفكرة المجنونة. اتصل ابن عمي بوالديه للتأكد من سماحهما له بالذهاب معنا فوافقا. قضينا وقتا ممتعا على الشاطئ. لقد رأينا العديد من الأشخاص والكثير من الأسماك. عندما وصلنا إلى المنزل ليلة السبت، تحدثنا عن الذهاب إلى الشاطئ مرة أخرى يوم الأحد. لقد تعبنا حقًا، لذلك قررنا الاستيقاظ في وقت متأخر من صباح الأحد».

يشتمل هذا المقطع المختصر جدا على أسئلة مكملة من شأنها أيضًا تعزيز تكرار استرجاع المفردات للمتعلمين، حيث تم ذكر يومين من الأسبوع (السبت، الأحد)، وذكر حيوان (سمكة)، وذكر ثلاثة أفراد الأسرة (الأخ، ابن العم، الوالدين)، وقد يكون هذا التقديم أيضا متفوقا لأن المفردات المعروضة هي أعلى ترددا من مفردات المجموعة الدلالية الأخرى فـ (السبت والأحد أكثر ترددا من الأربعاء والخميس) ولأنهما في مجموعات متكررة (السبت والأحد، ليلة السبت، صباح الأحد).

وقد وجد تينخام (1993) Tinkham أن هناك صعوبة في تعلم الكلمات الجديدة المقدمة ضمن مجموعات دلالية لدى المتعلمين أكثر من تعلمهم كلمات غير مرتبطة دلاليا، وباستخدام إعادة الإنتاج عند المتعلمين اليابانيين فقط، وجد وارين (1997) Waring أن المتعلمين يحتاجون إلى حوالي 50 ٪ من الوقت لتعلم أزواج الكلمات المترابطة أكثر من الأزواج غير المترابطة، وتوصل تينخام (1993) إلى أن لتعليم

المفردات في حقول دلالية تأثيرا سلبيا على تعلم المفردات، بينما كانت المجموعات الموضوعاتية الموظفة في الخطاب سهلة التعلم.

تذهب الأطروحة الرابعة إلى أن استخدام الترجمة طريقة سيئة لتعلم المفردات: وتدعو هذه المنهجية المدرس إلى ضرورة تشجيع المتعلم على استخدام اللغة الهدف في الفصل الدراسي، إلا أن مواجهة المتعلم كلمة جديدة لأول مرة، تدفعه إلى ترجمتها في نفسه أو يكتبها على دفتر ملاحظاته مع مقابلها في اللغة الأولى، وخلاصة القول حسب هذا الطرح، إنه يجب على المتعلم تعلم كلمات جديدة في اللغة الثانية باللغة نفسها، كما لو كان إنشاء ارتباط ذهني بترجمة اللغة الأولى ضارًا. لكن هناك مجموعة من الباحثين أظهروا أن الترجمة ليست فقط ما يفضله المتعلمون ولكنها أيضًا وسيلة أكثر فعالية من مسارد اللغة الثانية؛ وقد أظهرت العديد من الدراسات التجريبية قيمة ترجمات اللغة الأولى في أنشطة تعلم المفردات واستعمالها للتواصل (Hulstijn 1992؛ Knight 1994؛ Prince 1995؛ Plass & Chun 1996؛ Laufer & Shmueli 1997؛ Grace 1998؛ Hulstijn & Laufer 1998)، وقد خلص خبراء المفردات إلى أن تعلمها يكون أسرع لدى العديد من المتعلمين إذا قُدِّم معنى الكلمة من خلال ترجمتها إلى اللغة الأولى أولاً. كما وجد كل من هولستين وهولاندر وجريدانوس (Hulstijn all and، 1996) أن ترجمات التحشية الهامشية للمفردات الفرنسية أدت إلى تعلم أفضل للمفردات، وأن الدور الحقيقي للمتعلم هو حث المتعلمين على ضرورة الوصول إلى مسارد الكلمات ومراجعة معاني المفردات (Zargham و Sadat، 2012 ص. 94)؛ وفي دراسة أجريت على طلبة جامعيين هولنديين يتعلمون اللغة الإيطالية، وجد لوطو وجروت (Groot and Lotto، 1998) أن درجات الاحتفاظ بالكلمات كانت أعلى بشكل ملحوظ بالنسبة إلى الطلاب الذين يتعلمون بواسطة الترجمات، مقارنة بأولئك الذين يتعلمون بواسطة الصور.

وفي دراسة حول متكلمي اللغة الإنجليزية كلغة أولى يتعلمون اللغة الفرنسية كلغة ثانية، وجدت غراس (Grace، 1998) أن الترجمة خيار قابل للتطبيق، إن لم يكن مفضلاً عند العديد من متعلمي اللغة الثانية في المستوى الأول؛ وأظهرت النتائج التي توصلت إليها أن الطلاب الذين تمكنوا من الوصول إلى إنجاز مسرد خاص بهم يشرح اللغة الثانية بلغتهم الأولى، كانوا أكثر نجاحًا في الاحتفاظ بمفردات جديدة، ربما لأنه أتيحت لهم الفرصة لتأكيد المعاني الصحيحة.

أخيرًا، وجد برانس (Prince، 1995) أن الطلاب الأقل كفاءة كانوا قادرين على تذكر المزيد من العناصر عندما تعلموا الكلمات في حالة الترجمة بدلاً من حالة السياق.

تقول الأسطورة الخامسة: يعد حدس معاني الكلمات من السياق طريقة مثمرة لمتعلمي اللغة الأجنبية، أو اللغة الأولى على حد سواء.

بالنسبة إلى المتكلم الفطري، قد توجد كلمة واحدة غير معروفة في فقرة القراءة، بينما تقدم له كل الكلمات الأخرى سياقيا من الكلمات المعروفة، وقد يواجه متعلم اللغة الثانية في مقطع القراءة عدة كلمات غير معروفة، تكون بمثابة دوال بدون معنى أو مضللة له، فعلى الرغم من معرفة المتكلمين الفطريين بمعجم لغتهم الأصلية فإنهم ليسوا ناجحين دائما في حدس معاني الكلمات من السياقات الواردة، لأن أدلة السياق المفيدة نادرة في مقاطع اللغة.

وبناء عليه، فمن غير الواضح أن نتساءل حول عدم حدس متعلمي اللغة الثانية معنى الكلمات من السياق، إذا كانوا لا يمتلكون ذخيرة معجمية، مادام المتكلمون الفطريون لا يتوفقون في فعل ذلك.

قد تكون هذه الأسطورة هي الأكثر إثارة للجدل من بين جميع الأساطير، وهي مثل العديد من الأساطير الأخرى ضاربة بجذورها في الافتراض الخاطئ الذي يفيد أن سيرورة تعلم لغة ثانية مشابه تماما لتعلم اللغة الأولى. وتختلف هاتان العمليتان اختلافا بيّنا، لأن اللغة الأولى تُتعلم أغلب مفرداتها بشكل ضمني، بينما اللغة الثانية تُتعلَّم مفرداتها عبر التعرض لها عدة مرات في سياقات عديدة بالسمع والرؤية. في حين لا يتمتع متعلم اللغة الثانية بتكرار كاف للكلمة، فأغلب المتعلمين البالغين الذين يحققون درجة من الطلاقة في اللغة الثانية في وقت قصير؛ لا يمتلكون وقتا كافيا للقيام بالقراءة اللازمة حتى يقابلوا المفردات الأكاديمية/ الممعيرة مرات عديدة في اللغة الطبيعية. وفي ذروة التركيز على تقنيات التواصل و«المقاربة الطبيعية»، كان التعليم الذي يتضمن مكونات اللغة من تركيب ونطق ومعجم وتدخلات المعلم لتصحيح الخطأ، مثلا، سيئا للغاية.

فلم تُدرَّس المفردات بشكل صريح أو منهجي؛ وكان من المفترض أن يكتسب الطلاب تلقائيًا أي مادة -بما في ذلك المفردات- التي توفرها المداخل المفهومة؛

وكان تشجيع الطلاب (والمدرسين خلال التدريب) على فهم جوهر الكلمات غير المعروفة، بدل التركيز على تركيبها. ومن المفارقات، أنه يجب على المتعلم أن يمتلك كمًّا معجميا وافرا، ليتمكن من حدس معنى الكلمات غير المعروفة عبر أدلة سياقها الضيق بنجاح؛ الشيء الذي يعرقل تعلم من لا يتوفر على كم معجمي وافر؛ ففي البحث عن تأثير نوع التمارين الكتابية حسب فولز (1999)، وجدت أن المتعلمين الذين يمتلكون ما يكفي من الوحدات المعجمية المعروفة، يستطيعون استخدامها لتعلم كلمات جديدة أخرى من السياق. بدليل أن المتعلم المتمكن من كم وافر من الوحدات المعجمية المفهومة يكون أفضل إنتاجا واستقبالا للكلمات في السياق مقارنة مع المتعلم الفقير معجميا. وقد خلص البحث أيضا إلى أن استخدام السياق الطبيعي لحدس معاني الكلمات عملية معقدة إلى حد كبير، تُعَرِّض متعلمي اللغة الثانية للخطأ؛ ورجح تذكر المتعلم شكل ومعنى الكلمة حين يستنتج معناها بنفسه، عن تذكرها عند إعطائه معناها جاهزا، كما رجح أن يستنتج المتعلم، من تلقاء ذاته، معنى خاطئا لكلمة تكون غير معروفة في اللغة الثانية حين لا يُعطاه أي تلميح إلى معناها في السياق.

إن ما يحتاجه متعلمو لغة ثانية ليس إغماسهم في القراءة فقط، بل إضافة إلى ذلك يحتاجون إلى استخدام مفردات مفهومة ومخطط لها؛ ففي دراسة أجريت على طلبة جامعيين مستواهم متوسط في الأنجليزية كلغة ثانية، (38 طالب)، قارَن كل من ويتش وباريباخت (1994) Paribakht and Wesche مجموعتين: الأولى توجه للقراءة فقط، والثانية تتمرس على القراءة-والكتابة في الآن نفسه (أي: تقدم لها إضافة إلى القراءة تمارين مسترسلة لممارسة الكتابة)؛ فوجدا أن مجموعة 'القراءة فقط' حققت مكاسب كبيرة بخصوص معرفة الكلمات، بينما حققت مجموعة القراءة والكتابة مكاسب أكبر، وبشكل ملحوظ، وأظهرت عمقا أكبر في معرفتها بالكلمات المستهدفة أو المخطط لها.

عموما فتعلم المفردات في السياق يبقى أنجع وسيلة لتعلمها وتثبيتها في الذاكرة وهو ما دافع عنه مكارتي (McCarthy، 1990) الذي يرى أن الكلمة التي تُتعلَّم في سياق ذي معنى هي التي يمكن استيعابها وتذكرها (Zargham وSadat، 2012، ص. 96).

تقترح **الأسطورة السادسة** أنه يجب على متعلمي اللغة الثانية استخدام استراتيجية واحدة أو اثنتين فقط من استراتيجيات تعلم المفردات. لكن يرى فولس، أن ادعاء

وجود استراتيجية «سحرية» خاصة لتعلم مفردات اللغة الأجنبية مسألة أسطورية؛ بينما الحقيقة هي وجود عدد من الاستراتيجيات الجيدة لتعلم المفردات ينبغي أن يتبنى المتعلم ما يناسبه منها؛ بل أكثر من ذلك ينبغي أن يطور استراتيجيات فردية خاصة به، تشتغل بشكل أفضل تماشيا مع احتياجاته وشخصيته.

وقد أثبت ذلك اختبار نوعي قام به سناوي (Sanaoui، 1995) على متعلمي اللغة الفرنسية لغة ثانية في كولومبيا البريطانية، استنتج من خلاله أن المتعلمين الجيدين يمتلكون خطة أو استراتيجية محددة لتعلم اللغة الفرنسية، بما في ذلك المفردات، في حين أن الطلاب الأضعف لم يكن لديهم أي خطة لتعلمها؛ أو بمعنى آخر، ليس المهم ما يفعله الطلاب بالمفردات الجديدة، ولكن الشرط الأهم هو أن يوظفوها بتواتر واستمرار.

ترفض **الأسطورة السابعة** اعتماد القواميس ثنائية اللغة في تعلم المفردات، وترجع ذلك إلى النفور العام من الترجمة في مجال التعلم؛ إذ غالبًا ما يفرض مدرسو لغة ثانية على طلابهم استخدام قاموس أحادي اللغة مثلا أنجليزي-أنجليزي، ومن المدرسين من لا يشجع المتعلمين على استخدام القواميس أصلا، ويوجهونهم نحو حدس الكلمات من السياق ولا يحضونهم على استخدام القواميس الأحادية أو ثنائية اللغة إلا كملاذ أخير بعد أن يعجزوا عن حدس معنى كلمة غير معروفة من السياق.

وعلى عكس رغبات المدرسين وتوصيات الكتب المدرسية، أظهرت الأبحاث أن المتعلمين الذين يستخدمون قاموسا يتعلمون مفردات أكثر من أولئك الذين يعتمدون على حدس معناها من السياق، وأن المتعلمين الذين يستخدمون قاموسا ثنائي اللغة يتذكرون بالفعل المفردات بشكل أفضل، من أولئك الذين يستخدمون قاموسا أحادي اللغة؛ ففي دراسة أجريت على 293 طالبا يابانيا يتعلمون اللغة الإنجليزية لغة أجنبية، وجد ليبسكو وداي (Day and Luppescu، 1993)أن استخدام قاموس ثنائي اللغة يُقْدِر المتعلم على الاستزادة من تعلم المفردات. ولاحظ الباحثون أيضا، أنه رغم حضور وجهات نظر محددة عند المعلمين حول نوع القواميس التي يجب استخدامها أثناء القراءة، فإنها لا تستند إلى أي دليل تجريبي.

وفي دراسة تجريبية على 105 من متعلمي اللغة الإسبانية، وجد كنيث (Knight، 1994)أن الاعتماد على قاموس ثنائي اللغة أثناء نشاط القراءة، يوفر تعليم المزيد من

الكلمات مع فهم جيد للقراءة، عكس الاعتماد على حدس ذلك من أدلة السياق.

باختصار، ليس هناك بحث يدعم الأسطورة القائلة بأن القاموس ثنائي اللغة سيء، أو أن القاموس أحادي اللغة أفضل للاحتفاظ بالكلمات بشكل نهائي، مما يعني أن متعلمي اللغة الثانية لديهم الاختيار في استخدام نوع القاموس الذي يشعرون براحة أكبر تجاهه، عند البحث عن معنى كلمة غير معروفة.

تقول الأسطورة الثامنة: أن المفردات تغطى بشكل كافٍ في مقرراتنا ودروسنا.

وبخصوص هذه الأسطورة يرى فولز أن الاطلاع السريع على أي كتاب مدرسي لتعلم الإنجليزية لغة ثانية مثلا، يُظهر أن فصوله مرتبة حسب دروس النحو، ومن النادر الاعتناء بتدريس المعجم، مع وجود بعض الأنشطة لتصحيح تهجية الكلمات، بالإضافة إلى بعض التمارين القليلة حول شروح بعض المفردات من مقطع القراءة، التي يكون الوصول إليها في نهاية الحصة، فيُؤجَّل شرحها وتُترك معلقة في آخر فقرة للدرس.

انتهى تتبع فولز (2004a) لـ50 ساعة من الدروس في برنامج أكاديمي مكثف لتعليم الإنجليزية لغة ثانية يرصد مدى التركيز على تعليم المفردات في المقررات المدرسة، إلى ثلاث نتائج أساسية، نتائج نعتبرها توجيها مهما لإيلاء المقاربة المعجمية في تعليم اللغات، الأهمية التي توازي دورها الأساسي في تنمية كفايات المتعلم التواصلية وترسيخها:

النتيجة الأولى: الانتباه إلى أن كل مستويات النحو حاضرة في المناهج المقدمة للدارسين، بينما يبقى تدريس المعجم حسب الحاجة، حيث تعجز العديد من الأنشطة الصفية اليومية على توسيع لغة الطلاب، ومن ثمة لم يستوعبوا إلا القليل جدًا من المفردات الجديدة، التي لا يتم تواترها بشكل يثبت معناها ويسهل استعمالها.

النتيجة الثانية: من المثير للملاحظة، أن السؤال اللغوي الأكثر شيوعًا لم يتعلق بالنحو، وإنما كان حول المفردات غير المفهومة في الدرس، فتبين هذه النتيجة أن الكتب المدرسية للغة الإنجليزية كلغة ثانية تكتب غالبا دون أخذ مشكل المعجم بعين الاعتبار.

النتيجة الثالثة: عدم وجود خطة منهجية لتدريس المفردات الواردة في الدرس وتعزيزها، بل تغطى المفردات بالاعتماد أكثر على المعلم، وليس على موضوع الدرس. فيتبين بعد الانتهاء بنجاح من مقرر تعليمي أن الطلبة بحاجة ماسة إلى مزيد من التدريب على المعجم وتعلمه.

خلاصة:

يتضح مما سبق، أن المعجم ركن أساس في تشييد الكفاية التواصلية، يتطلب التمكن منه ضرورة فهمه واستيعابه في الدلالة المعجمية المتعلقة بالكلمة والدلالة الموسوعية المتعلقة بالمعرفة الاجتماعية، كما يجب أن يبنى مجاليا، لكي تكون معاني الكلمات المكتسبة وسيلة لتعلم معاني الكلمات المتعلمة.

قد يحصل التواصل بالكلمات معزولة عن التركيب؛ أي: دون احترام لقواعد النحو التركيبية، ولكن التواصل التام في المجال الأكاديمي للتعلمات يستدعي بالضرورة احترام معايير البناء اللغوي، أي: إنتاج جمل تحترم قواعد نحو اللغة التي ينجز بها المتعلم تواصله باللغة الممعيرة، وهذا شيء مطلوب، ولكنه لا يجب أن يأخذنا إلى التركيز على بناء الجمل وفق قواعد نحوية دون اهتمام بمعدات البناء، أو المعجم، وهذا أمر يمكن حله من خلال فرضية شومسكي التي تفيد أن كل من يتحدث لغة يفترض أنه قد استبطن نظاما من القواعد التي تمكنه من التصرف في بناء تراكيبها، بحيث كلما تمكن المتعلم من استعمال لغته قراءة ومشافهة إرسالا واستقبالا كلما زاد ضبطه ضمنيا لقواعد استعمالها، ومن ثمة يكون دور المعجم دورا بانيا للقواعد النحوية.

وتتأكد هذه النتيجة أيضا من خلال بسطنا لهذه الافتراضات الأساطير ومناقشتها والإجابة عنها تبعا لفولز، فننتهي إلى قناعات أساسية تخص أهمية دور تدريسية الوحدات المعجمية في شكلها الثابت (القاموس) والمتغير المتصل بورود المفردة حسب السياق في تعليم اللغات الأجنبية وسبل تحقيق ذلك، ونعبر عن هذه النتائج في الآتي:

تهمل الوحدات المعجمية حين يقل تواتر استخدامها من قبل المجتمع اللغوي. وتشحب الكفاية التواصلية حين يشح المعجم (خزان الكلمات/ التصورات التي تمقول العالم). ويعد التعرف على الوحدات المعجمية المقيدة بالسياق[1]، باعتباره ضامنا لتوحيد التصورات ضمن حقل مخصوص، ومؤثرا على دلالة الوحدة المعجمية ومعناها، من السبل الناجعة لتعلم اللغة، وأن التمكن من السياق يقتضي منا

(1) «واعلم أن للسياق أثرا كبيرا في مقصود دلالة المتكلم وأيضا على تحديد هوية العبارة، ونقصد بالسياق الجو العام الذي يحيط بالكلمة وما يكتنفها من قرائن وعلامات» (ينظر مقبول، 2008، ص. 307).

إغماس المتعلم بشكل ممنهج في النسيج الاجتماعي والثقافي لمعجم اللغة الهدف المراد تعلمها. ذلك أن تعلم لغة ما يستلزم تعلم العديد من مظاهرها، بما في ذلك نطقها، ونظام كتابتها، وتركيبها، وتداولها، ووجوهها البلاغية والثقافية في القراءة والكتابة، إلا أن المظهر المفرداتي ونحن نتحدث عن المعجم يبقى هو الأهم.

ويتحقق نماء الذخيرة المعجمية المنعكس أثره، لا محال، على الكفاية التواصلية لمتعلمي اللغة الأجنبية من خلال:

- التمكن من المعرفة المشتركة، بتعقيداتها باعتبارها ضامنة لتوجيه الدلالة ولبروز المعنى.
- الاهتمام بالمعرفة الفردية وما تتضمنه من رغبات، ومقاصد، ومعتقدات بخصوص العنصر الموضوعي.
- الإغماس الممنهج، كطريقة لفتح أفق المتعلم وتحفيز بناء ذخيرته المعجمية، لتجاوز مفردات القاموس.
- تجاوز التركيز على حفظ القواعد النحوية؛ لأن ضبط اللسان يعني استبطان قواعده لا شعوريا (يحضر دور القواعد في كل مستويات اللغة باعتبارها الأداة البانية للمعنى في التركيب).
- تقوية ضبط المعجم عبر التواصل به ومن خلاله مع مواد دراسية أخرى تدرس باللغة المتعلمة.
- الاهتمام بالتواتر في الاستعمال تعميقا للفهم، وإرساء لعمليات التخزين والاسترجاع وتوزيع المفردات وتخزينها في الذاكرة البعيدة والوسيطة والآنية...
- تمهير الذاكرة الدلالية التي تعد أهم أجزاء الذهن البشري، فبدونها قد تتذكر عشرات الكلمات مطولاً، لكنها كلها تصبح رطانة عندما لا تدرك معناها وهدفها.
- تعلم لغة الثقافة والحضارة عبر النصوص التي تربط المعجم بالفكر وعمليات التفكير.
- بهذه الاحترازات والتوجيهات يتبين بشكل واضح علاقة التلازم الوطيد بين الكفاية التواصلية في لغة معينة، ودرجة التحكم في استعمال معجمها والوعي بمدلولاته.

المصادر والمراجع

باللغة العربية

- أليونيا، أ. ج. (2020). *المعجم الذهني* (ط1). (ربيعة العربي، حافظ اسماعيلي علوي، أشرف فؤاد، ترجمة.). ضمن كتاب: *المعجم الذهني النمذجة والتقييس نصوص* مترجمة، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- دوسوسا، بندر لوسيان.، وصالحي، سهام حملاوي.، وفان ديرلاند، إليزابيت. (2020). ضمن كتاب: *المعجم الذهني النمذجة والتقييس نصوص مترجمة* (ط1). (ربيعة العربي، حافظ اسماعيلي علوي، أشرف فؤاد، ترجمة.). دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- جاكندوف، راي. (2020). *اللغة والوعي والثقافة أبحاث في البنية الذهنية* (ط1). (غاليم محمد، ترجمة.). دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان. (العمل الأصلي 2007).
- الفاسي الفهري، عبد القادر. (2019). *معجم المصطلحات اللسانية. إنجليزي، فرنسي، عربي*، (بمشاركة د. نادية العمري)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان.
- مقبول، ادريس. (2008). *الأسس الإبستيمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه*. جدارا للكتاب العالمي، عمان- الأردن.

باللغة الإنكليزية

- Lee, B. C., Tan Debbeta. Pandian, A..(2012) Language Learning Approaches: A Review of Research on Explicit and Implicit Learning in Vocabulary Acquisition.
- Cambridge Dictionary (2016), https://dictionary.cambridge.org/
- Canale, M., and Swain, M., (1980). Theoretical bases of communicative approaches to second language teaching and testing. Applied Linguistics (1-47).
- Chomsky, N. (1995). The minimalist program. Cambridge, MA: MIT Press (20th 2015) Anniversary Edition.

- FOLSE, K. S . (2004 b). Myths a bout Theaching and Learning Second langage vocabulary what Resont Research Says. (10/05/2022).
- https://scholar.google.com/scholar?q=TESL+Reporter+37,2+(2004),+pp .+113&hl=en&as_sdt=0&as_vis=1&oi=scholart
- Grace, C. (1998). Retention of word meanings inferred from context and sentence level translations: Implications for the design of beginning-level CALL software. The Modern Language Journal, 82, 533-544.
- Huckin, T., & Bloch, J. (1993). Strategies for inferring word meaning in context: A cognitive model. In T Huckin., M. Haynes, & 1. Coady (Eds.), Second Language Reading and Vocabulary Acquisition (p p. 153-178). Norwood, NJ: Ablex.
- Howard, J., & Ze Amvela, E. (2010). words, meaning and Vocabulary : An Introduction to Modern English Lexicology. Cromwell Press, Trowbridge, Great Britain.
- Caro, K., & Mendinueta. R. N. (2017, March). Lexis, Lexical Competence and Lexical Knowledge: A Review, in, Journal of Language Teaching and Research, Vol. 8, No. 2, (205-213).
- Knight, S. (1994). Dictionary use while reading: The effects on comprehension and vocabulary acquisition for students of different verbal abilities.The Modern Language Journal, 78, (285-299).
- Luppescu, S., & Day, R. (1993). Reading, dictionaries, and vocabulary learning. Language Learning, 43, 263-287.
- Merriam-Webster. (2015). https://www.merriam-webster.com/
- Sanaoui, R. (1995). Adult learners' approaches to learning vocabulary in second languages. Modern Language Journal, 79, 15-28.
- Ghabanchi, Z., Ayoubi, Elham Sadat. (2012). Incidental Vocabulary Learning And Recall, By Intermediate Foreign Language Students: The Influence Of Marginal Glosses, Dictionary Use, And Summary

Writing, in, Journal of International Education Research – Second Quarter Volume 8, Number 2. (p p. 85-96).

- Lotto, L., & de Groot, A. (1998). Effects of learning method and word type on acquiring vocabulary in an unfamiliar language. Language Learning, 48, 31-69.
- Wesche, M., & Paribakht, T. (1994, March). Enhancing Vocabulary Acquisition Through Reading: A Hierarchy of Text-related Exercise Types. Paper presented at the meeting of the American Association for Applied Linguistics (AAAL), Baltimore, MD.

الاستعارات المختلطة

استعمالها وإساءة استعمالها

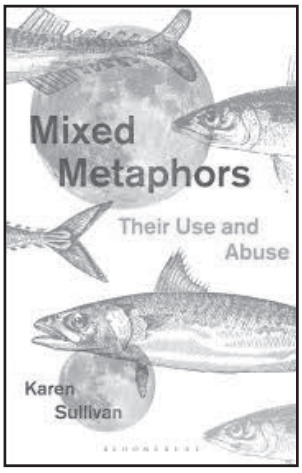
قراءة ومراجعة

د. إيهاب محمود

كلية الآداب- جامعة عين شمس، مصر

ihab.mahmoud@art.asu.edu.eg

الملخّص



كتاب كارين سوليفان عن «الاستعارات المختلطة» هو دراسة لغوية حديثة تؤكد أن الاستعارة ليست مجرد زينة بل جزء من التفكير اليومي، كما وضح لايكوف وجونسون. تبحث الكاتبة في ظاهرة مزج الاستعارات التصورية، موضحة أسبابها (كالجهل، والغموض، والإفراط في المجاز)، ومتى تكون مقبولة (كالتعبير عن العاطفة أو الفوضى)، ومتى تصبح مشكلة (خاصة في الخطابات الرسمية). تميز بين أنواع الاستعارات وتعرض أمثلة توضيحية، وتقترح استراتيجيات عملية لتجنب الخلط، مثل الفصل بين الاستعارات أو تصميمها بتناسق. الكتاب مفيد للكتّاب والباحثين، ويُعرض بأسلوب سهل وممتع مدعوم برسوم وقائمة استعارات مفيدة.

الكلمات المفاتيح: لا توجد كلمات مفتاحية.

MIXED METAPHORS

Their Use and Abuse

Reviewed and revised by

Dr. Ihab Mahmoud

Ain shams university

ihab.mahmoud@art.asu.edu.eg

ABSTRACT

Karen Sullivan's book Mixed Metaphors is a modern linguistic study that emphasizes metaphor is not merely decorative, but a core part of everyday thinking, as explained by Lakoff and Johnson. The author explores the phenomenon of blending conceptual metaphors, clarifying its causes (such as ignorance, ambiguity, and excessive metaphor use), when it is acceptable (such as to express emotion or chaos), and when it becomes problematic (especially in formal or political discourse). She distinguishes between types of metaphors, provides illustrative examples, and proposes practical strategies to avoid confusion—such as separating metaphors or designing them coherently. The book is valuable for writers and researchers, presented in a clear and engaging style, and supported by visuals and a comprehensive list of metaphors.

Keywords: No Keywords.

هذا الكتاب دراسة قيمة لكارين سوليفان[1] عن «الاستعارات المختلطة» *Mixed Metaphors*، أيدت فيه ما ذهب إليه اللغوي جورج لايكوف والفيلسوف مارك جونسون في كتابهما «الاستعارات التي نحيا بها» *Metaphors We Live* (المنشور عام 1980)[2]؛ أن الاستعارة لم يعد يُنظر إليها كما كان في السابق (منذ زمن أرسطو حتى العقود الأخيرة من القرن العشرين)، حيث كانت تعد نوعا من الزخرفة الشعرية؛ بل غدت يُنظر إليها بوصفها جزءًا أساسيا من الإدراك اليومي، كما غدت تسود جميع أشكال التواصل اللغوي، ولم تعد حكرا على الأدب.

وحاولت الباحثة في هذا الكتاب، إيضاح أن مسألة خلط «الاستعارات التصورية» *Conceptual Metaphors* أمر حاضر بقوة في الاستعمال، على النحو الذي لا يمكن تجاهله؛ فكان هذا داعيا لدراستها هذه الظاهرة، لبيان كيفية حدوثها، وتحديد أسبابها، وتعيين الآثار التي تنتج عنها، وإظهار موقفها النقدي تجاهها.

جاء هذا الكتاب في تسعة فصول، وذُيِّل بقائمة تضم عددا كبيرا من الاستعارات.

أما الفصل الأول فيقدم لمحة عامة عن «الاستعارات المختلطة»؛ تعريفها، وأسباب حدوثها، وآراء المدافعين عنها، ومتى يمكن عدها مقبولة، ومتى يمكن عدها غيرَ مقبولة.

أما تعريف «الاستعارات المختلطة» فهي «ناتجة عن حدوث مزج بين استعارتين مختلفتين (متناقضتين) أو أكثر، ... متقاربتين بصفة عامة؛ في جملة واحدة، أو أكثر». وقد رأت الباحثة ضرورة توسيع مجال هذا التعريف ليشمل «الاستعارات الفردية» التي يصعب تخيلها بسهولة؛ كونها غيرَ متسقة داخليا، أو تتعارض مع المفاهيم غير المجازية.

وأما أسباب حدوثها فترجعها الباحثة -مستعينة على ذلك بأبحاث من علم اللغة والعلوم المعرفية- إما إلى عدم الوعي؛ إذ قد يحدث ذلك «عن غير قصد، عندما يستخدم المتحدثون والكُتّابُ استعاراتٍ تبدو بالنسبة إليهم جيدةً، ولكنها تبدو بالنسبة إلى الآخرين مختلطةً»، وإما إلى الجهل.

وأما المدافعون عن «الاستعارات المختلطة» من اللغويين، فهم يرفضون النظرة

---

(1) Dr. Karen Sullivan is Senior Lecturer, School of Languages and Cultures, Faculty of Humanities and Social Sciences.

(2) تُرجم هذا الكتاب إلى العربية ونشر عام 1996، وصدرت منه طبعة ثانية عام 2009، (يُنظر جورج لايكوف، ومارك جونسن، 2009).

السلبية إلى هذا النوع من الاستعارات، ويؤيدون وجودَه، بوصفه ظاهرة لغوية جديرة بالدراسة (وصفيا)، بل -أكثر من هذا- جديرة «بالإعجاب»، ويجب ألا تُنعت بصفات تنال منها؛ بل يجب عدم تسميتها بالـ«مختلطة»، وأنها «طبيعية ومفهومة وخلاقة». لكن كارين ترى أن تلك الآراء الجديرةَ بالاحترام والتقدير، كان يمكن التسليم بها في حال كان المتلقون فئة خاصة من الناس فحسب، أو كان مجال استعمالها مقصورا على أشكال لغوية محددة (كالأدب مثلا)؛ لكن مجال استعمال الاستعارات -كما قرر جورج لايكوف ومارك جونسون في كتابهما «الاستعارات التي نحيا بها»- اتسع مداه إلى الاستعمال اليومي (في الإعلام والسياسة وفي غيرهما)، ولم يعد المتلقون «أكاديميين ولا لغويين» فحسب، بل هم من عامة الناس الذين يشعر كثير منهم بأن «الاستعارات المختلطة» غيرَ المقصودة تنعكس سلبا على منتجيها من المتحدثين والكتاب أنفسهم، نتيجة شعور المتلقين من عامة الناس تجاه وجود تلك الاستعارات المختلطة «بالضيق، أو الملل، أو الارتباك ...».

وتحت عنوان «ما الخطأ في خلط الاستعارات؟» أخذت الباحثة تطرح أسئلة وتجيب عنها:

(1) السؤال: لماذا -إذن- غالبًا ما تبدو الاستعارات المختلطة خرقاء أو تدل على الجهل أو غير مهنية؟

الإجابة: رفضها علماء النحو منذ القرن الثامن عشر حتى اليوم، وهي كذلك مرفوضة في الكتب المدرسية (تضع تحذيرات مثل: «تحذير! لا تخلط بين الاستعارات!»)، وكتيبات تعليم الكتابة، وأدلة الخطابة، والقواميس (تعرفها بأنها «متناقضة ومضحكة»).

(2) السؤال: متى تكون مفيدة؟ ومتى تكون مشكلة؟

الإجابة: تكون مفيدة وفعالة -كما كشفت الدراسات اللغوية- حين تُستعمل عن قصد، للتعبير عن التجارب العاطفية الحادة وعن «الفوضى والعجز وعدم التوازن العاطفي». وتكون مشكلة حين تستعمل عن قصد في المجال السياسي (العام)؛ لعدم مناسبة الأسباب السابقة لطبيعة الخطاب السياسي، حيث لا عجز ولا فوضى ولا عدم توازن؛ بل إقناع وقوة.

من بين أمثلة «الاستعارات المختلطة» التي ساقتها الباحثة هذا المثال:

- «لقد ذَهَبَ خَلْفَ ظَهْرِي، أَمَامَ وَجْهِي مُبَاشَرَةً»!

He's gone behind my back, right in front of my face!

هنا حدث مزج بين استعارتين متناقضتين؛ إذ لا يمكن لأحد أن يذهب في جهتين مختلفتين في حركة واحدة.

وفي المقابل تسوق الباحثة أمثلة لاستعارات أخرى يحدث فيها مزج بين استعارتين، لكنها تعد مقبولة (وصفتها الباحثة بأنها لا تُنسي، وأنها مبهجة)، ولا توصف بأنها «مختلطة»؛ منها الوصف الآتي الذي أطلقه عازف الجيتار الإسباني المشهور أندريس سيجوفيا *Andrés Segovia* على البيانو:

- وحشٌ يصرخُ عندما تلمسُ أسنانَه!

A monster that screams when you touch its teeth!

فعلى الرغم من أن صورة «أسنان الوحش» وصوت «صُراخه» يأتيان من استعارتين مختلفتين، فإن هذا المزيج يُعد مقبولا؛ لأنه يجعلنا نتخيل صورة «وحش مسنن»، ونسمع «صراخه».

وتقدم الباحثة تفسيرا لقبول هذا المزيج بقولها: «هناك طرق عدة لاستخدام كثير من الاستعارات معًا، بدون إعطاء انطباع بأنها مختلطة؛ أولاً، يمكن تقديم استعارتين بوصفهما بنيتين منفصلتين، يجب فهم إحداهما بمعزل عن الأخرى، ... ثانيًا، يمكن تصميم استعارتين بعناية، فلا تبدوان منفصلتين؛ بل منطقيتين».

إجمالا، يُعد استعمال «الاستعارات المختلطة» -من وجهة نظر الباحثة- مبررا ومقبولا حين تُستعمل عن قصد، للتعبير عن التجارب العاطفية الحادة وعن «الفوضى والعجز وعدم التوازن العاطفي»، ولا يُعد استعمالها مبررا ولا مقبولا إذا أسيء استعمالها عن غير قصد في مجالات لا تناسبها، أو عن غير دراية (جهل)، أو عن عدم كفاءة.

ويقدم الفصل الثاني عرضا نظريا موجزا لنظرية «الاستعارة التصورية» «*Conceptual Metaphor*»، استنادا إلى الطرح الذي قدمه لايكوف وجونسون في كتابهما «الاستعارات التي نحيا بها» (1980)، فالاستعارة عملية ذهنية، تنتج في الذهن، حيث ينقل الإنسان ما يعرف من الأشياء المادية إلى ذهنه، ليشكل ما لا يعرف من الأمور المجردة. والاستعارة -بهذا المفهوم- لم تعد خاصةً بأشكال لغوية معينة (كالأدب)؛ بل هي من الأمور التي «نحيا بها»، ويشترك فيها جميع البشر، وهي أداة

تُستخدم في خطابنا اليومي تلقائيا، إلى الحد الذي لا نلاحظه في بعض الأحيان. تقول الباحثة: «تكثر الاستعارات في المحادثات اليومية والصحف والمقالات العلمية، ... الاستعارات التصورية طبيعية، لدرجة أننا نفكر ونتحدث طوال الوقت بأسلوب مجازي، بدون أن نكون على علم بها. وليس عليك أن تكون كاتبًا أو متحدثًا خبيرا لاستخدام الاستعارات».

ويجد القارئ في هذا الفصل تمييزا بين أنواع الاستعارات المختلفة: «الاستعارة التصورية» و«استعارة الصورة»، و«الاستعارة الأولية» و«الاستعارة المركبة»، و«الاستعارة الميتة» و«الاستعارة الحية»؛ كما يأتي:

أولا- التمييز بين «الاستعارة التصورية» و«استعارة الصورة»:

1. *«الاستعارة التصورية» Conceptual Metaphor*: هي نمط من أنماط التفكير البشري، يحاول فيه منتجه فهم فكرة معينة تنتمي إلى عالم مجرد (مجازي) لا يمكن فهمه إلا من خلال ربطه بشيء ينتمي إلى العالم المادي المعروف لدينا، ويسمى المجال الأول «مجال الهدف؛ أي المستعار له»، ويسمي المجال الآخر «مجال المصدر؛ أي المستعار منه». وتتحدد وظيفة «الاستعارة التصورية» في أنها تساعدنا على فهم المفاهيم المجردة (نقل ما نعرف من ظواهر مادية لبناء ما لا نعرف من ظواهر مجردة). ومن أمثلتها: الربط بين لفظتي «الحياة» و«رحلة» في التركيب البسيط: «الحياة رحلة»، حيث «المجال المصدر» هو «رحلة»، و«المجال الهدف» (المجرد) هو «الحياة»، ويُنتج الناس عددا من الاستعارات التي يمكن فهمها بناء على فهم تلك العلاقة بين مجالي «المصدر» و«الهدف» في التركيب الأساسي «الحياة رحلة»؛ منها: «اتخذ بزواجه منها منعطفا خطيرا في حياته»، و«انتهى الزوجان إلى طريق مسدود»، و«انفصلا، وسارا كلٌّ في طريقه»، و«توقفت حياتها بطلاقها»، فهذه الاستعارات وغيرها يجب فهمها بناء على فهم العلاقة بين طرفي التركيب الأساسي («الحياة رحلة»).
2. *«استعارة الصورة» Image Metaphor*: هي أقل تعقيدا من «الاستعارة التصورية»، ففيها تنعقد مقارنات بسيطة بين شيئين: صورتين (السحابة جرو)، أو صوتين (صوت الشخير العالي رعد). وهي -على عكس «الاستعارة التصورية»- شائعة في لغة الأدب، ولا نستعملها لتساعدنا على فهم المفاهيم المجردة -كما

هي الحال في «الاستعارة التصورية»- لأن المجالين (المصدر والهدف) فيها ينتميان إلى الظواهر المادية (كلاهما مرئي، أو كلاهما مسموع)، وهي ملحوظة ولا تنسى، على عكس «الاستعارة التصورية» دقيقة وتكاد لا تلحظ.

ثانيا- التمييز بين «الاستعارة الأولية» و«الاستعارة المركبة»:

1. «*الاستعارة الأولية*» *Primary Metaphor*: هي «استعارات تصورية» أساسية، ناتجة عن الربط بين مفهومين أحدهما مجرد والآخر مادي، كالاستعارات التصورية الأساسية «الحياة رحلة»، و«الفهم رؤية»، و«التغيير حركة»، و«المودة دفء»، و«المهم كبير»؛ فهذه جميعا استعارات أولية، يشترك فيها الناس جميعا، من مختلف اللغات والثقافات، وبناء على فهم العلاقة بين طرفيها (المصدر والهدف) يمكن صياغة عدد كبير من الاستعارات؛ كأن نبني من الاستعارة الأولية «المهم كبير» الاستعارات الآتية (التي تنتمي إلى عائلة واحدة؛ عائلة الاستعارة الأولية «المهم كبير»): «إنها كذبة بيضاء صغيرة» (ليست مهمة)، و«هذا من كبار المستثمرين» (مهم)، و«هذا حدث ضخم في تاريخ كرة القدم» (مهم).
2. «*الاستعارة المركبة*» *Compound Metaphor*: تنتج من خلال «وضع استعارتين متوافقتين أو أكثر معا». مثالها: «الغضب سائل ساخن في حاوية» *Anger is a hot fluid in a container* فهذه «استعارة مركبة» من ثلاث «استعارات أولية» (الغضبُ «سائل»، و«ساخن»، و«في حاوية») والهدف منها التعبير عن معان أكثر ثراء. وعلى عكس «الاستعارات الأولية» نادرا ما تكون «الاستعارات المركبة» أمرا يشترك فيه الناس من مختلف اللغات والثقافات؛ بل هم مختلفون؛ إذ تُنتج كل ثقافة استعارات مركبة بأسلوبها الخاص، للتعبير عن أفكارها الخاصة.

ثالثا- التمييز بين «الاستعارة الميتة» و«الاستعارة الحية»:

1. «*الاستعارة الميتة*» *Dead Metaphor*: هي استعارات شاعت بين الناس، إلى أن صاروا يستخدمونها، ولا يشعرون بأنها استعارات، ويكثر استخدامها بوصفها تعبيرات اصطلاحية *Idioms*؛ مثالها: "أنت تضيء حياتي".

2. «*الاستعارة الحية*» *living Metaphor*: هي على نقيض «الاستعارة الميتة»، يستخدمها الناس بوصفها استعارات، لا بوصفها كلاما عاديا خاليا من المجاز.

الفصل الثالث عن العوامل التي تقف وراء حدوث هذه الظاهرة (أي التي تجعلنا نحن المتلقين نفهم عددا من الاستعارات كما لو كانت استعارة واحدة مركبة)، وكيفية تجنب حدوثها. هذه العوامل هي: القرب، والتشابه الدلالي، وحالة اليقظة.

العامل الأول هو «القرب» *proximity* (كانت قد جعلته جزءا من تعريفها «للاستعارات المختلطة» في الفصل الأول): فالاستعارات المختلطة «لا تنتج إلا عندما تكون ... متقاربة في النص، أو منطوقة واحدة تلو الأخرى».

العامل الثاني هو «التشابه» *similarity*: فأي «نوع من التشابه بين استعارتين ... يشجع القراء على الجمع بينهما»؛ لذا يمكن «تثبيط هذه العملية»؛ أي أنه كلما كانت الاستعارتان أقل تشابها، كانتا أقل عرضة للاختلاط، والأمر مرهون بقدرة المتلقين الذهنية على ملاحظة درجات التشابه بين الاستعارات، وبتفاوتهم في الإدراك، في هذا تقول كارين: «عندما تكون استعارتان أقل تشابها؛ فإن عددا أقل من القراء سوف ينظر إليهما على أنهما مختلطتان».

العامل الثالث هو «النوم والاستيقاظ» *sleeping and waking*: تقصد به كارين أن هناك عبارات كانت تستعمل في السابق استعمالا مجازيا بوصفها استعارات، ثم مع مرور الزمن، بسبب طول الإلف، وكثرة الاستعمال، أصبح يستعملها الناس استعمالا طبيعيا (غير مجازي)، هذه الاستعارات القديمة، بهذا المعنى، -وفقا للباحثة- تعد «استعارات نائمة» *sleeping metaphors*. وقد يحدث في بعض الأحيان، أن تُستعمل هذه الاستعارات، في سياقات معينة، استعمالا مجازيا، فتُسمى حينئذ «استعارات مستيقظة» *waking metaphor*، هذا النوع من الاستعارات حين يُركَّب مع استعارات أخرى غير متوافقة، سيؤدي هذا الجمع إلى تكوّن استعارات مختلطة.

ويُختتم هذا الفصل بهذه الخلاصة: «يمكن تجنب الاستعارات المختلطة من خلال الفصل بين الاستعارات غير المتوافقة، واختيار الاستعارات [المختلفة] ...، واختيار الاستعارات الميتة أو النائمة».

وتستكمل كارين في **الفصل الرابع**، شرحها لعوامل حدوث الاستعارات المختلطة، وتضيف إلى العوامل الثلاثة السابقة أربعة عوامل أخرى.

أحد هذه العوامل هو الإفراط في استعمال الاستعارات *overuse of metaphors*؛ ذلك أن «إضافة أية استعارة جديدة، تلفت الانتباه إلى الاستعارات الأخرى، وتشجعها على الاختلاط»، وأن «العدد الهائل من الاستعارات المختلفة، يجعل القراء أكثر عرضة لملاحظتها، ومحاولة دمجها، وتعرُّفها على أنها مختلطة»، يحدث هذا «ما لم تصمم هذه الاستعارات عن قصد، لتكون متوافقة». ويحدث الاختلاط -وفقا للباحثة- حتى مع مراعاة تجنب العوامل الثلاثة المذكورة في الفصل الثالث (أي إذا روعي الفصل بين الاستعارات غير المتوافقة، واختيار استعارات مختلفة أو ميتة أو نائمة).

ومن تلك العوامل كذلك إطالة الاستعارات *lengthening metaphors*؛ أي تمديدها، عن طريق إضافة استعارات جديدة، في مقطع واحد طويل. فإذا حدث هذا، وكان التخطيط لهذه الإطالة سيئا، على النحو الذي يبدو فيه المؤلف كمن يبحث عن شيء ما مفيد ليقوله؛ فإن في هذا الإجراء ما يلفت انتباه المتلقين إلى وجود مشكلة في الاستعارة نفسها، ويُنظر إليها بوصفها استعارة مختلطة.

ومن تلك العوامل كذلك، ما أطلقت عليه كارين «السيناريوهات غير المألوفة» *unfamiliar scenarios*، وتقصد به أنه قد يكون هناك بعضُ الاستعارات المختلطة، التي لا يكون سببُ اختلاطها راجعا إلى كونها تتألف من استعارات متناقضة؛ بل يرجع إلى كون مجالات المصدر فيها غريبة؛ فينتج عنها صورة ذهنية غير مألوفة، وأن «الاستعارات يمكن أن تبدو مختلطة، حتى لو تمكنا من تخيل طريقة للجمع الكامل لمجالات مصادرها. فلا يحتاج مجال المصدر إلى أن يكون ممكنا ماديا فحسب؛ بل يجب أن يكون أيضًا سيناريوها مألوفًا يسهل فهمه».

ومن تلك العوامل كذلك، ما أطلقت عليه كارين «السيناريوهات الهجومية» *offensive scenarios*، تقول: «أحيانا، ينتج عن الاستعارة المختلطة صورة ذهنية ليست غريبة فحسب، ... ولكنها مسيئة أو بغيضة».

وتتابع كارين في الفصل الخامس كذلك شرحها لعوامل حدوث الاستعارات المختلطة وهو عامل ثامن تضيفه إلى العوامل السبعة التي شرحتها في الفصلين الثالث والرابع، هو عامل «الغموض» *ambiguity*. وتَقصد به الباحثةُ إنتاج عبارات لغوية في

سياقات معينة، يقف منها المتلقي موقف الحائر، فلا يستطيع الجزم بأنها تنتمي إلى اللغة العادية، أو أنها تنتمي إلى المجاز!؛ تقول كارين: «إذا كان على المستمع أن يسأل: هل تقصد ذلك مجازيا أم حرفيا؟ فهذه علامة على أن الاستعارة لم تنجح»، وتقول: «الاستعارة التي لا تُفهم على أنها مجازية، تفشل في تحقيق الغرض منها». وتقدم كارين أمثلة على هذا النوع؛ منها: «إذا قلتُ لك: أَشُمُّ رائحةَ فأر هنا *I smell a rat around here*، فليس لديك طريقة لمعرفة ما إذا كنتُ أعني شيئا مريبا، أو فأرا حقيقيا؛ لأنني لم أوضح ما إذا كان يجب فهم كلمة فأر حرفيا أم مجازيا».

وترى كارين أن من دواعي حصول هذا «الغموض» المسبب لاختلاط الاستعارات، هو اتحاد الاستعارة بغيرها من الأساليب اللغوية الأخرى ذات الصلة؛ كالكناية، والحشو، وظاهرة «زيوجما» *zeugma*.

أما «الكناية» *metonymy*: فهي -كما هو معروف- لفظ يُساق لا للإشارة إلى معناه الحرفي؛ بل للإشارة إلى معنى يرتبط به. و«الكناية» -كما ترى كارين- «عملية أبسط من الاستعارة من نواحٍ عدة، لكنها مثل الاستعارة، تجعل لكلمة واحدة أكثر من معنى». ومن أمثلة كارين للكناية قولها: «عندما أقول: إن الحافلات في إضراب اليوم، فأنا أعني ... أن سائقي الحافلات في إضراب؛ ... فأستخدم كلمة حافلات مجازًا للإشارة إلى المفهوم ذي الصلة؛ سائقي الحافلات». و«لأن الكناية مثل الاستعارة، تخلق معاني متعددة؛ فقد تؤدي إلى الغموض. فإذا سَمعتُ أن أحد الأصدقاء اضطُر إلى دفع ثمن طبق في مطعم، ... فقد لا أعرفُ ما إذا كان الصديق قد دفع مقابل تناول الطعام على الطبق، أو كسر طبقًا فعليا واضطر إلى دفع ثمنه». لذا ترى كارين أن اتحاد الاستعارات مع الكنايات قد يؤدي إلى حصول «الغموض» أكثر من حصوله من أي منهما على حدة.

وأما «الحشو» *tautology* فهو تكرار غير ضروري للمعنى نفسه، بكلمات مختلفة. ولا تعده كارين -حين يحدث في الاستعارات- مسببا لحصول «الغموض»، بقدر ما تعده مشتتا للأذهان عند فهمها (وصفته في موضع آخر بأنه غموض مؤقت *temporary ambiguity*). تقول: «حتى لو كان المعنى المجازي واضحًا ولا لبس فيه، فإن الاستعارة ستفتقر إلى القوة التفسيرية إذا كان مصدرها ومجالات الهدف متشابهة كثيرا. ولا تسمى الاستعارات ذات المجالات المتشابهة -على نحو مفرط- عادة مختلطة؛ بل تعد حشوًا *tautological*؛ وهذا يعني أنها تقارن شيئًا ما بنفسه».

وأما «زيوجما» *zeugma* (يقابلها في البلاغة العربية مصطلح «الاستخدام»[1]) فهي ظاهرة أدبية يُقصد بها إطلاق لفظ مشترك بين معنيين غير متوافقين على نحو يراد به أن يفهم المتلقي هذين المعنيين في وقت واحد. وترى كارين أنه في حال استخدام هذا الأسلوب في الاستعارات؛ يكون أحد المعنيين مجازيا والآخر حرفيا. و«زيوجما» («الاستخدام» في البلاغة العربية) على هذا النحو تعد أسلوبا مسببا لحصول «الغموض»؛ بل لعله يثير ردود فعل لدى المتلقين أقوى من مجرد «الغموض»؛ فهو لا يجعل المتلقين يتساءلون عما إذا كانت الكلمة مجازية أم لا فحسب؛ بل إنه كذلك «يجعل السؤال مستعصيا على الحل؛ لأنه يتطلب أن يكون للكلمة نفسها كلا المعنيين في وقت واحد».

الفصل السادس استكمال ثالث ومتابعة لرصد العوامل المؤدية إلى حدوث ظاهرة الاستعارات المختلطة. ففيه شرح للعامل التاسع؛ دمج عدة تعابير اصطلاحية *Idioms* غير متوافقة في استعارة واحدة، ويحدث هذا كثيرا حين يمزجها مَنْ يجهل أصولَها التاريخية. ومن الأمثلة التي حللتها الباحثة المثال الآتي:

– «تلك البطانيةُ المُبَلَّلَةُ مدفعٌ طليقٌ، وحجرٌ متدحرجٌ، لا يجمعُ أيَّ طائر في اليد».

– That wet blanket is a loose cannon and A rolling stone gathers no bird in the hand.

فهذه استعارةٌ مركبة من أربعة تعابير اصطلاحية، معروفة في اللغة الإنجليزية؛ هي: «بطانية مبللة» *wet blanket* (يُوصف به الشخص الذي يُفسد متعة الآخرين)، و«مدفع طليق» *a loose cannon* (يُوصف به الشخص الذي يَفقد أعصابه بسرعة، ويميل إلى التصرف على نحو غير متوقع)، و«حجر متدحرج» *rolling stone* (يُوصف به الشخص الذي يسافر كثيرا بدون أن يستقر)، و«عصفور في اليد» *a bird in the hand* (مَثَلٌ يُقال لكفِّ شخص لا يَقنع بما في يده، ويطمع في الحصول على مزيد)، وهي تعابير اصطلاحية غير متوافقة، دُمجت معا فكانت النتيجة استعارةً مختلطةً؛

(1) عَرَّفَه أسامة بن منقذ بقوله: «الاستخدام أن تكون الكلمة لها معنيان، فتحتاج إليها، فتذكرها وحدها، فتخدُم للمعنيين... ومن ذلك قول بعض العرب:

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بأَرض قَوْم رَعَيْنَاهُ، وإِنْ كَانُوا غِضَابَا

فالسَّماءُ تحتمل معنيين: المطرَ، والنَباتَ، فاستخدم المعنيين بقوله: إِذَا نَزَلَ، وبقوله: رَعَيْنَاهُ؛ لأن النزول من حالات المطر، والرَّعْيَ من حالات الكلأِ».

(بن منقذ، ت 584هـ، 1960، ص. 82).

تقول كارين: «لا شيء يمكن أن يكون بطانية ومدفعا في الوقت نفسه، حتى الشخص الذي ليس على دراية بالأصول المجازية للتعابير الاصطلاحية، قد يدرك أن البطانية والمدفع شيئان مختلفان؛ لذا قد يَعُدُّ الاستعارةَ مختلطةً».

ويقدم الفصل السابع إرشادات لكيفية إنتاج استعارات متعددة، وتجنب اختلاطها. وفيه تعيد كارين ما اقترحته من وسائل لتجنب الاستعارات المختلطة، في الفصول السابقة؛ أعني وسيلتي: الفصل بين الاستعارات غير المتوافقة، واختيار الاستعارات المختلفة؛ تقول: «هناك عدة طرق يمكننا من خلالها استخدام أكثر من استعارة واحدة بدون خلطها... [عن طريق] إبقاء الاستعارات متباعدة بشكل كافٍ، ومتمايزة بشكل كافٍ، ... عندما يكون من الواضح أنه يجب فهم استعارتين على نحو منفصل...، يمكننا الاستفادة من كلتا الاستعارات بدون حدوث أي تشويش أو اختلاط».

وتضيف كارين في هذا الفصل وسيلتين أخريين؛ هما:

الأولى: «تقديم الاستعارات على أنها بنيات متناقضة يجب المقارنة بينها» (بهدف محاولة إقناع المتلقي بضرورة مقارنة استعارتين بدلا من الجمع بينهما بوصفهما استعارة واحدة مختلطة). من ذلك: «هذه الجبال التي تحملها، كان من المفترض أن تتسلقها» *These mountains that you are carrying, you were only supposed to climb*. فهذه استعارة تتيح لنا التفكير في مشاكل الحياة بطريقتين: «يمكن أن تكون أعباء مادية نتحملها في رحلاتنا الحياتية، أو يمكن أن تكون حواجز مادية علينا التغلب عليها لمواصلة تلك الرحلات»، وكأنها تقدم للقارئ سيناريو للتفكير في صعوبات الحياة بطريقتين، فتحمله بلطف على أن يختار إحداهما ويترك الأخرى. على هذا النحو قدمت هذه الاستعارة استعارتين (حالتين) بوصفهما بدائل، لا بوصفهما شيئا واحدا؛ وهي استراتيجية -ترى الباحثة- أنها تساعد كثيرا على تجنب حدوث الاختلاط في الاستعارات.

الأخرى: «اختيار الاستعارات وتشكيلها على نحو تبدو فيه متلائمة غيرَ متناقضة»؛ فعندما «يصمم الكُتَّابُ والمتحدثون استعارات تتلاءم معًا تمامًا، فلن يضطروا إلى الفصل بين استعاراتهم أو تقديمها بوصفها بدائل». من ذلك: «الحياة مثل ركوب دراجة. للحفاظ على توازنك؛ يجب أن تستمر في التحرك» *Life is like riding a bicycle. To keep your balance, you must keep moving*. فالإشارة «الصريحة إلى ركوب الدراجات تحفظ الاستعارتين: الحياة رحلة (إذ يُفهم التقدم نحو أهداف

الحياة على أنه حركة أمامية)، والعقل جسم (إذ يُفهم الاستقرار العقلي أو العاطفي على أنه استقرار جسدي) من الاختلاط. وتتلاءم الاستعارتان معًا بمجرد أن نفكر في ركوب الدراجات. ويشير الجمع المجازي الناتج إلى أن حياتنا مستقرة عقليا وعاطفيا، ما دمنا نواصل العمل لتحقيق أهداف حياتنا».

في الفصل الثامن تنحو الباحثة منحى عكسيا، على نحو تبدو فيه مدافعة عن وجود الاستعارات المختلطة، لكنها تضع لاستعمالها قيودا سياقية؛ إذ ترى أن هناك سياقات معينة يمكن أن توظَّف فيها الاستعارات المختلطة، فلا يُنظر إليها على أنها مرفوضة؛ بل يُنظر إليها نظرة إيجابية بوصفها استراتيجيات خطابية مناسبة لتلك السياقات المعينة؛ منها استعمالها في الأمور الآتية: التعبير عن الحدة العاطفية *emotional intensity* (كما هي الحال في استعمال السياسيين استعاراتٍ مختلطةً في حالات الغضب)، ووصف الظواهر الطبيعية الخارجة عن السيطرة (كأن تنقل الاستعاراتُ المربكة والمتضاربة -على سبيل المثال- وحشية العاصفة)، والتعبير عن الارتباك والفوضى والغرابة، والتعبير عن عبثية الأفكار.

وتُختتم فصول الكتاب بالفصل التاسع الذي تقدم فيه الباحثة خلاصة للأفكار المطروحة في الكتاب، وموقفها منها.

إجمالا، يعد هذا الكتاب بحثا شاملا عن الاستعارات المختلطة، يفيد كثيرا الشعراء خاصة، والمهتمين بالكتابة والتعبير المجازي عامة، كما أنه مفيد للطلاب والباحثين في مجالات علم اللغة والأدب والنقد.

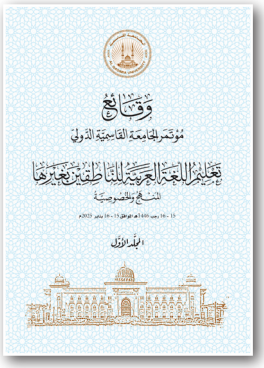
الكتاب كذلك مكتوب بأسلوب سهل، وترتيبه منطقي، يكشف عن تمتع الباحثة بالذكاء والدقة في فهمها للمسألة، وفي التناول والتحليل والنقد للأفكار والآراء ونماذج الاستعارات الكثيرة المنتخبة من مجالات مختلفة المعززة بالرسوم التوضيحية، كما أنه تضمن ملحقا شاملا جمع الاستعارات المذكورة في فصوله، على نحو يجعل من قراءة هذا الكتاب تجربة مفيدة وممتعة.

صدر حديثًا


هشام إ. عبد الله الخليفة
نظريّة التلويح الحِواريّ
Conversational Implicature
بَينَ اللسانيات الحديثة
والتُّراثِ العَربيّ والإسلاميّ
طبعة محدَّثة ومنقَّحة


د. مصطفى غلفان
مَدخَل إلى لسانيّات
إميل بنفينيست


أ. د. محمّد غاليم
تصوّراتٌ نَحْيَا بها
دَوْرُ المعرفة النواة في تأسيس اللّغة


وقائع
مؤتمر الجامعة العربية الدولي
تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها
النشأ والخصوصية
المجلد الأول


قضايا التربية الدامجة
ومرافقة الأشخاص في وضعية إعاقة:
مقاربة عرضانية


ترجمة
اللسانيّات
إعداد وتقديم: حافظ إ. علوي


مجلة بحوث الدكتوراه
Doctoral Research Journal

çais-Arabe, *Arabe-Français*. Maison arabe du livre.
- Baalbaki, Ramzi. (1990). *Dictionary of Linguistic Terms*, *English-Arabic* (1ère éd). Beyrouth, Dar El-Ilm lilmalayin.
- Larousse en ligne. (n.d.). (consulté le 29/8/2021), https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais-monolingue
- *Le Petit Larousse.* (1998). Les Editions Françaises Inc, Canada.
- *Le Petit Robert*. (2022). Dictionnaire Le Robert.
- *Le Petit Robert.* (2004). Dictionnaire Le Robert, SEJER.
- *Le Robert, Dictionnaire en ligne*. (n.d.). (consulté le 16/3/2025), https://dictionnaire.lerobert.com/
- Abou el aazm, Abdelghani. (2013). *Mu^{c}jam al-Ġanî az-zâhir* (1ère éd). Rabat, Mu'assasat al-Ġanî.
- *Unified Dictionary of Linguistic Terms*, English-French-Arabic. (1989). (Arab League Educational Cultural and Scientific Organization), Tunis.
- *Unified Dictionary of Linguistic Terms*, *English-French-Arabic*, (2002). (Arab League Educational Cultural and Scientific Organization), Casablanca.

Presses Universitaires de Lyon, Travaux du CRTT, pp. 199-217.

- Sîbawayhi. (1971-1977). *Kitâb* (Abd as-Salâm Hârûn, éd.). Le Caire, al-Hay'a miṣriyya al-ᶜâmmat li l-kitâb.
- Sinno, Ahyaf., Gérard, Gihamy., et Hiba, Chbaro Sinno. (2010). *Mawsûᶜat muṣṭalaḥât al-ᶜulûm an-naḥwiyyat* (1ère éd). Beyrouth, Maktabat Lubnân nâširûn.
- As-Suyûṭî, Jalâl ad-dîn. (n.d). *Al-Muzhir fî ᶜulûm al-luġat wa 'anwâᶜiha* (3ème éd). Muḥammad 'Aḥmad jâd al-Mawlâ, Muḥammad Abû al-Faḍl Ibrâhîm, ᶜAlî Muḥammad al Bijâwî, éds.). Le Caire, Maktabat Dâr at-turâṯ.

Dictionnaires

- al-Ḥalîl, b. Aḥmad. (1988). *Al-ᶜAyn*. (Mahdî al-maẖzûmî et Ibrâhîm as-sâmurrâ'î, éds.). Beyrouth, Mu'assasat al-'Aᶜlamî.
- Fassi Fehri, Abdelkader. (2009). *A Lexicon of Linguistic Terms*, *English–French–Arabic* (1ère éd). Beyrouth, Dâr al-kitâb al-jadîd.
- ᶜAbd Allâh al-ᶜAlâyilî. (1963). *Al-Marjiᶜ* (1ère éd). Beyrouth, Dâr al-muᶜjam al-ᶜarabî, vol. 1.
- Ibn Sîdah. (2000). *Al-Muḥkam wa l- muḥît al-'aᶜẓam* (1ère éd). (Abd al-Ḥamîd Hindâwî, éd.). Beyrouth, Dâr al-kutub al-ᶜilmiyyat.
- *Al-Muᶜjam al-ᶜarabî al-'asâsî*. (1999). al-Munaẓẓama alᶜarabiyyat li t-tarbiyat wa t-taqâfat wa lᶜulûm. Larousse.
- *Al-Muᶜjam al-kabîr.* (en cours) édition de l'Académie arabe du Caire.
- *Al-Muᶜjam al-wasîṭ.* (2004), édition de l'Académie arabe du Caire, Maktabat ash-shurûq ad-dawliyya.
- *Al-Munjid fî l-luġat al-ᶜarabiyyat al-muᶜâṣirat*. (2000). Beyrouth, Dâr al-Mašriq, al-Maktabat aš-šarqiyyat, (1ère éd).
- aṣ-Ṣaġânî. (1981). *Al-cUbâb az-zâhir wa l-lubâb al-fâhir*. (Muḥammad Ḥasan Âl yâsîn, éd.). (lettre f), Baghdad, Dâr ar-Rašîd.
- Jubrân, Masᶜûd. (1992). *Ar-Râ'id* (7ème éd.). Beyrouth, Dâr al-ᶜilm li l-malâyîn.
- Mseddi, Abdessalem. (1984). *Dictionnaire de linguistique*, *Fran-*

- Hamzé, Hassan. (2021). *La terminologie scientifique et technique arabe entre rupture et continuité*. *Academic Journal of Modern Philology*, vol. 13, pp. 133-148.
- Hamzé, Hassan. (2013). *Les parties du discours dans le dictionnaire général* . in Hamzé, Hassan (éd.). *La terminologie scientifique et technique dans le dictionnaire général*, Dâr al-Hilal, Beyrouth, pp. 21-41.
- *Hamzé, Hassan. (2021). Mot composé et entrées dans les dictionnaires français et arabes. in Herreras, José Carlos., et Françoise Guérin (éds.). Langues et environnement social et culturel, Actes du XLIIe colloque international de linguistique fonctionnelle, Paris, EME Editions, Louvain-la-Neuve, pp. 163-169*
- Hamzé, Hassan. (2021). *'Aqsâm al-kalim fî l-ᶜarabiyyat, fî l-'usus an-naẓariyyat li l-qismat aṯ-ṯulâṯiyyat* . Revue *Lisâniyyât*, vol/ 27, n° 1, pp. 67-128.
- Hamzé, Hassan. (n.d). *Un nouveau paradigme de «mots composés» en arabe*. in Mohamed Hafid et al. (éds.). *Linguistics, Planing, Cognition, and Education*, Amman, Dâr Kunûz al-maᶜrifat (1ère éd). Vol. 2, pp. 13-34.
- Ḥasan, Abd al-Ḥamîd. (1969). *Kalimat ᶜan al-murakkab al-mazjî"*, in *Kitâb fî 'uṣûl al-luġa*. Le Caire, Académie Arabe du Caire, pp. 53-54.
- Hazîm, Rifᶜat. (2000). *At-tarkîb al-mazjî fî al-ᶜarabiyyat al-muᶜâṣirat*. *Majallat ad-dirâsât al-luġawiyyat*, Vol. 2, n° 1, pp. 192-207.
- Al-Ḥûlî, Amîn. (1969). *'Baḥṯ ᶜammâ yusammâ al-murakkab al-mazjî*. in Kitâb fî 'uṣûl al-luġa, Le Caire, Académie Arabe du Caire, pp. 55-61.
- Berrendonner, Alain., Michel Le Guern., et Gilbert Puech. (1983). *Principes de grammaire polylectale*. Presses Universitaires de Lyon, pp. 113-159.
- Lyons, J. (1980). *Sémantique linguistique*, (Durand et Boulonnais, traduction.). Paris, Librairie Larousse.
- Meyer, Ingrid., et Kristen, Macintosh. (2000). *«L'étirement» du sens terminologique: aperçu du phénomène de la déterminologisation*. in Béjoint, Henri., et Philippe, Thoiron (éds.). *Le sens en terminologie*,

dire séparés par un blanc, pose les mêmes problèmes posés dans le dictionnaire français. Force est de constater que le nombre de ces mots dans le dictionnaire arabe reste extrêmement limité. Ce dictionnaire, lui aussi, est très attaché au mot simple, un attachement lié à l'identification traditionnelle du mot à l'unité lexicale, et à la difficulté de distinguer le mot composé du composé syntaxique libre, les frontières entre les deux catégories étant souvent floues et difficiles à établir. On peut donc constater que la tradition lexicographique basée sur la graphie du mot est très enracinée et ne risque pas de changer dans un avenir proche.

BIBLIOGRAPHIE

Références

- Al-Chihabi, l'émir Moustafa. (1995). *Al-Muṣṭalaḥât al-ᶜilmiyyat fî al-luġat al-ᶜarabiyyat fî l-qadîm wa l-ḥadîṯ* (3ème éd). Dâr Ṣâdir, Beyrouth.
- Arnaud, P. (2003). *Les composés Timbre-Poste*. Presses Universitaires de Lyon, Travaux du CRTT.
- Arnaud, P. (2004). *Le nom composé, données sur seize langues*. Presses Universitaires de Lyon, Travaux du CRTT.
- Baalbaki, Ramzi. (2019). *Tartîb l-mawadd dimna l-jaḏr l-wâhid*. *Al-Abḥâṯ*, Vol. 67, n° 1, pp. 68-95.
- Dahmânî, Zakia. (2013). *Al-muṣṭalaḥ bayn at-taᶜmîm wa t-taḫṣîṣ fî l-qâmûs al-ᶜâmm*. in Hamzé, Hassan (éd.). *Le terme scientifique et technique dans le dictionnaire général*, Travaux du CRTT, Dâr wa maktabat al-Hilâl, Beyrouth, pp. 91-105.
- De Saussure, F. (1985). *Cours de linguistique générale*, édition Tullio de Mauro, Paris, Payot.
- Dubois, J., et Claude. (1971). *Introduction à la lexicographie: le dictionnaire*, Librairie Larousse, Paris.
- Garde, P. (1978). *Le mot russe: forme et fonction de ses éléments morphologiques*. in *C.L.O.S.*, Publications de l'Université de Provence, n° 11, 1978, pp. 9-43.

à des sous-entrées: *Bon marché → Marché*, *Bon sens → Sens, Compte rendu → Compte*, *Fil de fer → Fil*, etc.

Ces données confirment la primauté de la graphie dans le choix des entrées. Peu importe la forme phonique, souvent très différente de la forme écrite. La suite ininterrompue de caractères apparaît comme un passage obligé pour acquérir le statut d'entrée. Cette suite n'est qu'une preuve de la pétrification du mot composé dans l'usage, ce qui permet au lexicographe de le reconnaître et l'autorise à lui consacrer une entrée dans le dictionnaire.

4.3. Mot composé et entrée dans le dictionnaire arabe

Si le dictionnaire français peut attendre et espérer un changement graphique du mot composé non intégré avant de lui consacrer une entrée, le dictionnaire arabe n'aura rien à attendre. En effet, les composés non intégrés ne peuvent pas évoluer avec le temps pour devenir comme les mots simples. En revanche, des composés syntaxiques libres peuvent, éventuellement, se figer et devenir des unités lexicales à l'image des mots composés non intégrés. Toutefois, les composants gardent leurs rapports syntaxiques et ne peuvent presque jamais évoluer pour former une suite ininterrompue dans la graphie. Il y a toujours un espace blanc entre les deux éléments pour les deux raisons expliquées plus haut: le nombre maximal de consonnes radicales dans le mot et la fonction de sa finale, casuelle ou modale.

Traditionnellement, le dictionnaire général arabe est un dictionnaire de familles et non pas un dictionnaire de mots. Il rassemble les mots de la famille sous une entrée qui n'est autre que la racine qui est l'élément commun entre tous les membres de la famille. Or, le mot composé n'appartient pas aux familles de ses constituants. Il ne peut donc être classé sous la racine du premier mot, ni sous celle du second. Ainsi, (ʾâḏân al-faʾr) n'a pour racine, ni (ʾ ḏ n), ni (f ʾ r). D'ailleurs, en l'absence de dérivation à partir de ce mot composé, il n'aura pas de racine. Néanmoins, Il peut être traité sous le premier mot, sous le deuxième, ou sous les deux, à la fois.

Le dictionnaire général de mots a fait son apparition au milieu du siècle dernier. Le classement alphabétique des mots composés non intégrés, c'est-à-

directeur, non seulement dans l'organisation des entrées du dictionnaire, mais aussi dans le choix même de ses entrées qui semblent être des mots graphiques, dans ce sens qu'elles doivent se présenter comme une suite de caractères ininterrompus(1). Du coup, une unité dont les mots composants sont séparés ne devraient pas former des entrées:

«Les termes composés dont les composants ne sont pas réunis par le trait d'union et qui sont ainsi séparés par un blanc ne sont pas reconnus comme des entrées» (Dubois, 1971, p. 62).

En fonction de la succession de caractères dans les entrées du dictionnaire, on peut identifier quatre types d'entrées dans le dictionnaire français:

a. une suite de caractères ininterrompus dans la graphie. C'est le cas standard. Il peut s'agir d'un mot simple, comme chien, ou d'un mot composé ayant le statut du mot simple, comme: Portefeuille, Portemanteau, Abribus, Nonchalant, etc.

b. une suite de caractères liés par un trait d'union. Ex. Choux-fleur, Arc-en-ciel, etc.

c. une suite de caractères liés avec des points. Ex. les sigles: T.G.V., O.P.A., A.D.N., etc.

d. une suite de caractères séparés par un blanc. Ex.: Pomme de terre, Nature morte, etc.

Dans le dernier type qui n'obéit pas au principe directeur, les caractères sont interrompus par un blanc entre les deux mots du composé. Mais, on doit souligner que leur nombre est extrêmement limité: moins d'une centaine sur 60000 entrées dans le *PR* (p. XI). La majorité de ces entrées sont des emprunts: *Boat people, Modus vivendi, Stricto sensu*, ou des mots français à double orthographe: *Moyen âge* et *Moyen-âge*, ou des mots composés qui renvoient

(1) Evidemment, le contraire n'est pas vrai. Une suite ininterrompue de caractères n'est pas forcément une entrée. Exemple cette suite (’anulzimukumûhâ) «Pourrons-nous vous l'imposer ?» (Coran, 11/28)

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾

est complexe. Elle a, au moins, deux niveaux dans sa forme la plus simplifiée:

a. Le niveau des racines classées phonétiquement en fonction des zones d'articulation dès le premier dictionnaire avec al-Halîl (170-175h/786-791c), puis par ordre alphabétique, ou alphabétique inversé durant plus de douze siècles. Les dictionnaires de la Tradition sont fondamentalement des dictionnaires des familles.

b. Le niveau des mots sous les racines. Généralement, les mots sont présentés sans classement apparent(1), même si on peut déceler parfois une tendance, non systématique, à classer les mots en fonction de leurs rapports sémantiques (*al-Muḥkam* d'Ibn Sîdah) ou formelles (*al-ᶜUbâb* d'aṣ-Ṣaġânî). La macrostructure complexe à deux niveaux peut être schématisée dans le tableau suivant :

K										
niveau 1	racines	…	K T B							…
niveau 2	mots		kâtib	maktûb	kitâb	maktab	kataba	mukâtabat	etc.	

Tableau des niveaux de la macrostructure(2)

4.2. Mots composés et entrées dans le dictionnaire français

Malgré le principe fondamental de la primauté de l'oral en linguistique, c'est l'écrit qui semble s'imposer dans la macrostructure du dictionnaire, du moins du dictionnaire papier. La graphie apparaît d'emblée comme un principe

(1) Parfois, le mot n'y a pas d'entrée, à proprement parler. Il peut figurer dans plusieurs endroits et il peut ne pas avoir une définition. Voir notre livre sur la racine et les familles de mots, une relecture des théories de la racine; sous presse.

(2) Le Dictionnaire de la linguistique (p p. 11-12) mentionne ces deux niveaux en arabe dans sa définition du terme «adresse», synonyme du terme «entrée» qui est un calque de l'anglais (entry): «La tradition lexicographique de certaines langues (ex.: l'arabe) impose un adressage à deux niveaux: une super-adresse, la racine, regroupant les adresses (au sens A ci-dessus», le sens A mentionné indique «le regroupement (adressage) des formes flexionnelles sous une adresse».

4. Mot composé et entrée du dictionnaire

4.1. L'entrée du dictionnaire

L'entrée du dictionnaire est définie de la manière suivante: «On appelle *entrée* en lexicographie le mot servant d'adresse dans un dictionnaire». Une entrée se présente souvent en début de ligne, en caractères différents du reste et suivie de deux points qui la séparent du corps du texte qui la définit. L'ensemble des entrées forment ce qu'on appelle la macrostructure du dictionnaire.

Toutefois, le terme (madhal) qui est le correspondant arabe du terme (entrée/entry) présente quelques spécificités. On peut s'en rendre compte en regardant sa définition dans le grand dictionnaire de l'Académie Arabe du Caire:

«Madhal: (dans la terminologie des lexicographes) *entry*: l'une des branches de la (mâddat) -c'est-à-dire (al-jadr al-luġawî)- et de ses dérivés: verbes, noms et adjectifs»(1).

Les «lexicographes dont il est fait référence dans cette définition du grand dictionnaire de l'Académie sont les lexicographes occidentaux. La preuve: cette intrusion du terme anglais correspondant (entry)(2) qui fait irruption après l'indication du domaine (dans la terminologie des lexicographes). En effet, le terme anglais renvoie à une structure simple du dictionnaire de mots européen qui classe les mots sur un seul niveau, selon leur ordre alphabétique. Or, le grand dictionnaire de l'Académie du Caire, ainsi que les dictionnaires arabes de la Tradition, ne sont pas des dictionnaires de mots(3). Leur macrostructure

(1) «المدخل: ... و_ في اصطلاح المعجميّين entry : أحد فروع المادّة –أي : الجذر اللغويّ– ومشتقّاتها من الأفعال والأسماء والصفات».

(2) Ce dictionnaire, monolingue, ne donne pas les correspondants anglais de ses entrées arabes.

(3) Quelques *dictionnaires* de mots appelés «alphabétiques» ont vu le jour, à commencer par *al-Marjiᶜ* d'al-ᶜAlâyilî, et *ar-Râ'id* de Jubrân Masᶜûd et à finir par *al-Ġanî az-zâhir* d'Aboulaazem en 2013, ainsi que de nombreux dictionnaires scolaires. Sauf indication contraire, il s'agit des dictionnaires généraux de langue, et non point des dictionnaires spécialisés qui classaient les termes en fonction de leur première lettre. (Voir notre livre sur les dictionnaires des mots; sous presse).

sous entrées, ou des exemples sous l'entrée. Cela dépend de l'appréciation du lexicographe, ou de la fréquence d'emploi. *Bébé-éprouvette*, *Oreille-de-souris* et *Pause-café*, par exemples, sont des entrées dans le *PL*, mais, pas dans le *PR*. (Assurance vie) n'est pas une entrée du *PR*. Il figure avec deux mots séparés, comme exemple sous l'entrée (Assurance) à la suite d'une autre expression: (Assurance sur la vie). Dans l'édition 2022 du *PR* et dans le *Robert en ligne*, il est toujours sous (Assurance), mais, avec un trait d'union (Assurance-vie), ce qui signifie qu'il a franchi un pas susceptible de lui permettre d'accéder plus tard au statut d'entrée(1).

La comparaison des mots composés dans les dictionnaires français semble suggérer que l'évolution est à sens unique. En effet, si on représente par (X Y) les deux mots séparés par un blanc de l'unité lexicale on constate que cette représentation peut évoluer dans le sens suivant:

X	Y	→	X - Y	→	XY
Abri	Bus		Abri-bus		Abribus
Assurance	Vie		Assurance-vie		xxxxxxx
Nature	Morte		xxxxxxx		xxxxxxx

Contrairement au schéma de l'évolution du mot composé en français, le schéma de base du mot composé en arabe (X Y), à l'exception de certains cas extrêmement rares, comme (ra'sumâl), ne peut pas évoluer: il n'y a pas de composés en cours d'intégration avec un trait d'union, et il n'y a que quelques rares exemples de composés intégrés. Le sens de l'évolution est donc toujours le suivant:

X	Y	→	X	Y
'âdân	al-fa'r	→	'âdân	al-fa'r

(1) Les versions en ligne permettent plus de liberté dans la recherche et peuvent ne pas se soumettre aux contraintes du dictionnaire papier. Ainsi, on peut chercher dans le *Larousse en ligne* : Appareil photo, Papier peint, Sucre glace, Café filtre et Pause-café. Dans *le Robert électronique*, on trouve bébé-éprouvette et Oreille-de-souris, mais pas pause-café.

ajouter un nouveau type, mal connu. Formellement, il est composé de deux noms, comme dans le premier type: (N + N). Toutefois, la relation entre les deux noms n'est pas une relation d'annexion, mais, une relation d'identification dans laquelle le deuxième nom joue, syntaxiquement, la fonction d'une épithète, à l'image du second type (N + Adj). On peut en donner quelques exemples anciens et des exemples qui se multiplient à l'époque moderne. Parmi les exemples anciens, on peut citer: (kâtib-un ᶜadl-un) pour le «notaire», que les grammairiens interprètent comme (N + Adj), à savoir (kâtib-un ᶜâdil-un), «Litt. un écrivain juste», mais que nous interprétons comme deux noms «Un écrivain, la justice-même» et qui est donc plus intense que la simple qualification par «juste». En clair, le rapport entre les deux termes n'est pas un rapport de qualification, mais, un rapport d'équivalence. Cet homme n'est pas juste; il est la justice. La relation sur le plan sémantique est une relation prédicative.

A l'époque moderne, les exemples se multiplient: (luġat-un 'umm-un), «Langue mère» pour la langue maternelle, celle de la mère; (luġat-un maṣdar-un) et (luġat-un hadaf-un), «Langue source» et «Langue cible», (rajul-un ḍifdaᶜ-un), «Homme grenouille», etc.

3. Evolution des mots composés

Les unités lexicales du premier type, celui des composés intégrés, sont des unités simples. Elles sont stables, même si la stabilité du lexique est relative. Les deux autres types, en cours d'intégration ou non intégrés, sont susceptibles d'évoluer. La comparaison des mots composés dans deux dictionnaires du français, le *PR* (*Le Petit Robert*) et le *PL* (*Le Petit Larousse*) et de plusieurs éditions du même dictionnaire montre, d'une part, le statut incertain des mots composés à un moment donné et, d'autre part, l'évolution de ce statut. A l'exception d'une centaine d'exemples que nous allons voir dans le dictionnaire français, les composés non intégrés ne sont pas des entrées du dictionnaire général de langue; ils peuvent être des sous-entrées, ou apparaître dans les développements de l'article. La situation est également floue pour les composés en cours d'intégrations séparés par un trait d'union. Ils sont des entrées, des

en partie, les variations et les manipulations de l'association libre: antéposition, postposition, insertion d'un élément extérieur, reformulation, etc. Ainsi, le mot composé ('âḏân -u l-fîl-i), «Caladium» n'accepte pas les manipulations de l'association libre ('âḏân al-fîl) «Les oreilles de l'éléphant»: *(al-'âḏân allatî li l-fîl; 'âḏân ṭawîla li l-fîl; etc.). Il en est de même pour d'autres unités lexicales: ('umm al-ᶜayn), «La pupille», ('umm- ᶜâmir) qui est le (ḍabuᶜ) «L'hyène», etc. Un bel exemple du dialectal: dawâ + 'aḥmar (Litt. Médicament rouge), «Mercurochrome» qui ne peut pas s'opposer, bien sûr, à *(dawâ 'aḥḍar; 'abyaḍ; 'aswad, etc.), contrairement à l'association libre: (qalam 'aḥmar) qui peut s'opposer à d'autres couleurs.

b. Des critères sémantiques: Le mot composé non intégré forme une unité sur le plan sémantique. Il peut avoir un seul mot simple comme correspondant dans une autre langue, parfois, dans la même langue. Le composé ('âdân-u l-fîl-i) correspond au mot simple «Caladium» en français, et au mot simple arabe (qulqâs).

Le plus grand nombre de mots composés non intégrés en arabe est de type (N + N) en rapport d'annexion, puis de type (N + Adj.) en rapport d'identification: qualifié + qualifiant:

a. Mot composé avec une relation d'annexion (N + N). Le premier nom est analysé en fonction de ses rapports avec les autres constituants de la phrase, le deuxième est toujours au génitif, en rapport d'annexion avec le premier. Exemples:

'âḏân- u/ a/ i + al- fa'r- i

Oreilles nomin. accus. géni. [de] le/la/les souris génitif

«Oreille-de-souris/myosotis»

b. Mot composé avec une relation d'identification (N + Adj. épithète). Le premier terme occupe les fonctions imposées par ses rapports avec les autres constituants de la phrase, le deuxième est une épithète qui qualifie le premier et prend ses voyelles casuelles: Exemples:

ṭâbaᶜ- un/ an/ in + barîdiyy- un/ an/ in

Timbre nomin. accus. géni. postal nomin. accus. géni.

«Timbreposte»

A ces deux types très fréquents dans les composés non intégrés il faut

(Larousse en ligne, 21-3-2025).

Certains sigles sont prononcés comme des mots C.A.P.E.S. [*kapɛs*] qui est un Certificat d'Aptitude Pédagogique à l'Enseignement du Second degré). Ils sont appelés «acronymes» et ils peuvent, à ce titre, être à la base d'une création lexicale d'autres mots, comme c'est le cas avec l'O.N.U. qui est prononcé comme un sigle avec des lettres séparées, et comme un mot (onu), ce qui a donné le dérivé (Onusien).

Le phénomène existe également en arabe, mais, il est moins répandu. Souvent, les sigles s'y présentent sous la forme d'un mot. Exemples: (Ḥamâs حماس) qui est un acronyme (ح.م.اس.) de (حركة المقاومة الإسلاميّة), «Mouvement de résistance islamique», et (FaTḤفتْح) qui est un acronyme inversé (ف.ت.ح.) de (ح.ت.ف) pour désigner (حركة التحرير الفلسطينيّة)، «Mouvement de libération palestinien».

2.2.3. Mot composé non intégré

Il s'agit dans ce type de mots composés qui restent séparés dans la graphie. Leurs limites sont floues en raison de l'absence d'un critère formel pertinent pour les identifier et les distinguer des composés libres. Les exemples de ce type sont extrêmement nombreux dans les entrées des dictionnaires spécialisés, et extrêmement limités dans les entrées des dictionnaires généraux. On peut en donner comme exemples en français des unités lexicales comme (chemin de fer; fil de fer; hors service; libre arbitre; pomme de terre; etc.). Ces exemples sont bel et bien des unités lexicales formées de deux ou plus de deux mots, même s'ils sont séparés dans la graphie.

Les mots qui forment le composé entretiennent entre eux les mêmes rapports syntaxiques entretenus dans les associations libres. Ces rapports sont plus clairs dans une langue casuelle comme l'arabe. Ainsi dans le mot composé ('âḏân-u l-fîl-i), autre nom du (qulqâs) «Caladium», les deux composants: ('âḏân) et (al-fîl) restent séparés et entretiennent entre eux un rapport d'annexion, tout comme dans l'association libre (kutub-u l-walad-i) «Les livres de l'enfant», ou encore ('âḏân -u l-fîl-i) «Les oreilles de l'éléphant» qui n'est pas une unité lexicale. On peut identifier ces composés non intégrés grâce à deux types de critères:

a. Des critères syntaxiques: le mot composé n'accepte pas, en totalité ou

Un cas particulier dans ce type de mots composés en cours d'intégration mérite un développement. Il s'agit des sigles et des acronymes. Un sigle est, généralement, défini comme étant l'ensemble des lettres initiales des mots qui désignent des organismes, des partis, des associations, des entreprises, etc., comme l'Organisation des Nations Unies (O.N.U.), la Société Nationale des Chemins de fer Français. (S.N.C.F.), etc. Cependant, la siglaison n'est pas réservée à la désignation. Elle peut être utilisée aussi comme abréviation d'une unité lexicale composée de plusieurs mots. Exemples: le Train à Grande Vitesse (T.G.V.), l'Offre Publique d'Achat (O.P.A.), l'Organisation Non Gouvernementale (O.N.G.), etc. C'est cet emploi qui nous intéresse ici puisqu'il s'agit d'unités lexicales du dictionnaire général de langue.

Chaque lettre initiale est suivie d'un point dans la graphie pour indiquer qu'il s'agit d'une abréviation, à ne pas confondre avec la lettre au début du mot simple. Dans une certaine mesure, ces points de séparation sont des points de liaison qui assurent la cohésion des constituants. Ils jouent, dans le dictionnaire, le rôle joué par le trait d'union dans le mot composé en cours d'intégration. C'est un indice formel d'une suite de caractères ininterrompue qui justifie l'entrée dictionnairique. C'est donc le sigle, et non pas le mot composé dont il est l'abréviation, qui a une entrée dans le dictionnaire. Ainsi, le (Train à grande vitesse) n'a pas une entrée dans le *PR*. Il est présent dans l'analyse du mot (Train) avec un renvoi à l'entrée: (T.G.V.). Il en est de même pour (Offre Publique d'Achat) et (Offre Publique de Vente) qui renvoient aux entrées (O.P.A.) et (O.P.V.), ce qui montre clairement que le sigle fonctionne comme une unité lexicale qui est un mot composé en cours d'intégration. Elle n'aura le statut du mot simple que lorsqu'elle aura une graphie simple: perte des points de liaison et perte des majuscules. (OGM) pour (Organisme Génétiquement Modifié) n'a plus les points de liaison. Mais, il est toujours avec des majuscules. Exemple:

«OGM n.m.: Abréviation de organisme génétiquement modifié. (Les OGM sont des êtres vivants dont l'ADN a été modifié par génie génétique.]… [Les OGM issus de la mutagenèse ne sont pas concernés par cette loi, aussi sont-ils souvent qualifiés d'OGM cachés par les opposants à ces produits.)»

Souvent, avant une intégration totale, les mots composés dans des langues agglutinantes comme le français et l'anglais passent par une étape intermédiaire. Les deux mots en cours d'intégration sont liés avec un trait d'union dans la graphie. Les exemples sont très nombreux: (lave-linge; lave-mains; lave-vaisselle; procès-verbal; sèche-cheveux; sèche-linge, etc.). Beaucoup de ces composés à mi-chemin figurent dans le dictionnaire en tant que sous-entrées sous l'entrée du premier mot, parfois sous les deux. Dans la série d'entrées des mots composés avec (porte) du verbe (porter) comme premier élément, on constate une longue liste -qui va s'allonger encore- de mots composés avec un trait d'union, comme: (Porte-avions, Porte-aiguille; Porte-aiguilles, Porte-allumettes; Porte-clés; Porte-documents; etc.) à côté de mots composés intégrés: (Portefaix; Portefeuille; Portemanteau; Portemine). Sans doute, quelques mots composés en cours d'intégration vont suivre le chemin. D'autres doivent attendre encore.

Le trait d'union, variable d'un dictionnaire à l'autre, et d'une édition à l'autre du même dictionnaire, n'est sans doute pas un simple artifice graphique. C'est plutôt un indice de l'évolution des composants et de leur pétrification liée à leur fréquence d'emploi et à leur utilisation comme une seule unité institutionnalisée «disponible pour le locuteur ou ses interlocuteurs comme expression toute faite qui peut être incorporée dans d'autres énoncés».

Dans un ouvrage intitulé: *Les composés timbre-poste*, Pierre Arnaud rassemble quelque huit-cents unités de mots composés avec N1+N2. Les quelques exemples qu'on peut rencontrer dans la graphie arabe de deux mots séparés par un trait d'union relèvent plutôt d'une imitation du modèle occidental de type: (indo-européen). On trouve, par exemple, dans la traduction des «langues indo-européennes»: (luġât hindû-'ûrûbiyyat) avec un trait d'union, ou sans trait d'union: (hindû 'ûrûbiyyat), ou en un seul mot: (hindû'ûrûbiyyat) (Mseddi, 1984, p. 165) ou encore: (hindiyyat-'ûrûbiyyat) (Baalbaki, 1990, p. 244) et (hindiyyat 'ûrûbiyyat)(1), ou (hind-'ûrûbiyyat).

2.2.2.2. Les sigles et les acronymes

(1) (Arab League Educational Cultural and Scientific Organization, 1989, p. 67).

- Elle est occupée par une voyelle modale pour les verbes (u/a/Ø). Ex.:

ya-	KTuB –	**u/**	**a/**	**Ø**
il	Ecrire	**indicatif**	**subjonctif**	**apocopé**

- Elle est occupée par une voyelle casuelle pour les noms, les adjectifs et les déverbaux (u/a/i). Ex.:

al –	KiTâB-	u/	a/	I
le	Livre	nominatif	accusatif	génitif

Juxtaposer deux mots implique donc, en plus de la troncation de consonnes, la chute de la voyelle casuelle ou modale du premier mot. Sinon, le mot composé resterait en dehors du système. C'est une opération contre-nature(1).

Al-Chihabi note qu'on avait proposé à l'Académie arabe du Caire des néologismes pour nommer quelques espèces: (baṭnuqadamiyyât) formé de (baṭn + qadam-iyy-ât) et (ra'suqadamiyyât) formé de (ra's + qadam-iyy-ât), mais qu'il avait refusé ces propositions, à juste titre d'ailleurs, au profit d'unités lexicales à composants séparées (baṭniyyât l-'aqdâm) et (ra'siyyât l-'aqdâm). D'autres exemples modernes sont cités: (mâward) pour «Eau de rose» et (mâzahr) pour «Eau de fleur». A ces deux exemples qui comportent une troncation: (mâ) pour (mâ'), «Eau», Rifᶜat Hazîm ajoute deux autres exemples: (qâ'immaqâm)(2) et (ᶜarḍḥâl, ᶜarḍḥâljî) qui sont, dit-il, désuets.

2.2.2. Mot composé en cours d'intégration

2.2.2.1. Mots composés avec un trait d'union

(1) La plupart des exemples donnés du tarkîb mazjî dans une étude intéressante d'al-Ḥûlî (1969), ne sont pas des mots composés susceptibles de constituer des entrées du dictionnaire (noms propres étrangers, composés syntaxiques, etc.). Voir notre analyse de ce point dans notre livre sur la racine et la famille lexicale, sous presse.

(2) Le premier terme veut dire «celui qui remplace». Il s'agit de l'administrateur d'un district. sous l'autorité d'un muḥâfiẓ, ou un wâlî, qui gouverne une région. Son orthographe avec un seul /m/ non redoublé ne tient pas la route. Le second terme qui nomme quelqu'un au ministère de la justice pour écrire les doléances à la place des gens illettrés est du dialectal.

à la fin de la dernière consonne du mot composé intégré: (ra'sumâliyy-u-n/ ar-ra'sumâliyy-u, ra'sumâliyy-a-n/ ar-ra'sumaliyy-a, ra'sumâliyy-i-n /ar-ra'sumâliyy-i), alors que dans la composition libre ou dans une composition non intégrée, la voyelle casuelle apparaît à la fin du premier mot selon sa fonction dans la phrase, le deuxième mot est toujours au génitif: (ra's-u/a/i + mâliyy-i / mâliyy-i-n). Sur tous ces plans, le mot composé intégré fonctionne comme un mot simple.

Toutefois, la composition par juxtaposition de deux mots pose un sérieux problème en arabe. Les exemples que nous avons donnés sur cette juxtaposition: (ra'sumâl) «Capital», (ra'sumâliyy) «Capitaliste» et (ra'sumâliyyat) «Capitalisme» sont extrêmement rares. Ils sont d'ailleurs contradictoires et très mal présentés dans les dictionnaires arabes modernes: mots séparés une fois, liés une autre (ra'smâl / ra's mâl), et avec une vocalisation variable et incertaine, parfois dans le même dictionnaire: (ra's**u**mâl /ra's**a**mâl/ ra's**i**mâl)[1] .

Contrairement à des langues agglutinantes comme l'anglais et le français, la composition est un phénomène très marginal et non productif en arabe pour, au moins, deux raisons:

a. La première raison est liée au système morphologique de l'arabe et à la nature de la racine. Ce système est basé sur la flexion interne, c'est-à-dire sur le timbre de la voyelle, sa longueur et sa position. La racine est souvent formée de trois consonnes, parfois de quatre, rarement de cinq. Composer un mot à l'image de ce qui se passe en français aboutit *ipso-facto* à une unité qui a, au moins, six consonnes radicales. Or, il ne peut pas y avoir une racine à six consonnes. Les mots ainsi produits resteraient à la marge du système. Fusionner deux mots en un seul est donc, inévitablement, une composition par troncation (naḥt) qui nécessite la chute d'une ou de plusieurs consonnes, et qui risque de rendre le mot méconnaissable.

b. La deuxième raison est liée aux contraintes des systèmes de l'arabe. En effet, la marge gauche du mot arabe, droite en français, n'est pas libre:

(1) Voir, à titre d'exemples, ces entrées dans *al-Mucjam al-carabî al-'asâsî, (1999); al-Munjid fî al-luġa al-carabiyya al-mucâṣira, (2000); al-Mucjam al-wasîṭ, (2004); Mucjam al-Ġanî az-zâhir (2013)..*

type réside dans le fait que le mot composé, contrairement au mot simple, est décomposable en deux mots: (Lampemètre) peut se décomposer en deux mots simples (Lampe) et (Mètre), alors que le mot simple (lamentablement), formé de plusieurs morphèmes, n'est pas décomposable en plusieurs mots.

En fin de compte, la différence entre un mot simple et un mot composé intégré peut se réduire à une affaire liée à l'histoire du mot. Un exemple typique est le mot (Gendarme) qui est un singulier composé de deux mots au pluriel: (Gens) et (Armes). Or, (Gendarme) est un singulier dont le pluriel est (Gendarmes) avec un (s) à la fin du mot, à l'instar de (Chien) et (Chiens). Le Français moyen ne se pose pas de question sur l'origine de (Gendarme) et ne sait, peut-être pas, qu'il provient des (gens d'armes)[1]. L'histoire peut même se perdre et le mot composé intégré peut devenir un mot simple à proprement parler, pratiquement indécomposable. C'est le cas du mot composé (nonchalant) puisque le deuxième mot du composé: *(Chalant) n'est pas dans l'usage. Une fois oubliée l'histoire, le mot composé intégré ne diffère plus du mot simple.

Parmi les mots composés intégrés en arabe, on peut donner l'exemple du terme (ra'sumâl) «Capital» et ses deux dérivés: l'adjectif de relation: (ra'sumâliyy) «Capitaliste» et le *maṣdar ṣinâᶜî*: (ra'sumâliyyat) «Capitalisme». En effet, ces termes fonctionnent comme des mots simples dans le discours. (ra'sumaliyy) devient (ra'sumâliyy-at) au féminin, tout comme (kalb) donne (kalb(at) au féminin. Au duel et au pluriel: (ra'sumâliyy-ân) et (ra'sumâliyy-ûn) à l'instar du duel et du pluriel du mot simple: (kâtib-ân) «deux écrivains» et (kâtib-ûn) «écrivains». Pour la détermination, l'article (al) se trouve au début du mot composé intégré: (al/ar-ra'sumâliyy) à l'instar du mot simple (al/ar-rajul) «l'homme», contrairement à ce qui se passe lorsqu'il s'agit d'une association libre ou d'un mot composé dont les éléments ne sont pas intégrés. En effet, lorsque les deux mots ne sont pas intégrés, comme: (ra's + mâl), la détermination se fait en posant l'article devant le second mot, ce qui donne: (ra's + al-mâl). Enfin, la voyelle casuelle, ainsi que la nounation, apparaissent

(1) Le *Larousse* en ligne mentionne dans les expressions sous l'entrée (gens): «Gens d'armes, ancienne graphie de gendarmes» (consultation le 19 mars 2025).

2.2.1. Mot composé intégré

Le premier type est celui des mots composés formés de mots complètement intégrés. Lorsque les deux mots de la composition sont intégrés, ils forment un seul mot, à l'image du mot simple, et ils apparaîssent comme un seul mot dans la graphie. Les mots composants n'entretiennent pas des rapports syntaxiques entre eux et se comportent comme un seul bloc pour la formation de genre, de nombre, de détermination, etc. Exemples: le nom (Lampemètre) formé des deux noms: (Lampe) et (Mètre) et qui est un «appareil de mesure des caractéristiques des tubes électroniques»; le nom (Abribus) formé des deux noms (Abri) et (Bus) et qui est «un arrêt d'autobus équipé d'un abri pour les voyageurs», le nom (Portefeuille) composé du verbe (porter) et du nom (feuille) et qui signifie: «Carton double pliant et servant à renfermer des papiers», l'adjectif (Nonchalant) qui a donné lieu au nom (Nonchalance)(1), composé de l'adverbe (Non) et de l'adjectif (Chalant)(2) de (Chaloir), pour qualifier celui «qui manque d'activité, d'ardeur par insouciance» etc.

Dans ces exemples, si le mot composé masculin peut avoir un féminin, il reçoit la marque du féminin à sa fin: (nonchalante) en face de (nonchalant), tout comme le mot simple: (habitant) et (habitante). Au pluriel, il prend un (s) à la fin: (portefeuille) et (portefeuilles). Ce dernier mot, formé d'un verbe et d'un nom, fonctionne comme un nom, le deuxième élément (feuille) n'est plus un complément d'objet direct du verbe (porter), même si c'était le cas avant la composition(3). La différence entre le mot simple et le mot composé de ce

(1) Les autres composés avec (Non) sont séparés par un trait-d'union: (Non-conformité; Non-dit; Non-gage; Non-inscrit; Non-lieu; Non-paiement; Non-respect; Non-retour; Non-sens; etc.).

(2) Cet adjectif n'est pas en usage. Il n'y a pas une entrée (Chalant) dans le dictionnaire, mais, il y a une entrée du verbe impersonnel (chaloir).

(3) Toutefois, quelques mots composés et soudés dans la graphie peuvent parfois garder certaines des caractéristiques de leur ancien statut en tant que mots simples. Ainsi, le composé (Bonhomme) formé de l'adjectif (Bon) et du nom (Homme) se met au pluriel (Bonshommes) en ajoutant un (s) à la fin de l'adjectif et à la fin du nom, à l'instar du pluriel des associations libres. C'est comme si les deux mots étaient toujours séparés. Sans doute, le pluriel des deux mots séparés était-il bien vivant avant la fusion des deux mots, et le (s) prononcé devant un (h) muet (bɔ̃zɔm).

de deux (ou récursivement de plusieurs) unités lexicales de classes ouvertes».

L'anglais fait massivement appel à la composition dans la création néologique. Il suffit de juxtaposer deux mots pour en former un troisième: (Police) + (Man) donne (Policeman) pour un «agent de police». Le français, beaucoup plus réticent, privilégie la dérivation. La composition n'a commencé à prendre de l'ampleur qu'avec le français moderne. C'était plutôt une composition savante avec inversement de l'ordre des composants. Aussi, dit-on, (Placoplâtre) composé du grec (Plakos «Plaque») et de (Plâtre) pour le «matériau se présentant sous forme de plaques de plâtre coulé entre deux feuilles de carton, qui sert de revêtement, d'isolant»; (Riziculture) composé de (Riz) et de (Culture) pour la «culture du riz»; (Filoguidé) composé de (Fil) et (Guidé) pour «guidé à partir d'un fil»; (Plateforme) ou (Plate-forme) composé de (Plat) et (Forme) pour indiquer «Terre-plein, surface plane et horizontale, plus ou moins surélevée». Plus tard, la composition «normale», i.e. sans inversement, commence à se développer. Alain Rey et Josette Rey-Debove mettent l'accent sur cette évolution de la composition en français:

«Nous pouvons donc maintenant, comme les anglophones, produire des composés courants de ce type en disposant du système sans inversion comme *jupe-culotte*, *voiture-bar* ou *abribus* (…) On voit comment, partie de règles très contraignantes, la composition des mots s'est libérée au profil de la néologie».

Toutefois, l'assemblage de deux ou de plusieurs mots ne produit pas toujours un seul type de mot composé. Il y a lieu de distinguer dans la composition, en fonction de la nature d'assemblage, trois types qui correspondent, en gros, à trois étapes dans la composition. Les produits composés peuvent être des termes dans les différents domaines scientifiques et techniques, tout comme dans le vocabulaire général. D'ailleurs, beaucoup de mots du vocabulaire général sont issus d'une «déterminologisation», ou un «étirement de sens» (Meyer et Mackintosh, 2000), tout comme beaucoup de termes sont issus d'une «terminologisation» obtenue par une spécification du sens (Dahmânî, 2013) des mots de la langue dite «commune» ou «ordinaire».

2.2. Le mot composé

La composition est définie par opposition à la dérivation. Celle-ci est définie dans le *Dictionnaire de linguistique* de la manière suivante:

«La dérivation consiste en l'agglutination d'éléments lexicaux, dont un au moins n'est pas susceptible d'emploi indépendant, en une forme unique. *Refaire*, *Malheureux* sont des dérivés; les éléments *re-*, *-eux* ne sont pas susceptibles d'emploi indépendant, tandis que *faire* et *malheur* sont des unités lexicales par elles-mêmes».

Cette définition basée sur l'affixation n'est valable que pour les langues dites «agglutinantes»: un préfixe comme (re), ou un suffixe comme (eux) est collé à un mot indépendant. Or, pour l'arabe dont le système morphologique est basé sur la flexion interne, la dérivation ne se fait pas par agglutination de préfixe ou de suffixe. Elle consiste en deux opérations consécutives : dans la première, on brise la forme du mot pour en extraire les consonnes radicales. Dans la deuxième on construit avec ces mêmes consonnes, dans leur ordre, une nouvelle forme. Cela veut dire que la dérivation est basée essentiellement sur le changement vocalique: les timbres des voyelles, leurs durées, et leurs positions. On peut, à côté de ce changement vocalique, faire éventuellement appel à certaines consonnes nommées «augments».(1)

En revanche, la composition consiste à former un mot à partir d'éléments lexicaux susceptibles d'avoir par eux-mêmes une autonomie dans la langue. Autrement dit, il s'agit de former un mot en assemblant deux ou plusieurs mots.

Pierre Arnaud ajoute une condition supplémentaire: les éléments qui forment le mot composé doivent appartenir aux catégories des classes ouvertes. Sur la base de cette condition, il redéfinit la composition de la manière suivante :

«Un nom composé est une unité lexicale nominale résultant de l'assemblage

(1) Voir, à titre d'exemple, l'excellente définition d'Ibn Diḥyat (m. 633h/1236c) rapportée par as-Suyûṭî dans *al-Muzhir fî culûm al-luġat*: «al-'ištiqâq suprrimer le surlignement ṣîgat min 'uẖrâ maᶜa t-tifâqihimâ maᶜnâ wa maddat 'aṣliyyat wa hay'at tarkîb lahâ li- yudalla bià souligner ᶜalâ maᶜnâ l-'aṣl bi-ziyâda mufîdat li 'ajlihâ 'iẖtalafâ ḥurûf-an 'aw hay'at-an ka *ḍârib* min *ḍaraba* wa *ḥadir* min *ḥadira* » (as-Suyûṭî, n.d, p. 346).

exemples en arabe (kalb), «Chien» en français, (’ištirâkiyyat), «Socialisme» en français. Peu importe pour nous que le mot simple soit formé d’un seul morphème, comme (kalb), «Chien» ou de plusieurs, comme (’ištirâkiyyat), «Socialisme», formée d’au moins trois morphèmes: la racine triconsonantique discontinue (š r k), le schème (’iftiᶜâl) et le suffixe (iyyat) du *maṣdar ṣinâᶜiyy*. En effet, le morphème, qu’il soit lexical, comme le premier exemple (kalb), ou grammatical, comme (iyyat) dans le deuxième exemple (’ištirâkiyyat), est un constituant immédiat du mot qui est situé au niveau supérieur.

Contrairement au morphème, le mot se caractérise par sa déplaçabilité et son inséparabilité, c’est-à-dire par sa cohésion interne qui lui assure une autonomie syntagmatique sur l’axe linéaire de la chaîne parlée. Une racine comme (š r k) qui est un signe linguistique avec les deux faces du signe, un signifiant: les trois consonnes, et un signifié: l’idée générale de l’association qui existe entre les différents mots de la famille, n’est pas un mot, mais un morphème. En effet, son signifiant est formé d’éléments séparés qui n’ont pas d’autonomie syntagmatique. Il en est de même pour le schème qui n’est pas un mot, mais, un morphème déterminé par la disposition que prennent les consonnes et les voyelles lorsqu’elles se réalisent dans le mot, (’ic$_1$tic$_2$âc$_3$) dans (’ištirâk), où c$_1$ est la 1ère consonne radicale, c$_2$ est la 2ème et c$_3$ la 3ème. Ce sont donc les voyelles, en fonction de leur timbre, durée et place qui déterminent le schème. Tout changement de l’un de ces trois éléments aboutit à un changement de schème: (faᶜal: c$_1$ac$_2$ac$_3$) est un schème différent de (faᶜl: c$_1$ac$_2$c$_3$), de (faᶜil: c$_1$ac$_2$ic$_3$), de (fâᶜil: (c$_1$a:c$_2$ic$_3$), etc. En revanche, les consonnes peuvent changer; c’est leur position qui compte. Ainsi (kalb), (’akl), (samᶜ), (naṣr), (baḥṯ), etc. sont de même schème.

Le nombre de morphèmes dans un mot n’est pas un facteur déterminent de sa composition. Que le mot soit donc formé de deux ou trois morphèmes, ou plus encore, ne change pas sa nature. Il ne devient composé que lorsque deux de ses morphèmes sont des morphèmes lexicaux qui ont leur autonomie et qui sont donc des mots susceptibles de figurer dans un énoncé en tant que tels. Si ce n’est pas le cas, le mot est toujours simple, malgré les différents morphèmes qui le composent.

Dans le dictionnaire, le problème se pose avec plus d'acuité. Ce sont les mots qui font la nomenclature du dictionnaire. Le morphème ne peut pas servir de base pour le classement des unités du lexique. En effet, il n'a pas toujours une autonomie syntagmatique, il peut être discontinu et il peut prendre des formes très diverses différentes de celle du mot. Pour le classement, le recours au mot, unité de niveau intermédiaire, est inéluctable.

1.2. Le mot et l'unité lexicale

Jusqu'à une date récente, le mot a été considéré comme synonyme de l'unité lexicale. Cette synonymie est encore largement répandue. C'est essentiellement sur la base du mot simple que la macrostructure du dictionnaire est établie. Il est vrai que l'unité lexicale se réduit au mot dans une bonne partie des entrées du dictionnaire, voire dans presque la totalité de la macrostructure. Toutefois, le mot n'est pas l'unité lexicale. Michel Le Guern constate que

«les dimensions des unités lexicales sont extrêmement variables, et il faudrait beaucoup de naïveté pour assimiler l'unité lexicale au mot» (Berrendonner, 1983, p. 120).

En effet, il y a entre le mot et l'unité lexicale un rapport du général au particulier. Tout mot est une unité lexicale puisqu' il peut constituer une entrée du dictionnaire. En revanche, l'unité lexicale n'est pas forcément un mot; elle peut être formée d'un ou de plusieurs mots(1). Il y a lieu de distinguer principalement quatre types d'unités lexicales:

2. Types d'unités lexicales

2.1. Le mot simple

Dans le premier type, l'unité lexicale est un mot simple. Un survol des entrées du dictionnaire, qu'il soit arabe ou non, montre clairement que le mot constitue la majorité écrasante des entrées. On peut en citer comme

(1) Nous n'adoptons pas le point de vue du *Dictionnaire de linguistique* (p. 282) qui considère la lexie comme étant «l'unité fonctionnelle significative du discours», et qu'elle est simple: elle peut être un mot comme (chien), composée: elle contient plusieurs mots intégrés ou en voie d'intégration comme (brise-glace), ou complexe: elle est une séquence figée comme «en avoir plein le dos», «C.G.T», «les proverbes».

1. Mot et unité lexicale

1.1. Le mot et le morphème

Le *Kitâb* de Sîbawayhi (m. 180h/796c) qui fonde la tradition grammaticale arabe s'ouvre sur la division tripartite du discours. Ces parties sont, en réalité, des classes de mots (kalim); «les mots, écrit-il, sont un nom, un verbe et une particule qui intervient pour un sens et[1] qui il y a un symbole qui lit les lettres s et t dans tout le texte ni un nom, ni un verbe». (Sîbawayhi, vol. 1, p. 12)

L'unité de classement est le mot[2], une notion qui n'a jamais été mise en question dans la tradition grammaticale arabe, ni dans les traditions précédentes indienne et grecque. Partout, le mot semble être considéré comme une réalité linguistique évidente qui ne fait l'objet d'aucun doute. Ce n'est qu'avec De Saussure que cette notion a été remise en cause. Une phrase n'est pas une «combinaison de mots», même si c'est «immédiatement saisissable», dit-il, «et en y réfléchissant un peu, on voit que ce qu'on entend par là est incompatible avec notre notion d'unité concrète». En effet, «il faut chercher l'unité concrète ailleurs que dans le mot» (Saussure, 1985, pp. 147-148).

Pour De Saussure et la linguistique européenne, le morphème serait cette unité concrète. Toutefois, Paul Garde souligne la contradiction des linguistes européens. En théorie, ils adoptent le morphème, notion bien définie. Dans la pratique, ils cherchent le réalisme et l'efficacité. Ils mettent donc «le mot au premier plan, bien qu'on hésite sur sa définition, et le morphème, quoique bien défini, n'est conçu en fait que comme un fragment de mot, qu'on ne décèle qu'en second lieu». (Garde, 1978, p. 9).

---

(1) L'expression «qui n'est ni un nom, ni un verbe» qualifie le mot (ḥarf), «Particule», et non pas le mot (en exposant) «Sens» qui est plus proche, contrairement à ce qui est répandu dans la littérature sur la question (Hamzé, 2021, pp. 84-86).

(2) Al-Muṭarrizî (m. 610h/1213c) serait le premier à définir le mot dans son *al-Miṣbâḥ* comme étant «toute expression phonique instituée pour indiquer un sens simple» (kull lafẓat dallat ᶜalâ maᶜnâ mufrad bi l-waḍᶜ fa hiya kalimat). On retrouve cette même définition chez les grammairiens, comme Ibn al-Ḥâjib, al-'Astarâbâḏî, Ibn Hišâm (Sinno et al, p. 3897).

إكراهات التركيب في مداخل القاموس

أ. د. حسن علي حمزة

معهد الدوحة للدراسات العليا في قطر، وأستاذ فخري بجامعة ليون 2 في فرنسا.

hassan.hamze@hotmail.fr

الملخّص

يقوم هذا البحث بالنظر في أحكام الوحدة المعجميّة في القواميس العربيّة والفرنسيّة، فيُسلِّط الضوء على الفرق بين الوحدة المعجميّة والكلمة التي كانت تُعتبر أساس ترتيب مداخل المعجم. وهو يهتمّ بالتمييز بين العربيّة والفرنسيّة في مسألة التركيب، كما يهتمّ بالتمييز في المداخل المعجميّة بين أنواع المركَّبات: المركَّب الناجز والمركَّب الذي في طور الإنجاز، والمركَّب الذي تنفصلُ عناصره، وبالدور الذي تقوم به الكتابة في اختيار المداخل المعجميّة.

الكلمات المفاتيح: الوحدة المعجميّة، القاموس، المدخل المعجميّ، التركيب، الوحدة المركَّبة، العربيّة، الفرنسيّة.

LES CONTRAINTES DE LA COMPOSITION DANS LA NOMENCLATURE DU DICTIONNAIRE

Prof. Hassan Ali HAMZÉ
Doha Institute for Graduate Studies – Qatar
Centre de Recherche en Linguistique Appliquée (CeRLA) Univ. Lyon2– France
hassan.hamze@hotmail.fr

RÉSUMÉ

Cette étude se propose d'examiner le statut de l'unité lexicale dans les dictionnaires français et arabes. Elle insiste sur la différence entre l'unité lexicale et le mot considéré longtemps comme l'unité de classement dans le dictionnaire, et met en lumière les différences entre l'arabe et le français au niveau de la composition, les différents types de composition dans l'entrée du dictionnaire : composés intégrés, en cours d'intégration ou non intégrés, ainsi que le rôle de la graphie dans la détermination des entrées.

Mots-clés: Unité lexicale, entrée, composition, mot composé, dictionnaire, arabe, français.

Editorial of the Issue

Since the publication of its early issues, Al-Lissani Journal has demonstrated a clear distinction and a unique identity, which quickly earned it the attention and trust of readers, including linguists and researchers. It secured a foothold in the field of linguistic research both within Morocco and abroad, thanks to the depth, originality, and rigor of the studies it published contributions made by a number of renowned scholars.

Since the journal ceased publication after releasing the four issues of its first volume, researchers and interested parties from inside and outside Morocco have continued to inquire about it and expressed a strong desire to publish in it. This motivated us to prioritize the resumption of this respected academic platform, as part of a broader strategy aimed at advancing scientific research within our institution, by encouraging all purposeful initiatives.

Today, we are pleased to present this new issue of the Journal to readers, and we sincerely hope that the Journal continues with the same excellence that serves scientific research in general, and linguistic research. We aim to offer researchers valuable and innovative contributions in the field of linguistics—an area in which our institution has always held a pioneering role, both locally and in the Arab world.

I would like to express my gratitude to Professor Hafid I. Alaoui, the Journal's director and editor-in-chief, for his dedicated efforts and strong commitment to keeping the Journal under the umbrella of the Faculty of Letters and Human Sciences, Mohammed V University in Rabat. I also thank all members of the editorial board for their support of this outstanding academic project, and we hope for the Journal's continued publication and regularity.

Administrative Director

Prof. Laila MOUNIR

Acting Dean, Faculty of Letters and Human Sciences

TABEL OF CONTENTS

Editorial of the Issue

Prof. Laila MOUNIR 10

lexicon and Pragmatics

Prof. Ahmed Moutaouakil 11

The One-Dimensional Saussure

Prof. Mbarek Hanoun 21

Translating Pragmatic Technical Terms Between Wide Use and Accuracy

Prof. Hisham Ibrahim Abdullah Al-Khalifa 52

Modern linguistics and the contrastive approach

Prof. abderrahmane boudraa 82

The Cognitive System between Natural Sciences and Neuroscience

Dr. AbdalRahman Teama Hassan 105

Bilingualism in the brain

Prof. Rachida Lalaoui Kamal 118

Compositional Paths and Blending Spaces

Prof. Abdulrahman Hassan Albariqi 140

Lexical Knowledge and the Achievement of Communicative Competence

Dr. Otman Ahmiani & Dr. Hamid Daghouj 176

Mixed Metaphors

Dr. Ihab Mahmoud 197

Les contraintes de la composition dans la nomenclature du dictionnaire

Prof. Hassan Ali HAMZÉ 211

Editorial of the Issue

Prof. Laila MOUNIR 236

Linguist اللساني
An international peer-reviewed quarterly journal specializing in linguistics issued by the Faculty of Arts and Humanities
Mohammed V University of Rabat

Peer Reviewers for This Issue

- Ahmiani Otman
- Boulhoch Fatima
- Emad Ahmad Alzabin
- Feth Hicham
- Ghelfane Mostafa
- Hanoun Mbarek
- Lalaoui Kamal Rachida
- Missaoui Khalifa
- Murtadha Jabbar Kadhim
- Taifi Bernoussi Hasbiya
- Teama Hassan AbdalRahman

CONTRIBUTORS TO THIS ISSUE

Prof. Rachida Lalaoui Kamal: is a Professor of Comparative Arabic Linguistics at the Department of Arabic Language and Literature, Mohammed V University, Faculty of Literature and Human Sciences, Rabat, Morocco. She holds a PhD from the same university and the same faculty. Her research interests revolve around comparative Arabic linguistics (Syntax) and Biological Linguistics (Linguistic Systems, Levels of Linguistic Analysis and Linguistic categories in the Brain - The Language in the brain).

Dr. AbdalRahman Teama Hassan: Modern Linguistics (Cognitive Neuroscience of Language). Department of Arabic, Faculty of Arts and Social Sciences, Sultan Qaboos University, Oman. Faculty of Arts, Cairo University, Egypt. His research major includes interdisciplinary Studies, comprising general Linguistics, Translation, cultural theory, Epistemology, and Qur'anic Studies.

Dr. Hamid Daghouj: Associate Professor of Comparative Arabic Linguistics at the Institute of Studies and Research for Arabization, Mohammed V University, Rabat, Morocco. He holds a Ph.D. from the same university, Faculty of Arts and Humanities. His research interests focus on topics in theoretical linguistics, specifically the levels of lexicology and semantics, cognitive linguistics, and applied linguistics.

Dr. Ihab Mahmoud Ahmed is a lecturer of linguistics and discourse analysis in the Department of Arabic Language at the Faculty of Arts, Ain Shams University, Cairo, Egypt (2007–present). He previously worked as an Assistant Professor of Arabic at Abu Dhabi University – Military Programs (2011–2015), and at the Higher Colleges of Technology in Al Ain – AAMC (2015–2019), in the United Arab Emirates. He earned his PhD in Linguistics from Ain Shams University in 2007. His research interests focus on general linguistics, text linguistics, and critical discourse analysis.

Dr. Otman Ahmiani: Associate Professor of Comparative Arabic Linguistics in the Department of Arabic Language and Literature at Mohammed V University, Faculty of Arts and Humanities, Rabat, Morocco. He holds a Ph.D. from the same university and faculty. His research interests focus on topics in comparative Arabic linguistics and applied linguistics, including language disorders, sign language linguistics for the deaf, and teaching Arabic to non-native speakers.

CONTRIBUTORS TO THIS ISSUE

Prof. Abdulrahman Hassan Albariqi: is a Full Professor of Linguistics in the Department of Arabic language and literature, College of Arts and Humanities Sciences, King Khalid University. Prof Abdulrahman received his PhD degree in Philosophy in Arabic Language and Literature)2011) from King Saud University. His research interests include Linguistics, cognitive linguistics, pragmatics, Argumentation…

Prof. Boudraa Abderrahmane: is a Full Professor of Linguistics and Arabic Language Sciences in the Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Abdelmalek Essaadi University, Morocco. He holds a PhD in Linguistics from Mohammed V University in Rabat, Morocco, in 1999. His research interests revolve around linguistics, text linguistics and discourse analysis, Arabic language sciences, and lexicography.

Prof. Hassan Ali Hamzé: is a professor in the Department of Arabic Linguistics and Lexicography at the Institute for Graduate Studies in Doha, Qatar, and an emeritus professor at Lyon 2 University in France. He earned a third-cycle doctorate in Islamic Studies from the University of Provence and a State Doctorate in Language Sciences from Lyon 2 University in France. His research focuses on linguistics, lexicology/lexicography, terminology, and translation.

Prof. Hisham Ibrahim Abdullah Al-Khalifa: is an Iraqi researcher and academic, regarded as one of the pioneers in the field of pragmatics and linguistics in the Arab world. He was born in Iraq and completed his postgraduate studies in the United Kingdom. His scholarly contributions focus on modern linguistic theories and linguistic inquiries within the Arab and Islamic heritage. He named his academic project "Establishing the origin rooting", through which he sought to connect modern linguistic theories with their foundations in the Arab and Islamic tradition.

Prof. Mbarek Hanoun: Moroccan academic and researcher specializing in linguistics, phonetics, and translation. He has held academic and administrative positions, including researcher at the Faculty of Arts and Humanities in Fez (1982–1995), professor at Al Akhawayn University in Ifrane (1995–2000), director of the Higher Teachers' School in Meknes (2000–2003), director of the Academy of Souss-Massa-Draa Region (2003–2010), professor at Mohammed V University in Agdal, Rabat (2010–2013), and professor at Qatar University (2013–2020).

RULES OF PUBLISHING

Citation Style:

- The journal follows the APA (American Psychological Association) 7th edition citation style.
- Full citation guidelines are available on the journal's website or the APA website.

Other requirements for publication:

- If the article is a translation, include the original text with full citation.
- Abstracts in Arabic and English, each between 250 and 300 words.
- A list of 5 to 7 keywords.
- A brief biography of the author (no more than 200 words) in Arabic and English.
- The author's detailed CV.

Publishing Procedure:

- All materials must be submitted via the journal's website (Submit Publication Request).
- Authors will receive confirmation once their submission meets the requirements.
- The journal will notify the author within 10 days whether the submission is formally accepted or rejected and whether it will proceed to peer review.
- Submissions that meet the publishing criteria are sent for blind peer review.
- Authors are informed of the review outcome (acceptance or rejection) within one month of confirmation.
- If rejected, the journal is not obligated to provide reasons.
- If reviewers request revisions, the author will be notified and must make the changes within the specified deadline.
- Authors must ensure their texts are properly edited and proofread according to international academic standards.
- The journal reserves the right to republish the article in any beneficial format, with notification to the author.
- Once a submission is accepted for final publication, it cannot be published elsewhere.
- Authors may republish their work one year after its original publication, with notification to the journal.
- The journal does not offer financial compensation for published materials and does not charge for publication.

Disclaimer:

- Published articles do not reflect the opinion of the journal.
- The author is solely legally responsible for their work.

Submission Emails:

Submit papers via the journal's website (Submit Publication Request):

mail
linguist@linguist.ma
linguistflshr@gmail.com

For more information, visit the journal's website:
https://linguist.ma

RULES OF PUBLISHING

Linguist is:

- A peer-reviewed international scientific quarterly journal specialized in linguistics.
- The journal accepts submissions in Arabic, English, French, Italian, German, Spanish, and Portuguese.
- The journal accepts original research, translations, and reviews, provided that translated studies or books are of significant importance.

Journal Mission:

- Contribute to the dissemination of scholarly linguistic culture.
- Advance linguistic research within Arabic culture.
- Keep up with current linguistic research developments and epistemological shifts.
- Inform researchers and interested readers about the most important publications in the field of linguistics.
- Promote interdisciplinary dialogue by focusing on cross-disciplinary linguistic studies.

Journal Focus:

- Publishes serious research and studies in the field of linguistics.
- Strives to keep up with global developments in linguistic research through translations of studies published in top international linguistic journals.
- Encourages discussion on contemporary linguistic issues.

Specificity and Uniqueness:

- The journal publishes original papers that have not been previously published or submitted elsewhere.
- Submitted materials must relate to linguistics, whether theoretical, applied, or translated research.
- Research must adhere to recognized academic standards.
- Submissions must comply with the publishing guidelines detailed on the journal›s website.
- Word count should be between 5,000 and 9,000 words, including appendices.

Conditions for publication

- The journal publishes reviews of recent publications, whether translated into Arabic or not.
- Basic conditions for book reviews include:
  - The book must fall within the journal›s scope.
  - Selection of the book must be based on objective criteria: importance, academic value, contribution to knowledge, and benefit of reviewing.
  - The book must have been published within the last five years.
- Reviews must include:
  - Book title, author, chapters, number of pages, publishing house, and publication date.
  - A brief introduction to the author and translator (if applicable).
  - Overview of key elements: objectives, content, sources, methodology, and structure.
  - Thorough analysis of the book›s content, highlighting main ideas and themes, using critical tools and comparative methodology.
  - Review length should be between 2,000 and 3,000 words. Reviews up to 4,000 words are accepted if they focus on deep analysis and comparison.

اللسانيinguist
An international peer-reviewed quarterly journal specializing in linguistics issued by the Faculty of Arts and Humanities
Mohammed V University of Rabat

An international peer-reviewed quarterly journal specializing in linguistics issued by the Faculty of Arts and Humanities Mohammed V University of Rabat

Managing Director
Pr. Mounir Laila
Dean on the Faculty of Letters and Human Sciences Rabat

Responsible Director and Editor-in- Chief
Pr. Hafid Ismaili Alaoui

Consulting Board

Prof. Ezzeddine Majdoub (Tunisia)
Prof. Abderrahmane Boudraa (Morocco)
Prof. Abderrazak Bannour (Tunisia)
Prof. Ahmed Alaoui (Morocco)
Prof. Ahmed Moutaouakil (Morocco)
Prof. Hamza Al-Mozainy (Saudi Arabia)
Prof. Hassan Ali Hamzé (Lebanon/Qatar)
Prof. Hisham Ibrahim Abdulla Al-Khalifa (Iraq)
Prof. Mbarek Hanoun (Morocco)
Prof. Michel Zakaria (Lebanon)
Prof. Mohamed Ghalim (Morocco)
Prof. Mohammad Alabd (Egypt)
Prof. Mohammed El Boukri (Morocco)
Prof. Mohammed Rahhali (Morocco)
Prof. Mostafa Ghelfane (Morocco)
Prof. Murtadha J. Bakir (Iraq)
Prof. Saad Maslouh (Kuwait/Egypt)
Prof. Salah Belaïd (Algeria)

Editorial Team

Ahmiani Otman
Amrous Nourddine
Azouaghe Soufian
Ben Ayad Nohma
Bendahan Mohamed
Bensoukas Karim
Boudhim Zakaria
Derouiche Mohammed
Eddakamer Mourad
EL Alami Abdelkrim
EL Mendili Soumaya
Ettahri Azeddine
Hasbane Redoine
Lalaoui Kamal Rachida
Mounir Laila
Naciri Habiba
Qaddioui Ouafaa
Tahiri Abdellatif

Dépôt Légal: 2019PE0001
ISSN: 2665-7406 (Online)
E-ISSN: 2737-8586 (Print)

The Journal's e-mail
linguist@linguist.ma
linguistflshr@gmail.com

For more information,visit the journal's website
https://linguist.ma

اللساني Linguist

An international peer-reviewed quarterly journal specializing in linguistics issued by the Faculty of Arts and Humanities

Mohammed V University of Rabat

Volume (2) - Issue (1)

Dépôt Légal: 2019PE0001

ISSN: 2665-7406 (Online)

E-ISSN: 2737-8586 (Print)

E-mail Address

linguist@linguist.ma

linguistflshr@gmail.com

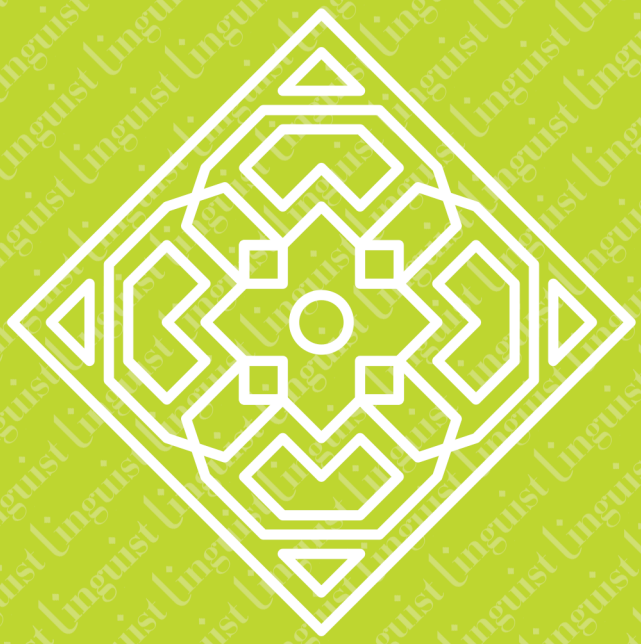
Journal's Website

https://linguist.ma

جامعة محمد الخامس بالرباط
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
Université Mohammed V de Rabat
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines
Mohammed V University in Rabat
Faculty of Letters & Human Sciences

اللساني Linguist

An international peer-reviewed quarterly journal specializing in linguistics issued by the Faculty of Arts and Humanities
Mohammed V University of Rabat



Volume (2) - Issue (2)

www.the-linguist.com

ISSN: 2665-7406
E-ISSN: 2737-8586